

التَّفْسِيرُ الْمُبِينُ

ألفه وكتبه :
الفقير إلى عفو ربه

الدكتور / عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الخامس

③ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسة ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين . / عبد الرحمن حسن النفيسة . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٦ مج

ردمك : ٧-٠-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٢-٥-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٥)

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ / ٣٦١٤ / ١٤٢٩

رقم الايداع : ٣٦١٤ / ١٤٢٩

ردمك : ٧-٠-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٢-٥-٠-٣٠-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج ٥)

جميع الحقوق محفوظة

لـ «مجلة

البحوث الفقهية المعاصرة»

المملكة العربية السعودية - الرياض

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون آية

﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الْمَرْءُ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذه آيات الكتاب، وهو القرآن ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ هذا عطف على ما قبله، وهو القرآن والمراد أنه الكتاب الذي أنزل إليك من ربك يا محمد وهو الحق الذي لا مرأى فيه، وفي هذا رد على المشركين الذين قالوا:

إِنْ مُحَمَّدًا أَتَىٰ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ مَعَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَنَظِيرَهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ عِزَّ ذِكْرِهِ أَنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بَيَّنَّ أَنَّهُ ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وَفِي هَذَا حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَإِنْ كَانُوا لَا يَصْدُقُونَ بِالْقُرْآنِ -كَمَا كَانُوا- فَلْيَنْظُرُوا مِنَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَيَرَوْنَ ذَلِكَ رُؤْيَا لَا جِدَالَ فِيهَا ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أَي: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِ قَدْرِهِ ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أَي: ذَلَّلَهُمَا وَطَوَّعَهُمَا ابْتِغَاءً مَنَافِعَ خَلْقِهِ وَمَصَالِحِهِمْ ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أَي: يَجْرِي كُلُّ مَنَّهُمَا إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ. ﴿يَذَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أَي: يَصْرِفُهُ وَيَقْضِي بِهِ كَمَا يَشَاءُ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أَي: يَبَيِّنُهَا لِيَكُونَ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ أَي: لَعَلَّكُمْ تَصْدُقُونَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَتَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ بِسَبَبِ تَصَدِيقِكُمْ.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ آيَةَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَكَيْفَ أَنَّهَا قَائِمَةٌ عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ بَيَّنَّ آيَاتِ الْأَرْضِ أَنَّهُ بَسَطَهَا ﴿وَجَعَلَ

فِيهَا رَوَاسِيَ ﴿١٠﴾ أَي: أرساها بالجبال ﴿وَأَنْهَارًا﴾ ﴿١١﴾ أَي: جعل المياه تجري فيها ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿١٢﴾ أَي: جعل من الثمرات صنفين مختلفين في شكلهما كالرطب واليابس أو مختلفين في طعمهما كالحلو والمر ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ ﴿١٣﴾ أَي: يغطي كل منهما الآخر، فالليل يطلب النهار بظلامه، والنهار يطلب الليل بضياءه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ أَي: إن هذا الذي يراه الإنسان بعينه ويعيه بعقله مدعاة للتفكر والتدبر في مخلوقات الله وحكمته وعظيم صنعه بما يوجب عليه الإيمان به والإقرار بتفردده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ﴾ ﴿١٥﴾ المراد أن في الأرض التي بسطها الله قطعاً يجاور بعضها بعضاً، مع أنها تختلف في خواصها المادية، فهذه أرض تربتها طينية، وهذه تربتها رملية، وهذه سبخة التربة وتلك متحجرة وهذه تصلح للاستغلال بسهولة وتلك لا تصلح إلا بصعوبة وكل ذلك بحكمة الله ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْنَبٍ وَزَّرْعٍ وَنَخِيلٍ وَصُنُوفٍ غَيْرِ صُنُوفٍ﴾ ﴿١٦﴾ أَي: جعل في الأرض جنات من النخيل والزرع والنخيل، بعضها مجتمع، وبعضها متفرق. ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ﴿١٧﴾ أَي: إن الماء الذي تسقى به واحد في نوعه، وإن اختلف في تكوينه كالعذب والمالح.

﴿وَنُفِضَ لَهَا مِنْ غَيْرِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ ﴿١٨﴾ أَي: أن بعضها يتفاضل

على بعض من حيث الأكل، فمنها: ما هو حلو، ومنها: ما هو مر ومنها: ما هو حامض وهكذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: إن في اختلاف هذه الأصناف من حيث طبيعتها وتكوينها وألوانها وما يؤكل منها وما لا يؤكل آيات للذين يعقلون ويتدبرون في عجب صنع الله وتدبيره لخلقه.

أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة عدة أحكام: منها: التوكيد على نبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ، وذلك بإنزال الله القرآن عليه بالوحي. ومنها: الحكم بأن الله هو الخالق، وأنه المتصرف في ملكوته يرفع السموات بغير عمد، وقد استوى على العرش، وسخر الشمس، والقمر، وسائر الأفلاك؛ لمنافع خلقه وفصل لهم الآيات وما يقتضيه ذلك من وجوب شكرهم له. ومنها: الحكم بأن الله هو الذي بسط الأرض وأرسى فيها الجبال الثوابت. ومن الأحكام: وجوب التفكير في آيات الله التي وضعها في الأرض للدلالة على وحدانيته وعظيم صنعه كما قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١). الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا^(٢).

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩١ .

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن كنت يا محمد قد عجبت من هؤلاء المشركين الذين كذبوك وجحدوا آياتنا الظاهرة فلم يؤمنوا ولم يصدقوا فاعجب من قولهم ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ أي قولهم: هل نبعث إذا تحولنا إلى تراب؟ ﴿أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: قولهم: وهل سنخلق من جديد؟ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: أن هؤلاء بقولهم هذا كفروا بالبعث، وبلقاء ربهم الذي يميت الأحياء، ثم يبعثهم يوم القيامة قوله ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي: إن هؤلاء المنكرين المكذبين سوف يسحبون في النار بالأغلال المركبة في أعناقهم ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أي: وهم ماكثون في النار.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بهم الذين يكذبون بالبعث، ولشدة عنادهم وتكذيبهم، يستعجلون العذاب لعدم

تصديقهم به ونظيره قول الله تعالى عنهم - كما سبق ذكره - ﴿اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ
أَتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(۱). ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾ أي:
العقوبات وقد سبقهم أمم كذبت فأهلكناهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ
عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: يتجاوز عن المشركين إذا تركوا الشرك، ويتجاوز عن
الظالمين إذا تركوا الظلم، وعن الكافرين إذا تركوا كفرهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ
لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن يصر على شركه أو ظلمه أو كفره.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: ويقول هؤلاء الذين كذبوا بالبعث
وكفروا بما جاءهم من البينات ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي:
هلا تنزل عليه آية من ربه فنصدقه كما سبق أن قالوا: أزح عنا الجبال
واجعل مكانها أنهاراً وجنات ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ هذا توجيه من الله
لرسوله محمد ﷺ أنه معلم لهم فحسب ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي: كما
أن لكل قوم نبياً يدعوهم إلى الله ويدلهم على الحق فأنت مثلهم تدعو
قومك إلى الله والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن القادر على الخلق هو القادر على إعادته يوم القيامة
كما قال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

(۱) سورة الأنفال من الآية ۳۲ .

وَلَمْ يَعْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾. ومن الأحكام: تقرير أن العذاب يحيط بالذين يستعجلونه تكذيباً به وإمعاناً في عدم تصديقه. ومنها: الحكم بأن الله يتجاوز عن الظالم إذا تاب إليه وأناب وحقق التوبة بشروطها؛ لأنه عز وجل لا يؤاخذ عباده بما يكسبون إذا رجعوا إليه كما قال عز ذكره ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢﴾. وقوله عز ذكره ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٣﴾. ومن الأحكام: تقرير أن النبوة والرسالة دعوة إلى الله؛ لأن الله هو الهادي كما قال تعالى ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَاغُ الْمُبِينِ﴾ ﴿٤﴾. وقوله عز ذكره ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١﴾.

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٧ .

(٣) سورة الحجر الآية ٤٩ .

(٤) سورة النور من الآية ٥٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٥٦ .

بيان الآيتين:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه يعلم بعلمه المطلق الغيب ويعلم ما تحمله كل أنثى من الولد ذكرًا كان أو أنثى أبيض أو أسود صحيحاً أو مريضاً قابلاً للحياة أو غير قابل لها ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ غيض الأرحام نقصانها وما تزداد أي: ما تأخذه زائداً والمراد أن الله عز ذكره يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض رحمها وازدياده، وقد يكون الغيض بمعنى السقط؛ لعدم تمامه، أما الزيادة فهو من كانت ولادته بالتمام ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي: مقدر ومعلوم ليس فيه زيادة ولا نقصان فهو حين ينزل المطر ينزله بقدر حاجة الناس إليه وهو حين يرسل الرياح يرسلها لحمل السحاب من مكان إلى آخر، وهذا الإرسال يكون بقدر معلوم، وهو حين يسير الشمس والقمر والنجوم إنما يسيرها بقدر معلوم ومحكم ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم ما خفي عن خلقه وغاب عنهم وما شهدوه فهو المتفرد بعلم الغيب لا يعلمه إلا هو ﴿الْكَبِيرُ﴾ أي: الذي يصغر كل شيء دونه ﴿الْمُتَعَالِ﴾ أي: فوق كل شيء بعظمته وسلطانه.

أحكام ومسائل الآيتين:

من هذه الأحكام: الحكم بأن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة

أشهر، وأكثر العلماء على أن أقله ستة أشهر كما قال تعالى ﴿وَحَمْلُهُ، وَفِصْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (١) فالفصال: أربعة وعشرون شهرا فتكون مدة الحمل ستة أشهر، وقد تكون مدته تسعة أشهر، وهو الجاري في الأحوال العادية، وقد تكون أكثر من ذلك أي: سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً. ومن هذه الأحكام: أن كل شيء يرسله الله يكون بقدر معلوم بعيداً عن الزيادة والنقصان، فلا ينزل المطر إلا بقدر حاجة الخلق إليه ولا تسير الكواكب إلا بالقدر الذي أراد الله به منفعة خلقه، ولا تجري الأنهار إلا بالقدر الذي ينفعهم. ومن الأحكام في الآية: أن الله هو المتفرد بعلم الغيب كما قال عز وجل ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢). ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (٣) أي: بالوحي.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالُلِّيلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١)

بيان الآيتين:

لما ذكر الله عز وجل أنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام

(١) سورة الأحقاف من الآية ١٥ .

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٣) سورة الجن من الآية ٢٧ .

أخبر أنه يعلم جميع مكنونات خلقه، سواء من أسر قوله في نفسه، أو من جهر به إلى غيره فقال ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ ثم أخبر عز وجل أنه يعلم كل مستخف في بيته كما يعلم حال كل من هو سائر في النهار.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ المراد أن للعبد ملائكة من بين يديه ومن خلفه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وهم على قسمين: ملائكة يحفظونه من الأخطار ما دام أن أجله لم يحن، وملائكة يكتبون أعماله حسناتها وسيئها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ المراد أن الله عز ذكره لا يغير على قوم ما هم فيه من النعم حتى يتغيروا في أنفسهم بالمعصية أو يغير عليهم أحد هذه النعم بالمعصية فيرضون عنه أو يسكتون عنه ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: أراد بهم عذاباً فلا راد ولا معقب له ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أي: لا ناصر لهم منه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله يعلم كل أحوال خلقه، سواء ما أسروه في أنفسهم أو ما جهروا به إلى غيرهم كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١). وقوله ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ

(١) سورة غافر الآية ١٩.

السِّرِّ وَأَخْفَى ﴿١﴾. وقوله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾. وفي هذا قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول ﴿٣﴾. ومن الأحكام: تقرير أن على العبد حفظه وشهوداً، فأما الحفظة فيحفظونه من أخطار الجن والإنس والدواب ما لم يكن قد قدر الله عليه ما قدر فيصيبه، وأما الشهود فيكتبون أعماله حسناتها وسيئها كما قال عز وجل ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿٤﴾. ﴿كَرَامًا كُنِينًا﴾ ﴿٥﴾. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٦﴾. وقوله عز ذكره ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿٧﴾. وفي الحديث: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم

(١) سورة طه الآية ٧ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١ .

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ج ١٣ ص ٣٨٤، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٨٨)، سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٧، والنسائي في كتاب الطلاق، باب الظهار، برقم (٣٤٦٠)، سنن النسائي ج ٦ ص ٤٨٠.

(٤) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٥) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٦) سورة الانفطار الآية ١٢ .

(٧) سورة ق الآية ١٨ .

عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون^(١).
وفي الحديث أيضاً: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله
أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)^(٢).

والحكم بأن الله عز وجل لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم، فإذا أنعم عليهم بنعمة من نعمه فكفروا بها عذبهم كما قال
عز وجل ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣). وإذا أمنهم فاستحلوا
محارمه وعصوه جعل بأسهم بينهم، أو سلط عليهم عدواً من غيرهم،
وإذا جاهره بالمعاصي سلط عليهم من يهتك سترهم.

ولا فرق بين أن يكون التغير منهم أنفسهم، أو من غيرهم إذا
رضوا به أو سكتوا عنه أو داهنوا فيه؛ ذلك أن من يرضى بوجود
المعصية ولا ينكرها، فمثله كمثل من يعملها وشاهده أن الله
ما لعن بني إسرائيل إلا لما فشت فيهم المنكرات فلم ينكر من لم
يفعلها على من فعلها كما قال عز وجل ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، برقم (٧٤٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ١٤٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، برقم (٢٨١٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٠٠٧.

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٧.

عَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾. ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ
الثِّقَالَ﴾ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَيِّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ ﴿١٣﴾.

بيان الآيتين:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: أنه يُري
عباده البرق بما يحمله من المخاطر، فالمرء يخاف ما يحمله البرق من
خطر قد يكون قاتلاً، والمرء يطمع فيه ليكون مؤذناً بنزول المطر
وهو ما يطمع الإنسان فيه. ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي: يكون
السحاب الثقيلة التي تحمل الماء الغزير ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾
أي: أن صوت الرعد تسبيح لله عز وجل. ﴿وَالْمَلَيِّكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾
أي: من الخوف منه ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾.

قيل: في نزول هذه الآية عدة أقوال منها: أنها نزلت في أربد بن
ربيعة أخي لبيد بن ربيعة وفي عامر بن الطفيل قال ابن عباس:

(١) سورة المائدة الآية ٧٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩ .

أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة العامريان يريدان النبي ﷺ وهو في المسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك فقال: (دعه فإن يرد الله به خيراً يهده) فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد مالي إن أسلمت ؟ فقال: (لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين) قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: (ليس ذلك إلي، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء) قال: أفتجعلني على الوبر وأنت على المدر ؟ قال: (لا) قال: فما تجعل لي؟ قال: (أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها في سبيل الله) قال: أوليس لي أعنة الخيل اليوم؟ قم معي أكلمك فقام معه رسول الله ﷺ وكان عامر أوماً إلى أربد إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف، فجعل يخاصم النبي ﷺ ويراجعه فاخترط أربد من سيفه شبراً ثم حبسه الله إليه فلم يقدر على سلّه، ويبست يده على سيفه، وأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائفٍ صاحٍ فأحرقتة، وولى عامر هارباً وقال: يا محمد دعوت ربك على أربد حتى قتلتته والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداء. فقال عليه السلام: (يمنعك الله من ذلك وأبناء قبيلة) (يعني الأوس والخزرج)، فنزل عامر بيت امرأة سلولية وأصبح وهو يقول: والله لئن أصر لي محمد وصاحبه -يريد ملك الموت- لأنفذتهما

برمحي، فأرسل الله ملكا فلطمه بجناحه فأذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية ثم ركب على فرسه فمات على ظهره^(١).

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ قيل: هو جدال أريد -كما سبق ذكره- ومن على شاكلته ممن كان يجادل قدرة الله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد العظمة والقوة وإهلاك الظالمين.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الإقرار بعظمة الله وقدرته فيما يصرفه في خلقه من رؤيتهم للبرق، وخوفهم منه، وطمعهم فيه، وإنشاء السحب الممطرة. ومن الأحكام: أن صوت الرعد تسبيح لله كما قال عز وجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢). ومنها: قدرة الله عز وجل في إرسال الصواعق لتكون هلاكاً للمكذبين بآياته.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢٩٦-٢٩٧، وأسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

بيان الآيتين:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي: كلمة لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ المراد أن من يدعو من دون الله لا يستجيب له بما يدعو؛ لأن هذا المدعو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا؛ فإن الله هو النافع الضار ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ أي: مثل من يدعو غير الله كمثل من يمد يده إلى البئر يريد الماء والماء بعيد عنه، أو مثل من بسط يده إلى الماء يطلبه فلا يجيبه؛ لأن الماء جماد لا يسمع ما يقال له أو يطلب منه ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إن دعاء الكافرين للأصنام وعبادتهم لها ليست إلا ضلالاً.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ هذا بيان من الله عن قوة سلطانه وعظيم جلاله بأن من في السموات من الملائكة يسجد له، وأن من في الأرض يسجد له طوعاً وكرهاً، فالؤمن يسجد له إجلالاً وإقراراً بعظيم قدره، والمنافق يسجد نفاقاً؛ لأن الكفر وقر في نفسه فهو لا يسجد إلا مصانعة أو خوفاً ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: إن ظلال الخلق تسجد لله في الغدو أي: في أول النهار وتسجد له في الآصال أي: آخر النهار.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن دعوة الحق هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله وأن من يدعو أحدا من دون الله لا يستجيب له بحال، وأن دعاء الكافرين لأصنامهم ليس إلا شركا وضللا وإثما مبينا. ومن الأحكام: الحكم بأن كل من في السموات والأرض يسجد لله، فمنه ما يكون سجود عبادة كحال الملائكة والمؤمنين في الأرض، ومنه ما يكون سجود دلالة، فالكافر وإن لم يسجد لله فهو مكلف أن يسجد له عبادة ودلالة فإن سجد بحكم ما كلف به وإلا عوقب على عدم فعله وهي عقوبة الكفر.

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله

محمد ﷺ أن يسأل المشركين من هو رب السموات والأرض الذي كونها؟ ثم يقول لهم: الذي خلقها هو الله وحده ويستمر سؤالهم؛ لكي تقوم الحجة عليهم حين يسألون عن شركهم إن استمروا عليه ولم يتوبوا منه قبل موتهم. ﴿قُلْ أَفَاتُخَذُّنَا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ والمراد أنكم إذا كنتم تقرّون بأن الله هو ربكم وأنه خالق السموات والأرض فكيف تتخذون معه أولياء تعبدونهم وتتقربون إليهم؟ وهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؛ لأنهم أحجار وأشجار لا تملك النفع ولا الضر ولا السمع ولا البصر ثم قل لهم يا محمد ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ أي: هل الأعمى الذي فقد بصره فلا يرى الأشياء مثل البصير الذي يراها ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ أي: هل الظلام مثل النور؟ وهل الإسلام مثل الكفر؟

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أن هؤلاء المشركين جعلوا أوثاناً تماثل الرب في خلقه فتخلق كخلقهم فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون عندئذ خلق الله من خلق أوثانهم ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله هو الخالق لكل شيء فهو خالقهم وخالق آلهتهم فعليهم أن يعبدوه وحده ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَرُ﴾ أي: هو المتفرد بالخلق والمتفرد بالعبودية وهو القادر على كل شيء.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ ذكر الإمام الطبري ما

ذكره علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها؛ فأما الشك فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ وهو الشك ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ أي: حال كونه جفاء وهو ما رمى به الوادي مما نفاه السيل. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك^(١).

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله رب السموات والأرض المتفرد بالعبودية وأن كل أعمال المشركين خسران وضلال، وأن من حكمة الله أن يضرب الأمثال للناس لتسهيل الدعوة لهم وتقريب الحق إلى أفهامهم ابتغاء إيمانهم، وذلك لإقامة الحجة عليهم والخوف عليهم من العذاب إذا لم يستجيبوا لدعوته. كما قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢). ومن الأحكام: أن الحق يدوم ويعلو، مثله مثل الماء الذي يستقر في الأرض، وأن الباطل يضمحل ويزول، مثله في ذلك مثل زبد الماء الذي يذهب جفاء.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١٣٥ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ
 أَتَاهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ إِلَهُهُ ۖ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أَكْفَرُوا أَلَا لَبِيبٌ ۖ ﴿١٩﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ﴾ هذا بيان من الله ووعده، ووعده
 الحق أن الذين استجابوا لدعوته وصدقوا ما جاء به رسوله ونبيه
 محمد ﷺ ستكون لهم الحسنى وهي الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُ﴾ أي: لم يجيبوا ما دعاهم الله إليه على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ
 من الإيمان وترك الشرك والظلم ﴿لَوْ أَتَاهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
 أي: لو كان لهم كل ما في الأرض من متاع الدنيا ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا
 بِهِ ۗ﴾ أي: جعلوه فداء لهم مما سيلاقونه من العذاب. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي: لهم الخسران، فلا يقبل منهم عمل ولا يغفر
 لهم ذنب ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: ستكون النار مقرهم ومستقرهم
 ﴿وَيَبْسُ إِلَهُهُ﴾ أي: يبأس القرار.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ المراد أنه

لا يستوي من يعلم أن الذي أنزل إليك من ربك - وهو القرآن - هو الحق
 ومن هو الأعمى فلا يفهم أن هذا هو الحق. وقيل: إن هذا مثل ضربه الله

للتفريق بين حمزة بن عبد المطلب الذي آمن بالله وصدق رسوله وبين أبي جهل الذي كفر بالله وشاق الله وشاق رسوله^(١) ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: إن الذين يتذكرون ويتفكرون هم أصحاب العقول الذين يفرقون بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وعد الله بالجنة للذين يستجيبون لندائه، وتقرير وعيده للذين لم يستجيبوا لهذا النداء. ومن الأحكام: تقرير التفريق بين المؤمن الذي يعرف الحق ويعمل به، وبين الكافر الذي لا يعرف الحق ويكابره في إنكاره. وتقرير أن العقلاء هم الذين يتفكرون في آيات الله ويهتدون بهديه ويسترشدون بإرشاده.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ٢٠ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ٢١ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٢ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ٢٣ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٤ ﴿

(١) تفسير البغوي ص ٦٧٣ .

بيان الآيات:

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ هذا نعت من الله للذين ينجزون ما تحملوه من الأمانة فيأتمرون بما أمرهم به وينتهون عما نهاهم عنه فيحلون ما أحله، ويحرمون ما حرمه ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ أي: لا ينقضون ما عاهدوا الله عليه من فعل الطاعات وترك المعاصي ولا ينقضون ما عاهدوا غيرهم عليه في أمور الدنيا ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وهذه صفة أخرى من صفاتهم فهم يصلون أرحامهم، ويوفون بكل ما أمرهم الله به من أفعال الطاعات ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخافون الله في قطع أرحامهم ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي: يخافون من عسر الحساب وتدقيقه عليهم ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وهذه صفة أخرى من صفات المؤمنين، يصبرون على فعل الطاعات، ويصبرون على ترك المعاصي ويصبرون على ما يصيبهم في الدنيا من المصائب فلا يجزعون ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهم على صفاتهم تلك يؤدون الصلاة المفروضة بأركانها وفي أوقاتها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: وهم بتلك الصفات يؤدون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون بأعمالهم الصالحة كل

سيئ من الأفعال، فيدفعون الكلمة السيئة بالكلمة الطيبة ويدفعون كل منكر من القول أو الفعل بكل معروف من القول أو الفعل. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقَبَى الدَّارِ﴾ أي: وجزاء لهم على فعلهم ستكون لهم الجنة ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هذا وصف للجنة التي يدخلونها يوم يعرضون على الله فيرون في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أي: ويدخل هذه الجنة هؤلاء الموصوفون هم والصالح من ذرياتهم وأزواجهم؛ لأن دخول الجنة حينئذٍ مترتب على العمل ورحمة الله وليس على علاقة القرابة أو النسب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ أي: ويدخل عليهم الملائكة من أبواب الجنة ويقولون لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يسلمون عليهم قائلين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١). قوله ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي: ولكم السلام وعليكم السلام جزاء صبركم في الدنيا على طاعة الله وترك معاصيه ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: فنعم ما أنتم فيه من الجنة ورضا ربكم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة الوفاء بعهد الله وعدم نقض موثيقه، وفضل الصلة التي أمر الله بها، وفضل الخشية منه ومن سوء الحساب. تقرير

(١) سورة الزمر من الآية ٧٣ .

فضيلة الصبر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ودرء الشر بالخير، فكل هذه من صفات المؤمنين فهذه الصفات وإن كانت فضائل في ظاهرها، إلا أنها في حقيقتها أحكام؛ لأن الله أخذ على عباده الوفاء بعهده، وهو طاعته وترك معاصيه فأصبحوا مكلفين بهذا حكماً. وكما أخذ عليهم هذا العهد أخذ عليهم عدم نقض ما عاهدوه عليه فاقضى ذلك إلزامهم حكماً بعهدهم وهكذا في بقية المسائل.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ﴾ (٢٥)

بيان الآية:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ لما ذكر الله أحوال المؤمنين الذين يوفون بعهده ذكر أحوال الكافرين والمنافقين الذين ينقضون عهده بعد توثيقه عليهم فيحلون ما حرمه، ويحرمون ما أحله ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ أي: يقطعون أرحامهم وكل ما أمر الله بوصله ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بما يرتكبونه من الظلم، والتسلط، والطغيان، وسائر أنواع المعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: لهؤلاء الطرد والإبعاد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي: سوء المآل في الآخرة بما يلاقونه من العذاب المهين.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بتحريم نقض عهد الله، وقطيعة الرحم، وتحريم الفساد في الأرض، فكل هذه من صفات المنافقين وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) ^(١) وفي رواية (وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) ^(٢).

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾

بيان الآية:

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه بحكمته يوسع الرزق على من يشاء ويضيقه على من يشاء من عباده ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: فرح المشركون بالحياة الدنيا وما هم فيه من النعمة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ أي: ليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا مجرد متاع قليل من الأمتعة الزائلة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء من عباده؛ لحكمته فقد يكون في بسط الرزق سوء لصاحبه إذا كان عاصيا لله كما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١.

قال عز وجل ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (١). ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢). وقد يكون في تقتير الرزق مصلحة لمن قتر عليه وشاهده ما ورد في الحديث القدسي (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأطغيته) (٣).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ (٢٧) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾ (٢٩).

بيان الآيات:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ القائلون هم المشركون فقد قالوا لرسول الله ﷺ: إن أردت أن نؤمن بما قلت ونصدقك فحول لنا جبل الصفا ذهباً، وزحزح الجبال عن أماكنها واجعل مكانها بساتين وجنات. وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون قالوا: نعم، قال: فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك عزوجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٦ .

(٣) الأولياء لابن أبي الدنيا ص ١ .

كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة قال: بل باب التوبة والرحمة^(١).

قوله ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ المعنى قل لهم يا محمد إن الله يضل من يشاء أي: كما أضلكم بعد نزول الآيات قد يضلكم بعد نزول غيرها من الآيات الأخرى التي طلبتموها ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ أي: أن الأصل هو هداية الله، وهذه الهداية تتحقق لمن تاب ورجع إليه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ هذا وصف لقلوب المؤمنين، فهي تطمئن وتسكن بذكر الله؛ لأنها تتعلق بمحبته ومحبة طاعته ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: تطمئن قلوب المؤمنين بذكره لأنها متعلقة به خلافاً للكافرين الذين تطمئن قلوبهم لمتع الحياة الدنيا وزينتها. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ طوبى شجرة في الجنة وقد وعد الله بها عباده الصالحين ﴿وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾ أي: ولهم كذلك العاقبة الحسنى.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الضلال والهداية من الله عز وجل، فالضلال ينزل بالذين يكفرون بآيات الله، والهداية تنزل بالذين ينيبون إليه. الحكم بأن قلوب المؤمنين تطمئن بذكر الله؛ لأنها متعلقة بمحبته ومحبة طاعته، وقد وعدهم الله ووعد الحق بأن لهم العاقبة الحسنى في الآخرة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٤٢.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (٣٠)

بيان الآية:

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أي: كما أرسلنا
الأنبياء من قبلك أرسلناك إلى أمتك ﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾
أي: لتقرأ عليهم القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ قيل: إنها نزلت في
كتابة صلح الحديبية، فلما قال رسول الله ﷺ لعلي: اكتب (بسم الله
الرحمن الرحيم) قال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا
صاحب اليمامة، يقصدون بذلك مسيلمة الكذاب. اكتب باسمك اللهم فقال
رسول الله ﷺ لعلي: (اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله)
فقال المشركون: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك
ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال أصحاب النبي
ﷺ: دعنا نقاتلهم فقال: (لا ولكن اكتب ما يريدون) فنزلت الآية (١)
﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الرحمن هو ربي
لا إله غيره ولا معبود سواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت وركنت
﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: هو مرجعي ومعادي إليه.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي مختصراً ص ٤٥٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨

ص ١٥٠، وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٨٦.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بنبوة ورسالة رسول الله محمد ﷺ وأنه أرسل إلى هذه الأمة بشيراً ونذيراً، مثله في حمل الرسالة مثل الأنبياء الذين سبقوه عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم. وتقرير كلمة التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق إلا هو، وأنه لا توكل ولا اعتماد ولا ثقة إلا به.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ قال الامام القرطبي: هذا متصل بقوله ﴿لَوْ لَا أَنزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ ذلك أن نفراً من مشركي مكة منهم أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية جلسوا حول الكعبة ثم أرسلوا إلى رسول الله ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله: إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح؛ فإنها أرض ضيقة فلست

- كما زعمت- بأهون على ربك من داود حين سخر له الجبال تسير معه
 وسَخَّرَ لَنَا الرِّيحَ فنركبها إلى الشام فلست أهون على ربك من سليمان
 فقد سخرت له الرِّيح كما زعمت وأُحْيِ لَنَا جَدَكَ قَصِيًّا فَإِنْ عَيْسَى كَانَ
 يَحْيِي الْمَوْتَى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله هذه الآية (١) ﴿وَلَوْ
 أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾
 أي: أنهم لو هيأنا لهم ما طلبوه لكفروا فما قالوه هو من باب التعجيز
 الهدف منه جحد الرسالة والاستمرار على الشرك ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ
 جَمِيعًا﴾ أي: هو المتصرف في الأمر المدبر له فهو المسخر للريح وهو
 الذي يحيي الموتى يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ﴿أَفَلَمْ يَأْتِشِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا﴾ أي: يعلموا ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي:
 بالآيات التي تأتيهم أو بغيرها مما يفعله ويدبره فيهم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ أي: فاجعة تحل بهم فتدمرهم؛
 بسبب عنادهم وكفرهم وجحودهم لما جاءهم من الحق ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا
 مِّن دَارِهِمْ﴾ أي: كما قد تحل بهم الفاجعة قد تحل قريباً من دارهم
 لتحاصرهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ أي: فتح مكة، أو يوم القيامة ﴿إِنَّ
 اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ أي: إن وعده الحق يقع لا محالة.

﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ

والمعنى أن قوما مثل قومك قد استهزؤوا برسلمهم لست أنت الوحيد في ذلك والمراد استهزاء مشركي قريش برسول الله أن يسير لهم الجبال ذهباً ويسخر لهم الريح ويحيي لهم الأموات ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أنظرتهم وأمهلته لهم في الدنيا، لكي يؤمنوا ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أي: أهلكت الذين لم يؤمنوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: كما رأيت ما حل بالمكذبين من قبلهم من الأمم فكذلك يكون حال المشركين.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن تسيير الجبال وإحياء الموتى وغير ذلك من الآيات مرده إلى أمر الله وحكمته في خلقه. ومن الأحكام: أن الكافرين معرضون للقوارع التي تصيبهم في أنفسهم، أو تكون قريباً منهم؛ لكي يعتبروا ويعرفوا أن ما يصيب غيرهم يصيبهم أنفسهم. ومنها: الحكم بأن الله يملئ للظالمين ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر لقوله عز وجل ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (١). وقول رسوله محمد ﷺ (إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٢).

(١) سورة الحج الآية ٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ برقم (٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٥، والآية في سورة هود ١٠٢ .

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُومَهُمْ أَمْ تُتَّبَعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ المراد هل الذي قائم على كل نفس يتولى أمرها وحفظها ومراقبتها - وهو الله - مثل الذي لا يملك مثل هذا وهم البشر والجواب بالنفي فالله لا يماثله ولا يشابهه أحد من خلقه ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ أي: خلقوا من عند أنفسهم أصناماً وأوثاناً يعبدونها جهلاً وضلالاً ﴿ قُلُومَهُمْ ﴾ أي: قل لهم يا محمد سموهم بما تشاؤون كتسميتهم اللات والعزى وهذا على سبيل الإنكار والتهديد ﴿ أَمْ تُتَّبَعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: أتنبئون الله بشريك له في الأرض والله يعلم أنه لا شريك له في ملكه ﴿ أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ﴾ أي: أتقولون هذا بظن من القول أو باطله ﴿ بَلْ زِينٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴾ أي: زينه لهم ما هم عليه من الكفر والضلال وإمهال الله لهم ﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: صدهم الله عن سواء السبيل بسبب كفرهم ومكرهم ﴿ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾

هَادٍ ﴿١﴾ أي: من يبعده الله عن رحمته فليس له من هاد يهديه، ولا مرشد يرشده.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢﴾ أي: بما يصيبهم من المصائب والرزايا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ ﴿٣﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ ﴿٤﴾ أي: حافظ وحاجز.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله هو القائم بتصريف خلقه وتدبيرهم وأنه يحيط بأقوالهم وأفعالهم كما قال عز وجل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ ﴿٢﴾.

والحكم بضلال عبادة الأصنام، وأن تسمية المشركين لأوثانهم وأصنامهم بأسماء اللات والعزى ومناة إنما هو جهل وضلال وقد زين لهم ذلك الشيطان فأضلهم فصدتهم الله بذلك عن سواء السبيل. والتقرير: بأن لهؤلاء العذاب في الحياة الدنيا بما يصيبهم فيها من البلاء ولهم في الآخرة أشد العذاب وأقساه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾

(١) سورة الأنعام من الآية ٥٩ .

(٢) سورة يونس من الآية ٦١ .

بيان الآية:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: نتلو عليك يا محمد صفة الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ أي: لا ينقطع ﴿وَزُلْهَا﴾ أي: وكذلك ظلها لا ينقطع ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: هي المآل والمقر للذين اتقوا ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ أي: إن النار هي العاقبة للمكذابين.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن أكل الجنة وظلها دائمان لا ينقطعان وشاهده قول الله تعالى ﴿وَفِيهَا كَثِيرٌ مِمَّا لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(١). وقول رسول الله ﷺ (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون) قالوا: فما بال الطعام قال: (جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس)^(٢).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ

(١) سورة الواقعة الآية ٣٣.

(٢) سورة الواقعة الآية ٣٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشياً،

برقم (٢٨٣٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٠٣٦.

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ المراد بهم من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: يفرحون بالقرآن ويسرون به؛ لأنهم آمنوا بما ورد في كتبهم عن نزوله وبما بشرت به من مجيئك بالرسالة ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ أي: من مشركي مكة ومن بعض اليهود والنصارى من يكفر بالقرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن الله أمرني أن أعبده وحده لا شريك له ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ أي: أدعو إلى توحيد الله وعدم الإشراك به وأتبرأ من كل من يشرك به ﴿وَإِلَيْهِ مَعَابٍ﴾ أي: أتوب وأرجع إليه في دعوتي وفي سائر أموري.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ الخطاب لرسول الله محمد ﷺ والمراد أن الله أنزل عليه هذا الكتاب بلغته ولغة قومه كتاباً محكماً فصيحاً، فيه هدى للعالمين يتضمن أحكام الدين الذي أتيت به ﴿وَلِئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي - والخطاب لمحمد ﷺ ولعموم أمته - إن اتبعت أهواء المشركين الذين ضلوا في عبادتهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: بعد ما نزل عليك القرآن ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ أي: لن يكون لك حينئذٍ ولي يواليك أو ناصر ينصرك.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عقيدة التوحيد، وأنها العقيدة الوحيدة التي يدعو إليها رسول الله ﷺ ويتبرأ مما سواها. وتقرير: أن الله أنزل القرآن بلغة رسول الله ﷺ ولغة قومه وفي هذا تشريف لهم. ومن الأحكام: التحذير لأمة محمد ﷺ بعد أن بلغها القرآن من اتباع أهواء المنكرين لعقيدة التوحيد وما يؤدي إليه هذا الاتباع من فقدانهم لولاية الله ونصره.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ قيل: إن اليهود أنكروا على رسول الله ﷺ زواجه من النساء فأنزل الله هذه الآية (١) منكرًا عليهم ذلك ومبينًا أن الرسل كانوا يتزوجون وكان لهم ذرية كما كان نوح وداود وسليمان وغيرهم ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وفي هذا زيادة تفنيد ما طلبه المشركون أن يأتيهم رسول الله بآيات مثل زحزحة الجبال والمراد أنه ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، ومراده ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٣٧ .

أي: أن لكل أمر أرادَه الله كتاب مرقوم عنده.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي: يمحو من الكتاب ما يشاء منه ويثبت منه ما يشاء ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: الكتاب الذي لا يتغير منه شيء وهو اللوح المحفوظ، وقد ذكر ابن عباس في تفسير هذه الآية أن الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو والذي يُثَبِّت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت^(١).

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الزواج عام للبشر، سواء كانوا أنبياء أو غيرهم؛ لأنه من سنن الله وفطرته التي فطر الناس عليها. الحكم بأنه ليس لأحد من رسل الله أن يأتي بآية من عنده بل مرجع ذلك ومرده إلى الله. الحكم بأن الله يمحو من الكتاب ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء.

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يطوف بالبیت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب^(٢).

وقيل: لابن عباس لما روى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١٦٨، والدر المنثور للسيوطي ٤ ص ١٢٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١٦٨.

قال: (من أحب أن يمد الله في عمره وأجله ويبسط له في رزقه فليثق الله وليصل رحمه) ^(١) كيف يزداد في العمر والأجل؟ فقال: قال الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾؛ فالأجل الأول: أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته والأجل الثاني: يعني المسمى عنده من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء وإذا عصى وقطع رحمه نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء فيزيده في أجل البرزخ؛ فإذا تحتم الأجل في علمه السابق امتنع الزيادة والنقصان، لقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ^(٢).

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ^(٤٠) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ^(٤١).

بيان الآيتين:

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ ^(٤٠) المخاطب رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، بلفظ: «من أحب أن يبسط له في رزقه. ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»، فتح الباري ج ١٠ ص ٤٢٩، برقم (٥٩٨٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٣٣٠، والآية في سورة الأعراف من الآية ٣٤.

أي: إن أريناك يا محمد بعض الذي نعدهم من العذاب ﴿أَوْتَوْفَيْنَاكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ أي: أن الذي عليك هو إبلاغهم الرسالة، أما حسابهم فعلينا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ المراد بهم المشركون في مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: أفلا يعرف هؤلاء أننا أهلكنا من قبلهم الأمم التي كذبت رسلها وإن ما حل بأولئك جدير أن يحل بهم إذا استمروا في طغيانهم ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: هو الحاكم وحده لا يرد أحد حكمه ولا يزيد ولا ينقص منه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: يعجل للظالمين عقوبتهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مهمة رسول الله ﷺ هي إبلاغ أمته ما أرسل إليهم فحسب أما حسابهم فعلى الله. ونظيره قوله عز ذكره ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١). ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢). والحكم بأن الله ينقص الأرض أي: يعذب أهل الأرض بسبب معصيتهم وأن ما حل بالأمم التي عصت جدير أن يحل بغيرهم إذا عصوا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة الغاشية من الآية ٢١ .

(٢) سورة الغاشية الآية ٢٢ .

لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: قد مكر قبل أهل مكة أمم كذبوا
رسلهم فمكر الله بهم ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: يعلم بعلمه المطلق
ما تكسبه الأنفس من الأعمال فيجازيها عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر
﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ أي: وسيدرك الكفار يوم القيامة من
ستكون له العاقبة الحسنة ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾
أي: يقول المشركون لست نبيا مرسلا، وإنما أنت بشر تقول ما عندك
وليس من عند الله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾
أي: هو الشاهد على ما قلته والشاهد على ما كذبتم به ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ
عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي: ويشهد بصدقي من عندهم علم الكتاب وهم اليهود
والنصارى المؤمنون الذين يعرفون صفة محمد ﷺ في كتبهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن مكر مشركي مكة لم يكن خاصاً بهم، بل سبق أن مكرت
أمم من قبلهم كذبوا رسلهم فمكر الله بهم. ومن الأحكام: أن الله هو
الشاهد على نبوة ورسالة محمد ﷺ كما يشهد بذلك المؤمنون من أهل
الكتاب (التوراة والإنجيل) الذين يجدون صفته في كتبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم

مكية وآياتها اثنتان وخمسون آية

﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده ﴿رَكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أنزلنا عليك القرآن وحيا يوحى به إليك من ربك ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: لتخرج به الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام والإيمان، وفي هذا تمثيل؛ لأن الكفر بمعنى الظلمات، والإسلام بمعنى النور ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: لتخرجهم من الكفر إلى الإسلام بإذن الله، وهذا لا يكون إلا بتوفيق الله لك ولهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: لتخرجهم من ظلماتهم إلى اقتفاء طريق الله العزيز في ملكه وسلطانه المحمود في أمره وقضائه.

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الموصوف
هو الله العلي الكبير المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما
المتفرد بالخلق والتدبير ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾
في هذا تهديد ووعد للكافرين من العذاب الأليم الذي سينالهم
﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ أي: الذين
اختاروا العاجلة بالآجلة فرضوا بنعيم الدنيا وأعرضوا عن نعيم الآخرة
﴿وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: كما صدوا بأنفسهم عن سبيل
الله يصدون غيرهم عن هذا السبيل ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يريدون
أن تكون سبيل الله تبعا لأهوائهم وشهواتهم ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ﴾ أي: أن هؤلاء ضالون بعيدون عن طريق الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن المراد من إنزال القرآن هو انتشار الناس من ظلمات
الكفر والشرك والجهل، والحكم بأن لله كل ما في السموات والأرض
وما فيهن وأن الكافرين سيلاقون العذاب الشديد؛ بسبب اختيارهم
وتفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة وصددهم عن سبيل الله وفي هذا
قال رسول الله ﷺ: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)^(١).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩)، سنن الترمذي
ج ٤ ص ٤٣٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، برقم (٣٩٥٢)، سنن ابن
ماجه ج ٢ ص ١٣٠٤.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
 ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

بيان الآيتين:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ إن من لطف الله ورأفته بعباده ورفع المشقة عنهم أن أرسل إليهم الرسل بلغاتهم حتى يكون ذلك أيسر لهم في فهم دينهم، وليكون ذلك أيضا حجة عليهم ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يصرف من يشاء من عباده عن الحق ويهدي من يشاء منهم إلى الحق وما كان الله ليضل قوما إلا بسبب تنكبهم عن طريق الحق رغم ما جاءهم من البينات عنه وما كان ليهدي قوما إلا بعد أن آمنوا به واتفقوا وصدقوا ما جاءهم من البينات ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: في سلطانه وملكوته ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمره وتدبيره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ أي: أرسلناه بالمعجزات المؤيدة له في دعوته ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿وَذَكِّرْهُمْ

بِأَيِّسِمِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ أي: ذكرهم بما أنعم الله به عليهم من نجاتهم من فرعون وقومه ومما حل بهم في التيه وما لا قوه من المهانة والذل ﴿١١﴾ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿١٢﴾ أي: براهين ﴿١٣﴾ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٤﴾ أي: للصابر على طاعة الله الشاكر لنعمه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله أرسل الرسل إلى أممهم بلغاتهم، ليكون أيسر لهم في فهم دينهم؛ وليكون أيضا حجة عليهم واختص كل رسول بآيات وبراهين للدلالة على صدقه، وقد اختص الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ بالقرآن وهو أعظم معجزة في بلاغته ودلالته وإعجازه كما اختصه بعموم رسالته وشمولها لكل الناس؛ لحديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة) (١).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعِيحُونَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، برقم (٤٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٦٣٤.

أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عما قاله موسى لبني إسرائيل مذكرا لهم نعم الله عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون وما فعلوه بهم من المهانة والإذلال والتعذيب حيث كانوا يذبحون من يولد من أبنائهم، ويتركون إناثهم فنجاهم الله من ذلك بخلاصهم وإغراق فرعون وجنده ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: نعمة يجب أن تشكروه عليها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ﴾ أي: أعلم وأقسم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: إن شكرتم نعمتي عليكم فسوف أزيدكم منها ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: إن جحدتموها ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ أي: أليم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: قال موسى لقومه: إن كفرتم أنتم وجميع من في الأرض فإن الله غني عنكم حميد أي: محمود في كماله وصفاته.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التذكير بنعم الله على عباده، وأنه عز وجل قد أقسم أن من شكر نعمه سيزيده عليها، وأن من كفر بها سيلقي العذاب الشديد. والكفر بالنعم له عدة وجوه: منها: ترك الطاعة وفعل المعصية؛ فالطاعات تثبت النعم والمعاصي تزيلها. ومنها: وضع النعم في غير موضعها ذلكم أن الله جعل النعم لحاجة عباده في طعامهم وشرابهم ولباسهم وأمنهم، فإذا جعلوها في غير هذه الحاجات فقد كفروا بها، ومن الكفر بها: عدم أداء حقها فقد جعل الله في النعم التي ينعم بها على من يشاء من عباده حقوقاً فيها ومنها: الصدقة على المحاويج والمساكين. ومن الأحكام في الآيات: أن فضل الطاعات وترك المعاصي يعود لصاحبها؛ ذلكم أن الله غني عن عباده، فلا تنفعه طاعاتهم ولا تضره معصيتهم وفي الحديث القدسي: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً) الحديث^(١).

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح

بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

بيان الآيات:

﴿الْمُرَاتِبَاتُ نَبُوءَاتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ استفهام تقريرى المعنى فيه: أن الله قص على رسوله وعلى أمته خبر من كان قبلهم من الأمم التي أرسل إليها نوحاً وهوداً وصالحاً وغيرها من الأمم التي عصت الله وكذبت رسوله. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: لا يحصيهم ويعلم عددهم إلا الله. ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: جاءوهم بالبراهين وبالمعجزات ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: كذبوا رسلهم بأفواههم ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا

بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴿٥١﴾ أَي: أننا نكذب ما أرسلتم به وما قلتم إنه من عند الله ﴿٥٢﴾ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٥٣﴾ والمراد أننا نشك فيما قلتم إنه من عند الله، فلهذا لا نصدقكم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهام إنكاري والمراد أنه لا ريب ولا شك في الله ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منشئها وخالقها ومكونها من العدم إلى الوجود ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يدعوكم لاتباع الحق وترك الشرك والمعاصي لكي يتجاوز عن ذنوبكم وخطيئاتكم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يمهل لكم في الدنيا ﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: قال المرسل إليهم من الأمم لرسولهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، لا فرق بيننا وبينكم فأنتم تأكلون مثلنا وتشربون وتلبسون وتتكلمون مثلنا فما لكم علينا من ميزة وإنما ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أي: إن غايتكم هو صدنا عما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام ﴿فَاتُّونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إن كنتم صادقين، فأتونا بدليل قاطع، وبرهان ساطع، وهذا يدل على شدة كفرهم وجحودهم؛ لأن الأنبياء جاؤوهم بمعجزات ظاهرة، ومع ذلك يطلبون منهم الحجج والبراهين.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: كما قلتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: يتفضل عليه وهو ما

حدث لنا حيث أنعم الله علينا وتفضل بحمل رسالته ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ما كنا لنأتيكم بدليل أو حجة إلا بعد مشيئة الله وإرادته؛ إذ ليس لنا من الأمر شيء إلا ما أمرنا به ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: يتوكل عليه المؤمنون في كافة أمورهم ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ المراد: ما الذي يمنعنا من التوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ أي: وفقنا لاتباع صراطه المستقيم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَاءٍ أَذِيْتُمُْونَا﴾ أي: سوف نتحمل ما جاءنا منكم من الإهانة والتكذيب؛ لأننا نبلغ رسالة الله وتهون علينا نفوسنا في سبيل هذا التبليغ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه يتوكل المتوكلون ونحن منهم فهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير.

أحكام ومسائل الآيات:

توجيه الله لعباده بأن يعتبروا بما قصه عليهم من قصص الأمم السابقة وما حل بها من العذاب حين كذبت رسلها وقد حكم الله وحكمه الحق أنه لا شك في ألوهيته، فهو الذي خلق السموات والأرض وكونها، وهو الإله المتفرد بالوحدانية. ومن الأحكام في الآيات: وجوب التوكل على الله، وتحريم التوكل أو الركون إلى غيره، ووجوب الصبر في الدعوة إلى الله وما يلاقيه الدعاة من الأذى والعنت.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا ﴾ يخبر عز وجل أن الذين كفروا هددوا رسلهم بالطرد من أرضهم وقالوا لهم ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أي: حتى ترجعوا إلى ملتنا التي كان عليها آبائنا ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: قال لهم ربهم: سوف نهلك الظالمين الذين كذبوكم ﴿ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي: ستكون لكم الأرض من بعدهم ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ أي: إنجاء المؤمنين وهلاك الظالمين جزاء لمن خاف يوم القيامة وخاف الوعيد ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا ﴾ أي: أن الرسل لما يئسوا من دعوة قومهم أذن لهم في الدعاء عليهم ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ ﴾

عَنِيدٍ ﴿١٧﴾ أي: خسر كل متكبر معاند للحق ﴿مَنْ وَرَّأَيْهِ جَهَنَّمُ﴾ ﴿١٨﴾ أي: ستكون جهنم من وراء هذا الجبار المتكبر ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿١٩﴾ أي: سيكون شرابه في جهنم الماء الذي مثل الصديد ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ ﴿٢٠﴾ أي: يحاول شربه فلا يستطيع لكرهه وقذارته وسوئه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ ﴿٢١﴾ أي: تحيط به أسباب العذاب من جميع جوانبه ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ ﴿٢٢﴾ المراد أنه ليس بميت فيستريح من معاناة الموت ﴿وَمِنْ وَرَّأَيْهِ﴾ ﴿٢٣﴾ أي: من أمامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ﴿٢٤﴾ أي: شديد وأليم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفار من الأمم السابقة كانوا يهددون رسلهم بإبعادهم إن لم يتبعوهم في كفرهم. تقرير أن الرسل كانوا يدعون على أقوامهم حينما يئأسون من صلاحهم. تقرير أن الله يهلك الظالمين الذين يكذبون رسله وبيان شدة العذاب الذي ينالهم يوم القيامة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ ﴿١٨﴾

بيان الآية:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين الفاسدة، وما تكون عليه يوم القيامة فمثل هذه الأعمال في بطلانها وخسارتها مثل الرماد ﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ فبددته فلم يبق منه شيء ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يحصلون على ثواب أعمال عملوها في الدنيا وظنوا أنهم يثابون عليها، فمثل طلبهم هذا الثواب كمثل الذي يبحث عن الرماد الذي هبت عليه ريح شديدة في يوم كانت فيه عاصفة قوية ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ أي: إن هذا هو السعي الخاسر.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بخسارة الكافرين لثواب الأعمال التي يعملونها في الدنيا؛ لأن أعمالهم تلك ليست مبنية على أساس صحيح، فلو صلوا لم تنفعهم صلاتهم، ولو زكوا لم تنفعهم زكاتهم، طالما أنهم يعبدون مع الله غيره، أو يراؤون في أعمالهم أو غير ذلك من أنواع الكفر كما قال عز وجل ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران الآية ١١٧ .

﴿الْمَرْتَرَاتِ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سُوءًا عَلَىٰ نَا آجِرَ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

بيان الآيات:

﴿الْمَرْتَرَاتِ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يقرر الله هنا حقيقة ربانية هي: خلقه للسموات والأرض بما فيها من الكواكب والبحار والأنهار، وهذه من أعظم آياته ومعجزاته وأنها أكبر من خلق الناس كما قال عز وجل ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (١). وقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: إن يشأ يذهب الناس الذين كفروا به وكذبوا رسله ويأت بأناس لا يكفرون ولا يشركون به، بل يوحدونه ويطيعونه ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: أن هذا ليس بمعجز له بل هو القادر عليه.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: برزت الخلائق كلها برها وفاجرها

(١) سورة غافر من الآية ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٣٣ .

صغيرها وكبيرها يشهدون العرض على ربهم للحساب والجزاء ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: قال الأتباع للمتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: كنا نتبعكم ونأتمر بما تأمروننا به وننتهي عما كنتم تنهون عنه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هل أنتم اليوم - ونحن أتباعكم - تدفعون عنا من عذاب الله من شيء حيث إنكم وعدتمونا بذلك لما اتبعناكم وأطعناكم ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ أي: قال المتبوعون للتابعين: إن الله لم يهدنا إلى صراطه المستقيم فلو أنه هدانا لهديناكم فحق علينا وعليكم هذا العذاب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبْرُنَا﴾ أي: أن هذا العذاب واقع بنا، سواء جزعنا منه أم صبرنا عليه ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ أي: لا مفر لنا ولا محيد منه.

وفي ذلك المشهد من الجدل يتبرأ المتبوعون من التابعين كما قال عز وجل ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنْتُمْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (١). ويتبرأ التابعون من المتبوعين كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

(١) سورة سبأ الآية ٣٢ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣١ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المتبوعين من غير المؤمنين يتبرؤون من تابعيهم يوم القيامة، وهذا يقتضي أن اتباع غير سبيل المؤمنين خسران وضلال كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١).

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢) وأدخل الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

بيان الآيتين:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ حينما يعرف أهل الجنة منازلهم في الجنة، ويرى أهل النار منازلهم في النار، يقوم إبليس خطيباً فيقول للذين اتبعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: إن الله وعدهم على لسان رسله أن لكم الجنة إذا أطعتموه وصدقتم

ما جاءت به رسله وآمنتكم بما جاء في كتبه ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾^ط
 أما أنا فوعدتكم فاتبعتموني وعصيتم أمر ربكم ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
 مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^ط أي: ما كان لي من دليل
 أو برهان فيما دعوتكم إليه إلا مجرد دعوتكم فقبلتم ما قلته لكم
 وصدقتموه.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾^ط أي: لا لوم علي اليوم، وإنما
 لوموا أنفسكم في اتباعكم لي وتصديقكم ما قلته لكم وعصيانكم لربكم
 ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾^ط أي: لست بمنقذكم مما أنتم فيه وليس
 لي أن أدفع العذاب عنكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾^ط أي: إنكم لستم
 بمنقذي مما أنا فيه فكل منا يتحمل جزاء ذنبه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
 أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾^ط أي: إني كافر بما أشركتموني مع الله
 فلست شريكا معه فذوقوا جزاء شرككم ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾^ط أي: إن للظالمين عذابا شديدا، جزاء كفرهم وتوليهم عن الحق
 وعصيانهم لأمر الله.

﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^ط وفي ذلك المشهد يدخل المؤمنون الجنة بكل ما فيها من
 النعيم المقيم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾^ط أي: ماكثين فيها أبدا لا
 يزولون ولا يتحولون ﴿تَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^ط أي: يسلم عليهم الملائكة

حين يدخلون عليهم كما قال عز وجل ﴿وَالْمَلَكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١). ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢).

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الشيطان يغوي أولياءه، ويعددهم، ويمنيهم، ثم يعرض عنهم، ويتبرأ منهم كما قال الله عز وجل ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣). وهذا يقتضي الحذر منه، وتكذيب ما يسول به للنفوس ويمنيها ويعددها به.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦).

بيان الآيات:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لما ضرب الله مثلا لأعمال الكفار، وأنها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ضرب مثلا للمؤمن ﴿كَلِمَةً﴾

(١) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٤ .

(٣) سورة النساء الآية ١٢٠ .

طَيْبَةً ﴿٢٤﴾ هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴿٢٥﴾ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴿٢٦﴾ هي النخلة ﴿٢٧﴾ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴿٢٨﴾ أي: في الأرض مثل قرار كلمة التوحيد في قلب المؤمن ﴿٢٩﴾ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٠﴾ أي: عال وفي حديث عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: (أخبروني بشجرة تشبهه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا، وتؤتي أكلها كل حين) قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: (هي النخلة) فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا^(١).

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ ﴿٣١﴾ أي: تؤتي ثمرها في كل وقت مثلها في ذلك مثل عمل المؤمن المتوالي ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ﴿٣٢﴾ أي: تؤتي هذا الثمر بإذن ربها؛ لأن كل ثمر لا يكون إلا بإرادة الله، وكذلك عمل المؤمن الذي يرفعه الله إليه ويجازيه عليه كل ذلك بإذنه ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ أي: يبينها لهم لعلهم يتذكرون فيتعظون.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٢٤﴾ بِإِذْنِ رَبِّهَا كُلَّ حِينٍ ﴿٣١﴾، برقم (٤٦٩٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٢٨.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر، فلا أصل لعمله ويشبه الشجرة الخبيثة، وهي شجرة الحنظل لا رائحة لها وطعمها مر ﴿أَجْتُنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ أي: قطعت ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي: لا أصل لها ومثلها عمل الكافر لا أصل له ولا فرع ولا قرار ولا يقبل منه صرف ولا عدل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير وجوب التفريق بين عمل المؤمن وعمل الكافر، وأن عمل المؤمن باق وثابت يرفع له ليثاب عليه وأن عمل الكافر لا بقاء له ولا ثبات ولا يرفع له. ومن مسائل الآيات: تقرير ثناء الله على النخلة وفي الحديث: (مثل المؤمن كالنخلة إن صاحبته نفعك، وإن جالسته نفعك، وإن شاورته نفعك كالنخلة، كل شيء منها ينتفع به) (١).

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٢٩) ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ (٢٨)

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (٧٩٣)، بلفظ «مثل المؤمن مثل النخلة إن شاورته نفعك وإن ما شئته نفعك»، وقال وفيه ليث بن أبي سليم. قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٤٦٤: «هو صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك من السادسة».

لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۖ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

بيان الآيات:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: يثبتهم في الدنيا بما كانوا عليه من توحيده، وطاعته في الدنيا، ويثبتهم في الآخرة عند أول منازلها وهو القبر ويثبتهم كذلك عند الحساب وفي حديث البخاري: عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١).

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: يحجب عنهم كلمة الحق عند سؤالهم في قبورهم كما ضلوا عنها في الدنيا، فإذا سألتهم ملائكة القبر أجابوهم بأنهم لا يعرفون ما سألوهم عنه من كلمة التوحيد ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: له الحكم والتصرف في عباده فيهدي منهم من يشاء ويضل من يشاء وله في ذلك حكمة وهو أحكم الحاكمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قيل: إنها نزلت في مشركي مكة^(٢) فقد أنعم الله عليهم برسالة محمد ﷺ حين بعثه الله فيهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ برقم (٤٦٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٢٩.

(٢) تفسير الضحاك ج ١ ص ٤٩٩، وتفسير البغوي ص ٦٨٨.

فكذبوه وآذوه وكفروا بما جاء به فأحلوا بذلك الكفر محل النعمة ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي: أنهم بكفركم هذا أحلوا أنفسهم وقومهم دار البوار أي: جهنم. وقيل: إن المراد من الآية عامة المشركين^(١) بما فيهم كفار قريش، وهذا هو الأولى ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ صفة لدار البوار ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ أي: تعس المقر والمقام. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: جعلوا نظائر من أوثان وأصنام يعبدونها من دون الله ﴿لِّيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: يضلوا أنفسهم ويضلوا غيرهم عن دينه ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ أي: قل لهم يا محمد على وجه التهديد والوعيد تمتعوا بما أنتم عليه في الدنيا، أما مصيركم فسيكون إلى النار.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله يثبت المؤمنين في حياتهم الدنيا وفي الآخرة، وأول ذلك عند نزولهم أول منزل من منازل الآخرة هو القبر. ومن الأحكام: تقرير أن من بدل نعمة الله التي أنعمها عليه بالكفر سيكون له الخسران في الدنيا والآخرة. ويدخل في هذا كل من يصرف قواه التي أعطاه الله إياها في المعصية، وكل من ينفق ما أعطاه الله من المال في المعصية، وكل من يجعل سلطته التي أعطاه إياها في الظلم، وهكذا في كل أمر مشابه.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٤٧.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣٦﴾.

بيان الآية:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمؤمنين قول أمر وتكليف أن عليهم أن ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: يؤدوها بأركانها، وشروطها، وواجباتها في أوقاتها ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي: ويأمرهم أن ينفقوا زكاة أموالهم سرا وعلانية وصدقاتهم وتطوعهم كذلك سرا وعلانية ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ المراد به يوم القيامة، فليس فيه بيع ولا تجارة وليس فيه خلال أي: أصحاب أو أصدقاء، بل أساس جزائه العدل.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بوجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وجواز إخراج الزكاة في العلن، واستحباب صدقة التطوع، في السر وفي كل خير.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ

مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ
لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٠٠﴾

بيان الآيات:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في هذا بيان من الله لعباده أنه الذي خلق السموات والأرض أي: أنشأهما وأبدع صنعهما ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المراد به المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: أخرج به من الشجر ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ والمراد به ما ينتجه الشجر من منافع للإنسان كالتمر والزيتون والأعقاب وسائر أنواع الفواكه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي: سخر السفن؛ لتحمل الإنسان عبر البحار، لما في ذلك من منافع له في التجارة والذهاب إلى الحج وغير ذلك من أنواع المنافع التي تتجلى للإنسان في كل زمان ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ المراد بها البحار العذبة، حيث سخرها لشرب الإنسان وسقي زروعه وأنعامه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي: مستمرين فيهما على عادة جارية لا يفتران إلى ما شاء الله، وفي تسخيرهما منافع للإنسان، ففي القمر نور له، يهتدي به في ظلمات الليل، وفي الشمس فوائد لصحته وفوائد لنباته وأنعامه ومختلف حياته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فالليل سكن له، والنهار ضياء له في معاشه.

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي: أنعم عليكم بكل ما سألتموه من نعمة الصحة في البدن ونعمة العيش ونعمة الأمن والقرار ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ أي: إن تحسبوا نعمه التي ينعم بها عليكم - كالسمع والبصر وأنواع الرزق وأنواع الصحة - فلن تستطيعوا حصرها، لأنها تتجاوز الحصر في كمها وكيفها. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي: إن الإنسان الذي يجحد هذه النعم ويقابلها بمعصية الله لهو ظالم لنفسه عظيم الكفر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قدرة الله وعظيم صنعه في خلق السموات والأرض بكل ما فيهما من الآيات العظام التي جعلها الله لمنافع عباده في دينهم ودنياهم. وتقرير أن نعم الله على الإنسان غير قابلة للحصر، لكثرتها وتشعبها في كمها وكيفها فلو نظرنا - مثلاً - إلى (الكلية) وما فيها من ملايين الأنابيب التي جعلها الله أداة واحدة من أدوات صحته لكفى ذلك دليلاً على هذه النعم وعظمتها كما قال عز وجل ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٣٦).

(١) سورة الذاريات الآية ٢١.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ يخبر تعالى أن إبراهيم دعا لمكة بالأمن ذلك أنه عليه السلام حين ترك إسماعيل وأمه دعا بهذا الدعاء، وقد تقبل الله دعاءه كما قال عز وجل ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١). ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ هذا دعاء آخر منه عليه السلام أن يبعده وبنوه ومن على ملته عن عبادة الأصنام ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: إن هذه الأصنام قد أضلت كثيرا من الناس فعبدوها وتركوا عبادة الله، وليس المراد بالإضلال هنا فعل الأصنام نفسها، فهي جمادات لا حراك لها، وإنما المراد هو جهل وضلال الذين عبدوها ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي: من اتبعني على كلمة التوحيد وترك عبادة ما سوى الله فإنه من أهل ملتي وطريقتي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: من أصر على عبادة الأصنام فإنك تغفر له إذا تاب وأناب ووحدك في طاعتك.

أحكام ومسائل الآيتين:

التقرير بفضل مكة وشرفها على سائر البلدان حيث جعلها الله حرما آمنا كما قال عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٦٧ .

وقوله في حق قريش ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (١). ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٢). فكان أمانهم من أمان البيت الحرام وبسببه. ومن الأحكام: توجيه الله للعبد أن يسأل ربه أن يجنبه ويحميه من عبادة الأصنام، وأن يجعل عمله خالصا له قولا وعملا.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩) ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ (٤٠) ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١).

بيان الآيات:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ لما أمر الله إبراهيم بالرحيل من مكان إقامته وترك زوجته هاجر وولده إسماعيل، ناجى ربه بأنه أسكن بعض أهله وهما زوجته

(١) سورة قريش الآية ٣ .

(٢) سورة قريش الآية ٤ .

وولده في وادٍ ليس فيه زرع قوله ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ أي: عند بيتك الحرام ﴿رَبَّنَا لِيقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إنك جعلته بهذه الحرمة؛ لكي يقيم من سكنه الصلاة فيه، فليكونوا كذلك ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ هذا دعاء بأن يجعل الله القلوب تميل إليهم وتحبهم، قال ابن عباس ومجاهد: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس، والروم، والترك، والهند^(١) وغيرهم ولكن قال ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾ ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ أي: لأنهم في وادٍ غير ذي زرع، فارزقهم من الثمرات مما حولهم فلعلهم لا يكفرون نعمتك، وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فما كانت مكة إلا سلة غذاء يأتيها من كل مكان، وفي كل زمان.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ﴾ أي: تعلم ما نخفيه في أنفسنا وما نعلنه لغيرنا فلا يخفى عليك شيء من أمورنا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ أي: وهب لي إسماعيل وإسحاق في حال كبر سني قيل: إنه لما ولد له كان قد تجاوز المائة سنة^(٢) ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي: إنك تسمع الدعاء لا يخفى عليك منه خافية ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي: من الثابتين على الإسلام فأقيم الصلاة وأقيم جميع أركان الإسلام ﴿وَمِنْ

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ١٦١ .

(٢) تفسير البغوي ص ٦٩٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٧٤٩ .

ذُرِّيَّتِي ﴿١﴾ أي: واجعل ذريتي ممن يقيم الصلاة وتثبته على الإسلام ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ أي: دعائي وسائر عبادتي ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعاء منه بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين وقيل: إن دعاءه لوالديه قبل أن يثبت لديه أنهما مشركان كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (١). ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي: يقوم الناس ليوم الحساب والجزاء يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة، وأن من يكفر بها لا يستحق نعم الله. ومن الأحكام: مشروعية الدعاء وفضله فيما يعود للداعي بالخير في دينه ودنياه، والأصل فيه قول الله عز ذكره ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (٢). وقوله تقدست أسماؤه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٣). ومن الأحكام: مشروعية دعاء الداعي لوالديه

(١) سورة التوبة الآية ١١٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر الآية ٦٠ .

إذا لم يكونا كافرين، وكذا مشروعية الدعاء للمؤمنين، لأن علاقة الدين توجب الدعاء لهم والترحم عليهم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٤٢) ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتَهُمْ هَوَاءً﴾^(٤٣)

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ في هذا تسليية لرسول الله ﷺ عما أصابه من مشركي قريش وتكذيبهم له، والمعنى لا تحسب يا محمد أن الله لما أمهل المشركين كان غافلاً عن عملهم، وسوء صنيعهم إنما يمهلهم ويحصى عليهم أفعالهم ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: يؤجل عقابهم ليوم لا تنفتح فيه الأبصار من شدة هوله ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مسرعين في سيرهم ورافعي رؤسهم كما قال عز وجل ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾^(٢).

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: تشخص أبصارهم من شدة نظرهم

(١) سورة القمر من الآية ٨.

(٢) سورة المعارج من الآية ٤٣.

إلى ذلك اليوم وما فيه من الأهوال ﴿وَأَفْئِدَتُهُمُ هَوَاءٌ﴾ وكما أن نظرهم يظل شاخصا فقلوبهم كذلك خاوية تخرج إلى حناجرهم من شدة الخوف.

أحكام ومسائل الآيتين:

تأخير العذاب عن الظالمين يراد به إمهالهم؛ لأن من حكمة الله إمهال العصاة، فإن تابوا وأنابوا وإلا حل بهم العذاب يوم القيامة أو في الوقت الذي يحدده لهلاكهم في الدنيا.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ۖ﴾ (٤٤) ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ (٤٥) ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٤٦).

بيان الآيات:

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ هذا أمر لرسول الله ﷺ أن ينذر أهل مكة في زمانه، والإنذار يشمل كل ظالم إلى قيام الساعة كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١). ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾

أي: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ
نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ في هذا إخبار من الله عز وجل أن
الظالمين عند معاينتهم العذاب يرجون أن يؤخرهم بعض الوقت حتى
يجيبوا دعوته ويتبعوا رسله فيما جاؤوا به ونظيره قوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (١). ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا
تَرَكْتُ﴾ (٢). وقوله عز ذكره ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ
نَا بِأُولَٰئِكَ وَلَا نَكْذِبُ بِمَا يَتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣). ويرد الله عليهم
بقوله تقدرت أسماؤه ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا
لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾ أي: أولم تكونوا أقسمتم من قبل على الاستمرار
في الكفر والعصيان وإنكار البعث كما قال عز وجل عنهم ﴿وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ (٤). قوله ﴿مَا لَكُمْ
مِّنْ زَوَالٍ﴾ أي: وأنه لا زوال لكم.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ المخاطب المشركون، والمراد
أنكم سكنتم في مساكن عاد وثمود وغيرها ورأيتم ما حل بهم من

(١) سورة المؤمنون من الآية ٩٩ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٠٠ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٧ .

(٤) سورة النحل من الآية ٣٨ .

العذاب، فهل أنتم اعتبرتم بما تبين لكم عن هلاكهم؟ وبعد أن ضربنا لكم الأمثلة في القرآن لعلكم تتعظون فلم تفعلوا. ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ لما كان السياق في كفار قريش فلعلهم المراد من الآية، حيث إنهم تمالؤوا على سجنه أو قتله أو نفيه ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: أنه عليم بما كانوا يبيتونه لرسول الله ﷺ ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المراد أنه لا أهمية لمكرهم ولا قيمة له ولن نزول منه الجبال.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المكر جريمة، وهذا يقتضي أن كل مكر مرده إلى الخسران كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾
 (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
 الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩)
 سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ
 نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١).

بيان الآيات:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ في هذا بيان من الله

(١) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

تعالى أنه لا يخلف ما وعد به رسله من نصرهم في الدنيا ويوم القيامة كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (١). ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ أي: عزيز في ملكه وسلطانه، لا يمتنع عليه ما يريد، وهو ذو انتقام من الكفرة والظالمين.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ هذا عطف على ما قبله، والمراد أن الله لن يخلف ما وعد به رسله يوم تكون الأرض على غير هيئتها وصفتها، ويوم تكون السموات كذلك، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال: (على الصراط) (٢). ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ أي: خرج الناس من أجداثهم متجهين إلى الله الواحد الأحد القهار الذي قهر الجبابرة وذلت له الأعناق وخضعت له الرقاب.

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ ﴾ أي: وحين تبدل الأرض غير الأرض والسموات ترى المشركين ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ أي: مغلولين في القيود ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطَرَانٍ ﴾ أي: لباسهم من قطران وهو مادة حارة تطلّى بها الإبل المريضة، وقد تكون مادة من نحاس (٣)

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، برقم (٢٧٩١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٦٧ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٥٢ .

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ أي: تلفح وجوههم النار ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تجزي بما كسبته من خير أو شر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: سريع في محاسبة الخلائق يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله لا يخلف ما وعد به كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(١). تقرير أن الأرض والسموات تتبدلان يوم القيامة، فتكونان على غير هيئتهما وصفتهما المعهودة وشاهده قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ﴾^(٣). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه)^(٤). ومن الأحكام: بيان مآل المجرمين والظلمة يوم القيامة وما يلاقونه من الذل والمهانة والعذاب.

(١) سورة آل عمران من الآية ٩ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤ .

(٣) سورة الزمر من الآية ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ملك يوم الدين)، برقم (٧٣٨٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٢ ص ٣٧٩ .

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا
أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴾

بيان الآية:

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ ﴾ أي: إن هذا القرآن بلاغٌ للخلق إنسهم
وجنهم ﴿ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ أي: لما فيه من العبر والعظات ﴿ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾ أي: ليعلموا أن الله هو الواحد الأحد لا رب غيره
ولا معبود بحق سواه ﴿ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابِ ﴾ أي: وليتعض أصحاب
العقول بما جاء في هذا الكتاب من الدلالات والبراهين القاطعة الدالة
على وحدانية الله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أنزل كتابه لإبلاغ الخلائق أنه الإله الواحد لا أحد
غيره في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه المستحق وحده
للعبادة. تقرير أن في القرآن بلاغاً للناس عن الحلال وعن الحرام
وعما للمؤمنين من الجزاء بالحسنى وعما للكافرين من العذاب
يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر

مكية وآياتها تسع وتسعون آية

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ۝١ رَبِّمَا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا
وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

بيان الآيات:

﴿الرَّ﴾ تقدم القول فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي: ما تضمنته هذه السورة
من الآيات و﴿الْكِتَابِ﴾ المراد به القرآن ﴿مُبِينٍ﴾ أي: الذي
أبان الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ هذا بيان من
الله أن الكافرين حينما يرون يوم القيامة وأهواله ويرون الصالحين
يدخلون الجنة يتمنون لو كانوا مسلمين مطيعين لله عز وجل
﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ في هذا تهديد ووعد لهم أي: لما
بلغتهم الرسالة فأعرضوا عنها، اتركهم على حالهم يتمتعوا ويأكلوا
﴿وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ أي: يصرفهم أملهم في الدنيا عن توحيد الله
وطاعته ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: سيرون يوم القيامة سوء فعلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القرآن قد فصل للناس أوامر الله التي أمرهم باتباعها كما فصل لهم النواهي التي نهاهم عنها، وإن ترك الكفار يلهون ويتمتعون كان قبل نزول آية القتال التي نسخت هذه الآية^(١) بما يقتضي دعوتهم إلى الله بالحسنى فإن لم يفعلوا وجب قتالهم.

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۖ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۖ ﴿٥﴾ ۞ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۖ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه ما أهلك أمة إلا بعد أن أرسل إليها رسولا يبلغها الرسالة ويقيم الحجة عليها بما ينذرها إذا عصت وتولت عما جاءها من الحق.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ۖ ﴾ أي: لا تتقدم أجلها بالزيادة ولا تتأخر عنه بالنقصان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن أمر الله بعقاب المكذبين له مدة معلومة لا يعلمها إلا هو، وأنه لا يعاقب إلا من بلغتهم الرسالة، وقامت عليهم الحجة كما قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۖ ﴾^(٢).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٥٤ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ١٥ .

﴿ وَقَالُوا يَتَأَيَّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾. ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿ وَقَالُوا يَتَأَيَّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ القائلون كفار قريش وهم يقصدون أن محمداً ﷺ يدعي نزول القرآن عليه ﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي: إنك بدعوتك لنا أن نتبعك ونترك ملة آباءنا تعد مجنوناً ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ أي: إن كنت صادقاً في دعائك، فهلا أتيتنا بملائكة يصدقونك فيما قلت. ونظير هذا قولهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (١).

﴿ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وفي هذا رد عليهم أي: إن الله لا ينزل ملائكة كما طلبوا، وإنما ينزلهم بإبلاغ رسالاته أو أن يعذبوا من أمرهم الله بعذابه ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ أي: لو تنزلت الملائكة كما طلبوا لما آمنوا أو يكون المراد أن الملائكة لو أمرت بإهلاكهم لما أمهلهم الله ولا قبل لهم توبة.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مشركي قريش كانوا يسخرون من دعوة رسول الله ﷺ

(١) سورة الفرقان الآية ٢١.

ويستهزؤون بها. تقرير أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق ورد الباطل وأنهم لو نزلوا ولم يؤمن المشركون بما جاؤوا به لعذبهم الله في الحال.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

بيان الآية:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ أي: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: نحفظه من الزيادة أو النقصان أو التحريف فيه، وفي هذا روي أن أحد الإسرائيليين تردد في إسلامه ثم أسلم، ولما قيل له في ذلك قال: أردت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ زدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي^(١).

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن كتاب الله محفوظ من الزيادة والنقصان كما قال عز وجل

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٥-٦.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢.

وهذا على خلاف التوراة التي استحفظ عليها الأحبار والعلماء كما قال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (١). فلما عهد الله إليهم بحفظها ضيعوها، أما القرآن فقد حفظه كما قال عز وجل ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٣).

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴾ هذا بيان من الله تعالى وتسليية لرسوله محمد ﷺ عما أصابه من تكذيب قريش أنه سبق أن أرسل إلى الأمم البائدة رسلا فكذبوهم واستهزؤا بهم كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وقوله ﴿ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كما سلطنا هذا الشرك والضلال والاستهزاء في قلوب المجرمين نسلكه كذلك في قلوب قومك يا محمد فلا يؤمنون ﴿ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي: قد مضت والمراد عقاب الله للمكذبين والمستهزئين بهم.

(١) سورة المائدة من الآية ٤٤ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الأمم تكذب رسلها وتستهزئ بهم عندما يدعونهم إلى توحيد الله، وطاعته، والبراءة من الشرك به. تقرير أن سنة الله قد مضت في عقاب المكذبين بآيات الله والمستهزئين برسله.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ هذا بيان عن تأصل الكفر والعناد والطغيان في المشركين، فلو فتح الله عليهم بابا من السماء ﴿ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ أي: يصعدون ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا ﴾ أي: خطفت أبصارنا ﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ أي ولقالوا: إنما سحرنا بما نحن فيه.

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ في هذا بيان من الله لخلقه أنه جعل في السماء بروجاً أي: كواكب كما قال تعالى ﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ (١). ﴿ وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ ﴾ المراد السماء والمراد

(١) سورة الفرقان من الآية ٦١ .

بالناظرين المعتبرين المتفكرين في آيات الله وملكوته ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: حفظنا السماء من الشياطين الملعونة والمطرودة من رحمة الله ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ المراد بهم الخطفة يختطفون الأخبار فتتبعهم الشهب، أما الوحي فلا يتعرض له أحد ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ أي: من أراد من الشياطين الاستماع إلى الوحي يتبعه شهاب مضيء فيقتله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن تأصل الكفر والطغيان في المشركين والكفرة يجعلهم لن يؤمنوا، ولو فتح لهم باب من السماء يعرجون فيه. تقرير أن الله جعل في السماء بروجاً؛ لمنافع خلقه وزينها لمن يتفكر ويتدبر في خلقه وآياته. ومن الأحكام: أن الله حفظ السماء من الشياطين، وأن من يحاول استراق السمع منهم تتبعه الشهب كما قال عز وجل ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(١). وفي حديث أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال في تفسير هذه الآية: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحداً فوق آخر فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه

(١) سورة الصافات الآية ١٠ .

فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء^(١).

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (١٩) ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (٢٠).

بيان الآيتين:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لما خلق الأرض مدها، فجعلها واسعة منبسطة وثبتها بالجبال الرواسي حتى لا تتحرك فلا يكون للخلق عليها قرار كما قال عز ذكره ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ وقوله ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: أنبت فيها من كل شيء معلوم ومقدر مما يحتاجه خلقه من الأشجار والنباتات لمعاشهم وأرزاقهم.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ أي: جعل لخلقها أسباب المعيش من الطعام والشراب التي لا غنى للخلق عنها ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ أي: من لستم بمطعميه ورازقيه كالأنعام والدواب التي تكفل الله

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾، برقم (٤٧٠١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٣١.

برزقها، ألا ترى كيف تعمل النملة لجمع رزقها وكيف يسخر الله للطيور أرزاقها فتنتقل من محل إلى آخر عبر آلاف الأميال لتجد رزقها فيه بعد أن هداها الله إليه إن في ذلك لعبرة لأولي الأبواب.

أحكام ومسائل الآيتين:

بيان حكمة الله في خلقه بأن جعل الأرض لهم قراراً آمناً وسخر لهم فيها أنواع النبات المقدرة التي فيها صالح معاشهم وأنعامهم وما خلق الله فيها من الطيور والدواب التي خلقها لمنافعهم.

﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾
 ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ يبين الله عز وجل في هذه الآية أنه مامن شيء لصالح خلقه، إلا وعنده خزائنه وما ينزل منه إلا ما كان لمصلحتهم وبالقدر الذي يحقق هذه المصلحة، فهو ينزل من المطر بقدر حاجة خلقه وينبت لهم من النبات والشجر ما فيه حاجتهم وكفايتهم وهو معنى قوله تعالى ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: فما بالك لو أنزل الله المطر بغير حاجة خلقه لكان فيه ضرر لهم ولو أنبت لهم الأشجار والنبات أكثر من حاجتهم لصعب عليهم

ذلك وضافت بهم الأرض بما رحبت.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه يرسل الرياح لحكمة وهي تلقيح السحاب؛ لينزل منه المطر وتلقيح الشجر بعضه من بعض، وتزدهر أوراقه، وتتفتح أزهاره ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: ينزل المطر بعد تلقيح الرياح للسحاب ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أي: أصبح شرابا لعباده وسقيا لنباتهم وشرابا لأنعامهم ودوابهم ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: لستم أيها الخلق بحافظيه، بل الله يحفظه فيرسله في باطن الأرض ليكون أنهارا جارية أو آبارا تختزنه لحين حاجتهم له.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أنه مامن شيء إلا وعند الله خزائنه. تقرير أنه ما من ماء ينزل من السماء ولا نبات ينبت في الأرض إلا بمقادير معلومة وبموازين دقيقة، علم الله فيها مصالح خلقه في طعامهم وشرابهم وسائر منافعهم.

قلت: وفي قوله عز وجل في الآيتين السابقتين ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ إشارة لعباده بأن كل شيء محكوم بقدرته وحكمته في حفظ الكون علوه وسفليه. وفيه أمر لهم بالمحافظة على الأرض التي أسكنهم فيها، وجعل فيها معاشهم بما يقتضي منهم إصلاحها، وعدم إفسادها

كما قال عز وجل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١).

والإصلاح: إطار عام لكل ما يجب على العباد أن يفعلوه فيها من أعمال الخير، ولهذه الأعمال ثلاثة وجوه: الأول ما مناطه علاقتهم بخالقهم، وهذا يقتضي وجوب طاعته والائتمار بأوامره، والانتفاء عن نواهيها. كما يقتضي طاعة نبيه ورسوله محمد ﷺ في كل ما أمرهم به أو نهاهم عنه. والثاني: ما مناطه علاقتهم ببعضهم، ووجوب التعامل بينهم وفق القواعد والأحكام التي شرعها الله لهذا التعامل. والثالث: ما مناطه التعامل مع الأرض التي يعيشون عليها.

ولهذا التعامل صورتان: الإصلاح فيها، وعدم إفسادها. أما إصلاحها فهو إعمارها؛ لأن الله عز وجل أراد من عباده هذا الإعمار في قوله عز ذكره ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٢). ومن الإعمار على سبيل المثال زرع الأشجار والنبات؛ لما في ذلك من المنافع لهم في طعامهم وشرابهم ولهذا قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان له ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إن كان له صدقة إلى يوم القيامة)^(٣).

(١) سورة الأعراف من الآية ٨٥.

(٢) سورة هود من الآية ٦١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٤٢٤٠-٤٢٤٢، برقم (١٥٥٢).

ومن إعمارها: إحياء ما لم يحي منها؛ لما في هذا الإحياء من المنافع ليس للعباد فحسب، بل لكل المخلوقات على هذه الأرض من حيوانات ودواب وطيور ولهذا قال رسول الله ﷺ: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له)^(١). وقد جعل الإمام الشافعي: هذا الإحياء مطلقاً بمعنى أنه لا يتطلب الإذن من أحد^(٢).

ومن الإصلاح في الأرض: تنظيفها لتكون سالمة من الأقدار والنجاسات؛ لأن صلاحها يقتضي بالضرورة نظافتها؛ لأن الله ما خلق من شيء إلا ونظافته معلومة بالضرورة؛ ولهذا كان من الأوامر الأولى لرسوله محمد ﷺ أمره بتطهير ثيابه في قوله عز ذكره ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾^(٣). ومن خصائصه النبوية أن الأرض جعلت له مسجداً وطهوراً كما قال عليه الصلاة والسلام: (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل)^(٤). ونظافة الأرض إطار شامل لا يقتصر على طهارة الإنسان في جسده ومطعمه ومشربه وملبسه فحسب، بل يتعدى إلى كل جزء من حياته كحال سيره في طريقه، ولهذا عد رسول الله ﷺ إمطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان في قوله: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني ج ٢ ص ٥٩٤، برقم (٢٦٣٨)، قال الألباني: «صحيح».

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧٧.

(٣) سورة المدثر الآية ٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، فتح الباري ج ١ ص ٥١٩، برقم (٣٣٥).

وأدناها إمطة الأذى عن الطريق)^(١).

أما ما يجب على العباد من عدم إفساد الأرض فيتمثل في عدة أمور: منها: عدم العبث بالموارد الطبيعية واستغلالها خلاف ما يحتاج إليه الإنسان لطعامه وشرابه وحاجاته الضرورية، كما يجري اليوم في قطع أشجار الغابات واستنزاف الموارد، وإنهاك الأرض بالمخصبات والمحسّنات الكيماوية إشباعاً للرغبات المادية الجامحة دون تفكير في عواقب هذا الاستغلال على حياة الإنسان في المدى القريب والبعيد.

ومن هذه الأمور: الحد من التجارب في المختبرات النووية وغيرها أو منعها؛ لما تؤدي إليه هذه التجارب من نشر الغبار المشع وتعرض طبقات الجو العليا للفساد. ومن هذه الأمور: العمل على منع تلوث الهواء والغذاء والماء نتيجة تكالب الشركات الكبرى في العالم على إنتاج المبيدات والمخصبات بقصد الربح مما يؤدي إلى انتشار الأمراض وانتقالها بين البشر والكائنات الأخرى كما هو مشاهد في هذا الزمان من انتشار الأمراض بين الحيوانات والطيور وانتقالها عبر القارات ووفاة أعداد من البشر ممن يباشرونها أو يستخدمونها لمنافعهم.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٥٩٣، برقم (٣٥).

إن الله عز وجل لما أحكم إنبات النبات، وأحكم إنزال المطر وجعل لكل شيء قَدْرَهُ وفق مقاييس وأسس ربانية إنما كان ذلك لسلامة البيئة (الكون) ومصلحة العباد وسلامتهم من الأخطار؛ فإذا تعدوا على هذه الأسس وحاولوا العبث في هذه المقاييس فإنهم بذلك يعبثون بأنفسهم. وقد ظهرت نتائج هذا العبث فيما أصبح يعرف في هذا الزمان بظاهرة (الاحتباس الحراري) وما أدى إليه هذا الاحتباس من سخونة الأرض وحرارتها وما نتج عنه من هيجان البحار والمحيطات والأنهار وقوة الرياح والأعاصير المدمرة وتشرذم الآلاف من البشر.

إن ما حدث أو يحدث من خلل في البيئة إنما هو نتيجة شره الإنسان وعدم استجابته لأوامر الله، واتباع سننه في الكون، فإذا لم يستجب لهذه الأوامر والسنن، فإنه سيدمر الأرض التي يعيش عليها، وبالتالي سوف يدمر نفسه وحضارته كما قال عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١).

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾^(٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ^(٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(٢٥).

(١) سورة الرعد من الآية ١١ .

بيان الآيات:

﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه يحيي الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ أي: إنه هو الوارث للأرض ومن عليها من الخلائق ونظيره قوله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (١). ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ هذا بيان من الله أنه عز وجل يعلم من مات من الخلائق منذ وجد آدم على الأرض كما أنه عز ذكره يعلم من هو حي من الخلائق ومن سيموت إلى يوم البعث وهو معنى قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِبِينَ﴾ أي: الموجودين من الأحياء ومن سيوجدون إلى أن تقوم الساعة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: يحشر الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء أنه ﴿حَكِيمٌ﴾ أي: فيما يفعله بهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما عملوا من الأعمال الصالحة أو السيئة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله هو المتصرف في خلقه بالحياة والموت، وتقرير أن المتقدم في سائر الاعمال أفضل من المتأخر فيها، وقد ذكر ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا

(١) سورة مريم الآية ٤٠ .

الْمُسْتَعْرَيْنَ ﴿٢٦﴾ أي: المتقدمين في الصلاة والمستأخرين بها^(١) وهذا يقتضي أن المبادرة في العمل أفضل من التأخير فيه كالصلاة في أول وقتها، والتقدم في الصف الأول، وكذلك دفع الزكاة في وقتها، والحج في بداية عمر المسلم، والمبادرة بالنهي عن المنكر قبل أن يستفحل، وهكذا في كل أمر مشابه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ المراد به خلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ الصلصال: الطين اليابس يكون له صلصلة أي: صوت. قوله ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي: من طين أسود متغير ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد أنه خلق قبل خلق آدم وهو أبو الجن^(٢) وهو مثل آدم بالنسبة للإنس وقيل: المراد به الشيطان ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ أي: الريح الحارة قيل: إنها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم^(٣).

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن بداية خلق الإنسان من طين، وأصله التراب كما قال عز وجل

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ٢٦ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٦٠ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٦٠ .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾^(١). وقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(٢). وفيه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم)^(٣).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلَٰصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبٰٓئِيسَ مَا لَكَ ٱلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمَ ٱكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلَٰصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد إخبار الله له عليه الصلاة والسلام أنه قال للملائكة أنه سيخلق بشرا من طين ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أي قال لهم: إذا سويت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ أي: أكملت خلقه بالنفخ فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ، سَٰجِدِينَ﴾ أي: خروا له بالسجود أي: سجدود تحية وتكريم لا سجدود عبادة؛ لأن هذا

(١) سورة غافر من الآية ٦٧ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة برقم (٢٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٧٥ .

السجود لا يجوز إلا لله وحده ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾
 أي: سجدوا كلهم ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ أي:
 تكبر واستعظم في نفسه فلما قيل له: لم لا تكون مع الساجدين
 ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاصِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾
 ومراده من قوله هذا الكبر والحسد والاستعلاء؛ لأنه خلق من نار فهو
 يرى نفسه في منزلة أعلى من آدم في الخلق.

أحكام ومسائل الآيات

الحكم بأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله وحده، وأن المراد
 بسجود الملائكة سجود تحية وتكريم. تقرير أن الحسد مما حرمه
 الله وفيه قال عز وجل ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
 فَضْلِهِ ﴾ (١). وأمر رسوله محمدًا ﷺ أن يتعوذ من الحسد والحاسد في
 قوله ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٢). وفي الحديث: أن رسول الله
 ﷺ قال: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) (٣). التقرير
 بتحريم الكبر، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (لا يدخل الجنة من
 كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (٤).

(١) سورة النساء من الآية ٥٤ .

(٢) سورة الفلق الآية ٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الحسد، برقم (٤٢١٠)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٤٠٨،
 وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد، برقم (٤٩٠٣)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٩ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح
 النووي ج ١ ص ٧٣٥ .

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ .

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ أي: أمر الله إبليس أن يخرج من الجنة أو
من عداد الملائكة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ أي: مطرود وملعون ﴿ وَإِنَّ
عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ﴾ أي: عليك لعنتي وغضبي ﴿ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي:
يوم القيامة فسأل إبليس أن ينظره الله فلا يميته بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ
فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فأجابه الله عز وجل بقوله ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ أي: المؤجل لهم الموت ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾
أي: موت الخلائق.

أحكام ومسائل الآيات:

لم يكن أحد أكثر شراً وأكثر طرداً من رحمة الله من إبليس، ولحكمة
الله فقد استجاب لسؤاله عندما طلب إنظاره إلى يوم يبعث الخلائق،
فاقتضى هنا أن الله لا يرد سؤال من سألَه ولو كان كافراً والأصل فيه:
قوله عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (١). والكافر يعد من عباد الله؛ لأن كل مخلوق

هو من عبيده والأصل أيضا فيه: قول رسول الله ﷺ: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) (١).

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى
مُسْتَقِيمٍ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ
بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَي يقول إبليس:
كما أغويتني وأضللتني يارب لأغوين عبادك ولأزينن لهم المعاصي وسوف
أشغلهم عن طاعتك وعبادتك وألبس عليهم في معاملاتهم وفي مختلف
أحوالهم ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: لن أستطيع إغواء
عبادك الذين يخلصون في عبادتك وطاعتك، فلم ينافقوا ولم يراؤوا ولم
يرابوا، بل كانوا أشداء في دينهم ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا
جواب من الله عز وجل أن هذا عهد من الله ألا تنال من عبادي المؤمنين،
ودليله قوله عز ذكره ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾، برقم (٧٤٥٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٩.

أنه ليس لك يا إبليس سلطان على عبادي الذين هديتهم حين عبدوني وأخلصوا العبادة لي ﴿إِلَّا مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ أي: الذين اتبعوك بسبب شركهم وفسادهم ومعاصيهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: ستكون جهنم لك ومن اتبعك منهم.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي: لجهنم سبعة أبواب أي: أطباق لكل طبقة منها باب يدخل معه أهل النار كل حسب عمله وهو معنى قوله ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن إبليس يزين للناس المعاصي واتباع الشهوات ويدخل على المسلم من باب الهوى والغضب، أما الهوى فقد مقتته الله في آيات كثيرة من كتابه الكريم منها قوله ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١). وقوله ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢). وقوله عز ذكره ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ (٣).

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة ص من الآية ٢٦ .

(٣) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

وأما الغضب فهو باب للشيطان يدخل معه إلى المرء حين يشتد عليه مما يجعله يستبد به، فقد يسب نفسه وغيره؛ بسبب غضبه، وقد يطلق زوجه بسببه، وقد يفعل منكرات كثيرة ولهذا قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: (إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)^(٢).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ هذا بيان من الله أن المتقين الذين آمنوا بالله واتقوه في جنات وعيون، أي: يقيمون في بساتين وأنهار ﴿أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ أي: ادخلوا هذه الجنان وأنتم سالمون من الآفات والأدران والأمراض آمنون من العذاب ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ﴾ لما كان البشر في الدنيا يتباغضون ويتحاسدون

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم (٦١١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٣٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٤ ص ٢٢٦.

من أجل حطام الدنيا فإن أهل الجنة على خلافهم حيث يذهب الله من صدورهم ما كان فيها من أغلال الدنيا فيجعلهم إخوانا متحابين متقابلين كما قال عز وجل ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ أي: لا يصيبهم في الجنة تعب ولا إرهاق ولا يخرجون منها، بل هم فيها مخلدون في نعيم لا يزول ولا يحول.

تقرير أن صفة أهل الجنة وسلوكهم يختلف عن صفة وسلوك أهل الدنيا.

تقرير أن صفة أهل الجنة وسلوكهم يختلف عن صفة وسلوك أهل الدنيا. تقرير أن الضغائن والبغضاء من طبائع البشر وأن هذه الطبائع تزول بدخولهم الجنة وفي حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبوا ونُقُوا أذن لهم في دخول الجنة) (١).

﴿ نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ .

بيان الآية

﴿ نَبِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، برقم (٦٥٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٤٠٣ .

ورسوله محمد ﷺ أن يبلغ عباده أنه هو الغفور الرحيم لمن آمن به وتاب إليه وتجرد من ذنوبه وأحسن في قوله وفعله كما قال عز وجل ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ وهذا أيضا أمر من الله لنبيه ورسوله أن يبلغ أمته أن عذاب الله عذاب شديد لمن عصاه وانتهك محارمه وأعرض عن أمره.

أحكام ومعارف الآية

تقرير أن العبد يجب أن يكون راجيا لله طامعا في رحمته وأن يكون بنفس القدر خائفا من عقابه. وفي صحيح مسلم: من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته)^(٢).

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿ قَالُوا بِشَرْنَكَ

(١) سورة الأعراف من الآية ٥٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٥)،

صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٨٧١ .

بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

بيان الآيات:

﴿وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله أن يخبر قومه عن ضيف إبراهيم، والمراد بهم الملائكة ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي: دخلوا بيته ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: سلموا عليه فرد عليهم ﴿وَقَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: فزعون خائفون، ولأمر ما حصل هذا الوجل وهو أنهم لما دخلوا عليه احتفى بهم فقدم لهم طعاما كعادة المضيف فيما يفعله نحو الضيف، فلما رآهم لا يأكلون كعادة الضيوف أبدى فزعه وخوفه منهم فأجابوه بقولهم ﴿لَا نُوْجَلُ﴾ أي: لا تخف ﴿إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ أي: بولد سيكون له علم كثير والمراد به إسحاق كما سبق ذكره في سورة هود فأجابهم بقوله ﴿أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: بعد أن أصابني الكبر أنا وزوجتي ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ استفهم منهم وتعجب من هذه البشارة فقالوا له ﴿بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِينَ﴾ أي: بشرناك بما كتبه الله لك من الولد فلا تكن من الآيسين منه بسبب ما تظن أنه يحول بينه وبينك كبرك فالله لا يعجزه شيء فرد عليهم عليه السلام

بقوله ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ أي: لا أحد يقنط من رحمته وفضله على عباده في كبرهم أو صغرهم وفي كل أحوالهم إلا الضالون الذين حادوا عما جاءتهم به رسل الله فأضلهم الشيطان وهو بهذا نفى أن يكون قنط من رحمة ربه، ولكنه إنما تعجب من مجيء الولد له بعد أن كبرت سنه وضعفت قواه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مشروعية إكرام الضيف والاحتفاء به، وفيه حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) الحديث^(١). وفي حديث خويلد بن عمرو الخزاعي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته) قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: (يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه)^(٢).

تقرير تحريم القنوط واليأس من رحمة الله، ونظيره قوله عز وجل ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣). وقوله عز ذكره

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، برقم (٦١٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٦٠.

(٣) سورة يوسف من الآية ٨٧.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٢) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣) ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤) ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٥).

بيان الآيات:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ لما تبين لإبراهيم عليه السلام أن ضيوفه ليسوا ضيوفا عاديين؛ ذلك أنهم بشروه بالولد ولا يبشر بذلك إلا قوم لهم صفة أخرى غير صفة البشر؛ فلهذا سألهم عن الأمر الجلل الذي جاؤوا من أجله فأجابوه بقولهم ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ وفي الكلام إخفاء أي: إنا أرسلنا إلى قوم ضالين؛ لكي نهلكهم بأمر ربنا وهم قوم لوط، ثم استثنوا ممن أمروا بإهلاكهم آل لوط كما قال تعالى عنهم ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ﴾ والمراد بهم من اتبعه على دينه ولم يفعل الفعلة الشنعاء التي كان يفعلها قومه وهي إتيان الفاحشة بين الرجال، ثم استثنوا ممن كتبت له النجاة امرأة لوط لكونها كافرة مثل قومها فقدّر الله أنها من الغابرين أي: المهلكين بالعذاب وهو معنى قوله تعالى ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

أحكام وحكماء في الحديث

وصف قوم لوط بالمجرمين، وهذا يقتضي أن من يفعل فعلهم يعد مجرماً تجب معاقبته بأشد العقوبة. تقرير أن العلاقة الأساسية بين المرء وأهله - كما ذكر - علاقة دين وليست علاقة قرى فقط كما قال عز وجل ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (١). وقوله في حق ولد نوح ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (٢).

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٤) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْنِفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿

بيان الآيات

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لما أتى الملائكة لوطاً استنكرهم وكانوا حسان الوجوه ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لا أعرفكم وكانت خشيته الخوف عليهم من قومه فأجابوه قائلين ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: أتينا بالعذاب الذي يشك

(١) سورة التوبة من الآية ٧١ .

(٢) سورة هود من الآية ٤٦ .

قومك أنه يحل بهم ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: جئنا معنا بالعذاب ونحن صادقون فيما نقول.

﴿فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ الآية.. هذا بيان من الله أن الملائكة أمروا لوطاً أن يسري بأهله في جزء من الليل، وأن يكون خلفهم حتى لا يتأخر أحد منهم عن الذهاب كما أمروه ألا يلتفت منهم أحد، وأن يسيروا حيثما أمروا بالذهاب إليه، وهو بلاد الشام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي: أوحينا إلى لوط أن العذاب واقع لا محالة بقومه في الصباح كما قال تعالى ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (١). وقوله عز ذكره ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المضيف قد ينكر الضيف في نفسه حتى يتبين له أمره. تقرير أن السير في الليل يجوز لمن أَرَادَهُ. تقرير أن رئيس القوم في الغزو وفي غيره يكون وراء قومه لتفقد من يكون منهم قد عجز أو انقطع وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي

(١) سورة هود من الآية ٨١.

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٥.

فَلَا نَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنْ
الْعَلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾

بيان الآيات:

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن قوم لوط لما علموا بأن عنده رجالاً حسان الوجوه استبشروا بهم طمعا منهم (لعنهم الله) في فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ إِنْ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا نَفْضَحُونِ﴾ أي: إن هؤلاء ضيوفي فلا تخجلوني من تصرفكم وسلوككم ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ولا تُلْزِموني العار بالاعتداء على ضيوفي الكرام فردوا عليه ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنْ الْعَلَمِينَ﴾ أي: قد سبق أن نهيناك أن تأتي إلى قريتنا برجال غرباء؛ لأن من يأتينا سوف نفعل فيه ما نريد فحاورهم عليه السلام قائلاً ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: إن لديكم من أزواجكم ما يغنيكم عن هذا الفعل الشنيع والمراد من قوله عليه السلام بناتي نساؤهم، فهم بمثابة بناته لأنه النبي الذي أرسل إليهم وقد يكون المراد أنه عرض عليهم الزواج الشرعي من بناته حتى يكفوا عن طلبهم الشنيع، وقد تقدم القول عن هذا.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الدفاع عن الضيف حين التعرض له بأذى؛ لأن ذلك من معاني الكرامة، وقد كانت عادة العرب في جاهليتهم وإسلامهم حماية ضيفهم إذا دخل عليهم.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ

﴿٧٦﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٧﴾

بيان الآيات

﴿لَعَمْرُكَ﴾ هذا قسم من الله بمدة حياة رسول الله ﷺ قال

القاضي عياض: أجمع أهل التفسير أن في هذاقسماً من الله جل جلاله

بمدة حياة محمد ﷺ ومعناه (وبقائك يا محمد) وقيل: (وحياتك) وهذا

نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف^(١). ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

أي: إنهم في ضلالهم وفسادهم يلعبون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾

أي: أخذهم العذاب عند شروق الشمس حيث قلب الله بلادهم عاليها

سافلها كما قال عز وجل ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ

حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: أمطرهم الله بحجارة من سجيل أي: من

طين مطبوخ بالنار حتى صار شديدا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير خصوصية وشرف رسول الله محمد ﷺ حيث أقسم الله

به وقال ابن العربي: وما الذي يمنع أن يقسم الله بحياة لوط ويبلغ

به من التشريف ما شاء ؟ فكل ما يعطي الله للوط من فضل ويؤتيه

من شرف فلمحمد ضعفاه؛ لأنه أكرم على الله منه، أولا تراه قد أعطى

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٩ .

لإبراهيم الخلة، ولموسى التكليم، وأعطى ذلك لمحمد (١) ؟

قلت: وقسم الله بمحمد ﷺ قسم خاص به، ولا يجوز لأحد أن يقسم به أو بغيره من الأنبياء أو المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، وليس لهم أن يقسموا إلا به، فإن أقسموا بأحد من خلقه أثموا، والأصل فيه قول رسول الله ﷺ: (فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلا فليصمت) (٢).

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلِ مُقِيمٍ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

بيان الآيات

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: إن فيما حل بقوم لوط من العذاب عبرٌ ومواعظ لمن يتأمل ذلك ويتفرسه بعقل وبصيرة ﴿ وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلِ مُقِيمٍ ﴾ في هذا يبين الله لنبيه أن قرى قوم لوط تقع على طريق الشام الذي يمر به قومك لعلهم يعتبرون ويعلمون أن ما أصاب الظالمين حري أن يصيبهم إذا استمروا في تكذيبك، وقد تحولت هذه

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١١٣٠ .

(٢) أحكام القرآن ج ٣ ص ١١٣٠، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، برقم (٦١٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٣٢ .

القرى إلى بحيرة كريهة تعرف الآن (ببحيرة لوط). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تأكيد وتقرير بأن ما أصاب قوم لوط من العذاب يجب أن يكون عبرة للمؤمنين.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، والمراد بالأيكة مجموعة الشجر^(١)، فقد كان لهؤلاء أشجار ونبات، وقد ظلموا وطفخوا في تعاملهم مع بعضهم فنقصوا المكاييل والموازين، فإن اكتالوا لأنفسهم استوفوا بالكمال، وإن كالوا أو وزنوا لغيرهم نقصوهم، فأخذهم الله بالصيحة وعذاب يوم الظلة قال تعالى: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُم وَإِنَّهُمْ لِبِأَمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: طريق بين قريب من قرى قوم لوط (سدوم) كما قال تعالى ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب التفكير فيما يصيب الظالمين من العذاب كما قال عز وجل ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٦٤.

(٢) سورة هود من الآية ٨٩.

(٣) سورة محمد الآية ٢٤.

عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانُوا لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١﴾

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ۖ ﴿ وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ ۖ ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ ۖ ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ ۖ ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ۖ

بيان الآيات

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أصحاب الحجر: هم ثمود قوم نبي الله صالح، وديارهم معروفة في وادي الحجر المعروف، ولا تزال آثارها وأطلالها باقية إلى اليوم، وقد وصفهم الله بأنهم كذبوا المرسلين ولم يرسل إليهم إلا نبي الله صالح، ولكنهم لما كذبوه كانوا بمثابة من كذب الرسل؛ لأن من كذب واحدا من رسل الله فقد كذبهم كلهم؛ لأن رسالتهم واحدة هي توحيد الله بالعبادة. ﴿ وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ المراد بذلك الناقة التي أخرجها الله لهم من صخرة، فكانت لهم آية جعل الله لها الماء يوما ولهم يوم، واليوم الذي تشرب فيه الماء تسقيهم لبنا يشربون منه جميعا لكثرتهم، وقد قابلوا ذلك بالكفر فعقروا الناقة وأعرضوا عما جاءهم به نبيهم صالح من الدعوة إلى الله.

﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ أي: كانت بيوتهم منحوتة

في الجبال آمنين فيها أي: يعتقدون أنهم سيأمنون فيها من الموت أو العذاب ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ أي: أخذوا بالعذاب وقت الصبح ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي: لم تغنهم ولم تنجهم من العذاب أموالهم ولا بيوتهم المحصنة في الجبال.

أحذرتهم ويصبرون

تقرير أن أصحاب الحجر قوم صالح من المعذبين؛ بسبب طغيانهم وركونهم إلى قوتهم وتكذيبهم لنبيهم كما قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١). وقد اقتضى هذا الاعتبار بما حدث لهم، ففي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم ألا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عَجْنَا منها واستقيننا، فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء (٢). وفي حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال في أصحاب الحجر: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم حذراً أن يصيبكم ما أصابهم) (٣).

(١) سورة فصلت الآية ١٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ، برقم (٣٣٧٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤٣٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ ، برقم (٣٣٨٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٤٣٦ .

ويترتب على هذا: عدم جواز الصلاة في تلك الأرض وعدم التيمم من ترابها، وعدم جواز الانتفاع بما فيها من ماء أو غيره كالشرب أو الوضوء، وعدم دخولها، إلا أن يكون ذلك للاعتبار والوجل والخوف.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ المراد أن الله ما خلق السموات والأرض عبثاً فحاشاه ذلك كما قال عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (١). بل خلقهما ليعبده من يخلقه فيهما، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على إساءته كما قال تعالى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٢). ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ أن يتجاوز عن المشركين ويعرض عنهم، وهذا قبل الأمر بقتالهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ أي: الخالق لكل شيء، العليم بما خلق الحكيم فيما دبر

(١) سورة ص الآية ٢٧ .

(٢) سورة النجم من الآية ٣١ .

وأمر كما قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (۱).

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الله خلق السموات والأرض ليعبده من فيهما كما قال عز وجل ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (۲). التقرير بالصفح عن المشركين، وكان هذا قبل نزول قوله تعالى ﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (۳).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ (۴) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ ۸۸ ﴾

بيان الآيتين:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ وقد اختلف في السبع المثاني فقليل: هي الفاتحة أم الكتاب (۴) ففيها سبع آيات هي السبع المثاني وقيل: هي السور الطوال (۵) البقرة وآل عمران

(۱) سورة يس الآية ۸۲ .

(۲) سورة المؤمنون الآية ۱۱۵ .

(۳) سورة النساء من الآية ۹۱ .

(۴) تفسير مقاتل بن سليمان ج ۲ ص ۲۱۰، وتفسير ابن وهب ج ۱ ص ۴۲۶ .

(۵) تفسير الضحاك ج ۱ ص ۵۱۰ .

والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معاً أو يونس في قول آخر دون الأنفال والتوبة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ أي: وكما آتيناك الفاتحة آتيناك القرآن العظيم وهو أعز وأعظم ما آتاك الله.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ هذا نهي لرسول الله ﷺ عن أن يمدَّ عينيه إلى غير القرآن، فقد أغناه الله به عن متع الحياة الدنيا وزخارفها التي يتمتع بها الأغنياء من المشركين واليهود. وقيل: إنه وافى سبع قوافل لليهود، تحمل الأموال الكثيرة فقال نفر من المسلمين: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ ^(١) أي: هذه المثنائي خير لكم من قوافل الدنيا، فلا تَمُدَّنَّ أعينكم إليها قوله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تحزن على ما يتمتع به المشركون من متع الدنيا فلك وأمتك الآخرة ومتعمهم زائلة ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ارفق وتواضع للذين آمنوا بك واستجابوا لدعوتك.

أحكام ومسائل الآيتين

تقرير أن الله أعطى رسوله محمداً ﷺ وأُمَّته السبع المثنائي وهي سورة الفاتحة كما أعطاه الله القرآن العظيم بما فيه من الأحكام. ومن أحكام الآيتين: التوجيه له عليه الصلاة والسلام ألا

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٥٩ .

يتطلع إلى متع الحياة الدنيا وزخارفها، والمراد بهذا توجيه أُمته لأنه عليه الصلاة والسلام لم يتطلع أبداً إلى الدنيا، بل كان يعاني أوقاتاً من الجوع. ومنها: التوجيه له بالرفق بالمؤمنين والرفقة بهم وتقريبهم إليه؛ لأنهم خاصته وجنده كما قال عز وجل ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية (١).

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ أي: قل يا محمد لقومك إني أرسلت؛ لأنذركم عذاب الله إذا لم تستجيبوا لنداءه ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ أي: أنذركم بعذاب كالذي أنزل على الذين اقتسموا أي: تحالفوا على معصية الأنبياء وتكذيبهم كما فعل قوم صالح فيما ذكره الله عز وجل عنهم بقوله ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٢).

(١) سورة الكهف من الآية ٢٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٩ .

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ المراد بهم: أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض ما في كتبهم وكفروا ببعض الآخر فجعلوها أجزاء. وقيل: إن المراد نفر من قريش أرادوا صد دعوة محمد ﷺ فاجتمعوا إلى رئيسهم الوليد بن المغيرة فطلب أن يسمع رأيهم فيه فقالوا: نقول: كاهن، قال: ما هو بكاهن قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، قالوا: فنقول شاعر فقال: ما هو بشاعر، قالوا: فنقول ساحر قال: ما هو بساحر قالوا: فماذا نقول؟ قال: والله إن لقوله حلاوة فما أنتم بقائلين من شيء من هذا إلا عرف أنه باطل وأن أقرب القول أن تقولوا إنما هو ساحر فتفرقوا على أن يقولوا هذا القول فأنزل الله قوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (١). وقد سبق الكلام عن هذا.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لنسألن أولئك المشركين عما كانوا يعملون ﴿أي: عن قولهم هذا، وفيه تهديد ووعيد لهم.

﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

تحريم الاختلاف حول كتاب الله ووجوب تحكيمه كله محكمه ومتشابهه خلافا لأهل الكتاب الذين قال الله فيهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٨٥ .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٩٤ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ
الْمُسْتَهِزِّينَ ﴾ ٩٥ ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴾ ٩٦ .

بيان الآيات:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ في هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يجهر بالرسالة التي أرسل بها كما قال تعالى ﴿ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (١). ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: بلغ الرسالة جاهرا بها، ولا تهتم بما يقوله المشركون عنك من اللمز والهزو والطعن، فالله رقيب عليك وحافظ لك من أذاهم وشورهم وهو معنى قوله ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهِزِّينَ ﴾ قيل: إن الذين كانوا يستهزئون به عليه الصلاة والسلام خمسة من رؤساء المشركين وهم الوليد بن المغيرة وكان زعيمهم، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائة، والأسود بن عبد يغوث، وقد أهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر فنالوا جزاءهم في الدنيا ولهم في الآخرة ما يستحقونه وقيل: إن الذي قتلهم جبريل في صور مختلفة (٢).

﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ أي: صفة للمستهزئين

(١) سورة المائدة من الآية ٦٧ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ٧٢-٧٣، وتفسير البغوي ص ٧٠٣ .

إضافة إلى عبادتهم للأوثان والأصنام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف يرون عاقبة استهزائهم وشركهم، وهذا تهديد ووعد لهم.

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ﴾

وجوب الجهر بالحق، ويترتب على هذا حكرمان: حكم مناطه الفرد وحكم مناطه الجماعة، أما ما مناطه الفرد: فإن الدفاع عن الحق واجب عيني والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)^(١). وهذا الواجب يترتب حسب استطاعة المرء والأصل فيه: قول رسول الله ﷺ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع بلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٢). أما ما مناطه مسؤولية الجماعة عن الدفاع عن الحق فالأصل فيه: قول الله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣). وقوله عز ذكره ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الآية^(٤).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم (٤٣٤٤)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٩، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم (٢١٧٤)، ج ٤ ص ٤٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، برقم (٤٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٦٢٤.

(٣) سورة آل عمران من الآية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران من الآية ١٠٤.

وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٦٧﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٢٦٨﴾

سورة الأيات

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ المراد أن قلبك يضيق ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: بما يكذبونك ويستهزئون بك وبمن آمن معك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قم للصلاة وسبح الله واذكره واحمده وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: (أعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟) فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: (يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة) (١). ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ أي: كن من مكثري السجود ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: اثبت على عبادة الله وطاعته حتى يأتيك الموت، وهذا أمر لنبيه ﷺ والمراد به أمته.

أحكام ومهمات الآيات:

وجوب الصبر في الدعوة إلى الله، ومشروعية الصلاة إذا فزع المرء من شيء، وفضل التسبيح. ومن الأحكام: وجوب الثبات على طاعة الله إلى حين الأجل، فإن الثبات على الطاعة من حسن الختام كما قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالخواتيم) (٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الدعوات والذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٨)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٧٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم، برقم (٦٦٠٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١١ ص ٥٠٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل

مكية وآياتها مائة وثمان وعشرون آية

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۚ ۞ ١ ۝﴾

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أتى بمعنى يأتي؛ لأن ما يخبر به الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء، وقد كان المشركون يستعجلون قيام الساعة استهزاء وتكديبا بما كان رسول الله ﷺ يقول عن قيامها، وعن الحساب والجزاء، ولما نزل قوله تعالى ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ (١) قالوا: إن هذا يزعم قرب قيام القيامة فانتظروا حتى نرى ماذا سيكون من قوله فلما تأخر قيامها قالوا: ما رأينا شيئا مما يقوله محمد فنزل قوله تعالى ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢) فانتظروا قربها فلما لم تقم قالوا: يا محمد لم نر شيئا مما تخوفنا به فنزل قول الله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ووثب رسول الله ﷺ ورفع

(١) سورة القمر من الآية ١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١ .

الناس رؤوسهم فنزل قوله تعالى ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا^(١).

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى﴾ هذا بيان من الله ردا على المكذبين بقيام الساعة وقولهم: إنه مامن أحد يقدر على إحياء الموتى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهذا نفي أن يكون له شريك أو ند أو مثيل أو نظير فتنزهه وتقديسه عن الشرك وأهله.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي: ينزل الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: بأمره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ المراد بهم الذين اختارهم للنبوّة والرسالة كما قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢). ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ أي: أراد منهم إنذار من أرسلوا إليهم؛ ليبلغوهم أنه لا إله إلا الله، وأنه الواحد الأحد، وأن عليهم أن يتقوه حتى لا يحيق بهم عقابه.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الساعة آتية لا محالة وأن قيامها لا يكون إلا بأمر الله الذي قدّر أجلها وأنه القادر وحده على إحياء الناس من قبورهم، وأن الرسل أمروا أن يندروا من أرسلوا إليهم بالإقرار بتوحيد الألوهية أي: أنه لا إله إلا الله وحده، وأن كل عبادة لغيره باطلة ومردودة على أصحابها.

(١) الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٤٢٢، وأسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٦١ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢٤ .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
 ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾

بيان الآية

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه خلق السموات بما فيها من الكواكب السيارة وسائر المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو، كما خلق الأرض بما فيها من الجبال والبحار والأنهار والإنس والجن وسائر المخلوقات في البر والبحر التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا هو، وما خلق هذه السموات في علوها والأرض في سفليها إلا بالحق وهو حكمته الإلهية أن يخلق المخلوقات فيأتمروا بما أمر به وينتهوا عما نهى عنه، وعلى هذا يترتب جزاؤهم كل حسب عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ﴿ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تقدس وتنزه عن الأوثان والأصنام ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي: خلقه وقدره من قطرة مهينة من المنى ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ هذا بيان عن طغيان الإنسان وجحوده فهو يعلم أن الله خلقه من علقه ثم من مضغة ثم يتدرج في النشوء حتى يكون سويا في تشكيله وتصويره. وقد روي في مناسبة الآية أن أبي بن خلف الجمحي جاء إلى رسول الله ﷺ ومعه عظم رميم، فقال: أترى يا محمد يحيي الله هذا بعد ما قد رمم^(١)؟

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥٨٢، وتفسير البغوي ص ١٠٨٥ .

الحكم بأن الله لم يخلق الكون العلوي والسفلي عبثاً، بل خلقه بالحق وهو الحكمة الإلهية المرادة من الخلق، وهي عبادته وحده. وتقرير أن خلق الإنسان يتم عن طريق التمازج بين ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^(١). ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(٢). ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^(٣). ورغم ضعف الإنسان وعجزه وما يعرفه بأن الله هو الذي خلقه؛ إلا أنه يكابر ويعاند ويخاصم كما قال عز وجل عنه ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٤).

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^(٥) ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٦).

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لما ذكر الله عز وجل ما من به على خلقه من تكوينهم وتصويرهم في أحسن الصور ذكرهم بأنه خلق

(١) سورة الطارق الآية ٥ .

(٢) سورة الطارق الآية ٦ .

(٣) سورة الطارق الآية ٧ .

(٤) سورة الكهف من الآية ٥٤ .

لهم الأنعام من الإبل والبقر والغنم وغيرها من سائر الأنعام، لكي ينتفعوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ودهونها ولحومها وهو معنى قوله ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زينة حيث تريحون وحين تسرحون أي: حين تغدون وتسرحون بها إلى المراعي.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ المراد بها الأحمال من المتاع والطعام التي لا تقدر على حملها ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ المراد بالبلد مكة، وذلك في حركم أو عمرتكم أو غزواتكم وأسفاركم كما قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ (١). قوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: بما قيضه وسخره لكم من الأنعام التي ماكنتم تقدرعون عليها لولا تسخير الله إياها لكم كما قال عز وجل ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٢). ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

الحكماء ومحمد بن الأبيات

تقرير أن خلق الله للأنعام لمنفعة الإنسان يقتضي منه استخدامها

(١) سورة غافر من الآية ٨٠ .

(٢) سورة يس الآية ٧٢ .

(٣) سورة يس الآية ٧٣ .

فيما خلقت من أجله، فالإبل للركوب وحمل الأثقال، والبقر للحرث، والغنم للتنسيل والذبح وهكذا. كما يقتضي ذلك الرفق بالأنعام وعدم تحميلها ما لا تطيق والرفق بها في السير أو عند الحرث أو عند الذبح كما قال عليه الصلاة والسلام: (إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)^(١). وفي هذا تأكيد لعظمة الإسلام ودعوته للرفق ليس بالإنسان فحسب بل بالحيوان وما في حكمه.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

بيان الآية:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ هذا صنف آخر من الأنعام التي سخرها الله للإنسان ﴿وَزِينَةً﴾ أي: وإضافة إلى منافعها جعلها له زينة يتزين ويتجمل بها في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: (الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)^(٢). ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لما ذكر عز وجل هذه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (١٩٥٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٣٦٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، برقم (٢٣٠٥)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٧٧٣، والجزء الأخير أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، برقم (٢٨٤٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٦٤.

الأصناف من الحيوانات قال: ويخلق من الدواب والأنعام ونحوها ما لا تعلمونه كما هو الحال في الغابات والبحار.

أحكام وممنوعات

تقرير جواز تأجير الدواب الرواحل، كالإبل والبغال والخيول، ولا خلاف في تحريم أكل لحم الحمر الأهلية والبغال، واختلف في أكل لحوم الخيل، ففي مذهب الإمام مالك: لا يجوز أكلها؛ لأن الله جعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للأكل بدليل الآية، وبأن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير^(١).

وعند جمهور الفقهاء: يباح أكلها؛ لحديث جابر قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في أكل لحوم الخيل^(٢). ومن الأحكام في الآية: أنه لا زكاة في الخيل؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة)^(٣).

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم الخيل، برقم (٤٣٤٣)، سنن النسائي، ج ٧ ص ٢٣٠، وابن ماجه في كتاب الذبائح، باب لحوم البغال، برقم (٣١٩٨)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠٦٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل، برقم (١٩٤١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٣٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لا زكاة على المسلم في عبده وفرسه، برقم (٩٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٠٧.

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١٩﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢٠﴾

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ لما بين تعالى ما خلقه من الأنعام لمنافع خلقه بين الطرق التي يسلكونها إليه في حياتهم وجعلها على نوعين: الأول: الطريق الموصل إليه وهو طريق الحق والإيمان، الثاني: زائغ عن الحق ويشمل ذلك الهوى والآراء المختلفة في الدين وهو المقصود بقوله ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: أن الهداية بيد الله عز وجل، فلو أراد لهدى جميع الناس فلم يكن فيهم ضال، ولكن حكمته اقتضت أن يكون فيهم البر والفاجر والمهتدي والضال كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١). ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٢).

(١) سورة هود الآية ١١٨ .

(٢) سورة هود الآية ١١٩ .

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ
 به على خلقه من الأنعام لمنافعهم بين أنه ينزل من السماء ماء لهم،
 ثم بين منافع هذا الماء بقوله عز وجل مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
 أي: تشربون منه وينبت لكم شجراً فيه ثُيُمُوتٌ أي: ترعون
 أنعامكم، إذ إنه بدون الماء لا يمكن للخلق أن يعيشوا وبدون الشجر
 لا يمكن للأنعام أن تحيا. ولم تقتصر منافع الماء على الشرب فحسب
 بل بين عز وجل أن منفعه غير محدودة فقال يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ
 الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أي:
 إنه بدون الماء لا يستطيع الخلق الحصول على هذه المنافع لغذائهم
 وحياتهم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أي: إن في هذا
 الماء دليلاً وبرهاناً وحجة على أن الذي ينزله هو الإله الواحد القادر
 الذي لا يقدر عليه أحد سواه.

تفسير القرآن الكريم

تقرير أن السبيل سبيلان: سبيل إلى الله وهو سبيل الحق
 والإيمان وهو السبيل الموصل إلى الله. وسبيل مائل عن الحق وهو
 السبيل المبعد عن الله. تقرير أن الله أنزل الماء من السماء لمنافع
 خلقه في غذائهم وشرابهم وطعام أنعامهم، وفي هذا آية عظيمة للذين
 يتفكرون في آيات الله وعظمته.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وَمَا
ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿١٧﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لما بين عز وجل في الآية السابقة
ما أنعم به على خلقه من نعمة الماء، بين ما أنعم به عليهم من تسخير
الليل لراحتهم وسكونهم وهدوء نفوسهم وتسخير النهار لأعمالهم
ومعاشهم كما قال عز ذكره ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١). ﴿وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ وكما سخر الليل والنهار سخر
الشمس والقمر والنجوم لمنافع خلقه، فكل من هذه الكواكب السيارة
آية؛ ولها حكمة عظيمة فبدون الشمس لا يستطيع الخلق أن يحيا

حياة طبيعية، وبدون القمر والنجوم لا يستطيعون الاهتداء في سيرهم في البر أو البحر، سواء في سيرهم في الماضي أو الحاضر أو المستقبل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: إن في هذه الآيات دليلاً وبرهاناً للذين يعقلون بأن الذي سخرها لهم هو الله، وأنه لا يقدر أحد على تسيرها وتسخيرها سواه.

﴿وَمَا ذَرَأَّا لَكُمُ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ أي: ومن آياته العظام ما ذراه أي: سخره لخلقه في الأرض مما كان ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ من النباتات والأشجار وغيرها من المخلوقات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: إن في هذه المسخرات دلالة للذين يتذكرون نعم الله ويتعظون بما يشاهدونه من الآيات.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي: ومن نعمه وامتنانه على خلقه أن سخر لهم البحر، رغم ما فيه من الأمواج العاتية والظلمات الباهرة، وقد تنوع هذا التسخير، ففيه: الأسماك والحيتان التي يأكل الخلق منها لحماً طرياً وفيه: الجواهر النفيسة التي يتخذونها للزينة وهو قوله تعالى ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ ومن تسخير الله للبحر أن السفن تجري فيه لحمل الناس وأثقالهم وجهادهم وتجارتهم كما قال تعالى ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ أي: وفي هذه الآيات: دلالة وعبر، لعل الخلق يشكرون الله على ما أنعم عليهم بهذه الآيات.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ المراد بها الجبال الثابتة التي تمسك الأرض أن تميل وتضطرب ﴿وَأَنْهَرَا وَسَلًّا﴾ أي: وجعل في الأرض أنهارا لمنافع خلقه كما جعل فيها سبلا سالكة لمنافعهم ﴿لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى ما تقصدونه في سفركم. ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْوَعْلَامَ﴾ والمراد بها معالم الطرق بالنهار للمسافرين والمجاهدين ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أما في سيرهم في الليل فجعل لهم النجوم يهتدون بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله سخر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، لمنافع خلقه كما سخر لهم البحر بما فيه من الأسماك والحيتان والجواهر النفيسة. ومن الأحكام: أن لحم البحر يعد لحما بالمعنى المعروف، وينطبق عليه ما ينطبق على اللحوم من أحكام سوى أن حيوان البحر لا يحتاج إلى تذكية. ومن الأحكام: عدم زكاة اللؤلؤ والمرجان الذي يخرج من البحر؛ لأنه من حلية النساء، أما إن كان للتجارة ففيه الزكاة. ومن الأحكام في الآيات: وجوب الشكر لله تعالى ووجوب التفكير في آياته.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا

نِعْمَةً اللَّهُ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٣﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ لما بين الله آياته العظام لمنافع خلقه قال عز ذكره في استفهام تقريرى إن من يخلق هذه الآيات ويخلق الخلق ليس مثل الذي لا يستطيع أن يخلق شيئاً كما هو الحال في الأوثان والأصنام كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ (١). ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تتعظون وتعملون عقولكم في تدبر آيات الله وقدرته.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ أي: لو عددتكم نعم الله عليكم في أنفسكم من السمع والبصر والحركة والقوة وفيما خلق لكم من الآيات لما استطعتم حصرها وتعدادها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم تقصيركم في شكره على نعمه إذا تبتم إليه، رحيم بكم إذا شكرتموه على ما أنعم به عليكم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم سرائركم وظواهركم، لا تخفى عليه منكم خافية كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١). ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ المراد أن الذين يدعون الأصنام لا يعقلون؛ لأنهم يدعون من لا يقدر على خلق شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: هم مخلوقون من الله ﴿أَمْ مَوْتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: إن الأصنام أموات لا حياة فيهم فكيف يكون لعاقل أن يعبدهم وهم على هذه الصفة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يدرون متى يبعث الله الخلائق، فمن كانت هذه حالته فكيف يرجى من دون الله.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بعدم المماثلة أو المشابهة بين من يستطيع أن يخلق ومن لا يستطيع. تقرير أن من أنعم الله عليه إذا لم يستطع الشكر لله على كل نعمه يجب عليه أن يشكره على ما يستطيع، أما الشكر فواجب لا محالة. ومن الأحكام: الحكم بأن عبادة الأوثان والأصنام باطلة وأن الوحدانية لله الواحد الأحد.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ

وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٥﴾ لَا جَرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٤٦﴾

بيان الآية:

لما بين عز وجل أن المخلوق لا يخلق شيئاً وأن الخالق هو الله وحده بين عز وجل أنه هو الإله الواحد لا إله غيره كما قال عز ذكره ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ثم بين سلوك المنكرين البعث، وأن قلوبهم لا تقبل وعظاً ولا إرشاداً فقال ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: مستنكفون عن قبول الحق جاحدون له لما أصاب نفوسهم من الكبر كما قال تعالى ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١).

﴿لَا جَرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: حقا أن الله يعلم ما يسرونه من القول والعمل كما يعلم ما يعلنونه منه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ أي: يمقت ويبغض الذين يتكبرون عن عبادته والتفكر في آياته ومخلوقاته كما يبغض الذين يتكبرون على عباده.

الحكم والمصالح والآيات

الحكم بتوحيد الله وأنه الواحد الأحد لا إله غيره ولا معبود بحق

سواه. الحكم بتحريم الكبر؛ لأنه أصل الذنوب فما طرد إبليس من الجنة إلا لتكبره عن السجود لآدم وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بُولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)^(١). وعنه عليه الصلاة والسلام أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر^(٢).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أُنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُّونَ.

سورة النجم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أُنْزَلَ رَبُّكُمْ أَيْ: إِذَا سَأَلَ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ
لِلْبَعْثِ ﴿مَّاذَا أُنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَيْ: مَا
هَذَا إِلَّا أَبَاطِيلٌ وَخِرَافَاتٌ جَاءَتْ مِنَ السَّابِقِينَ. وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي
النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ - كَمَا أَشِيرَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ - فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى كِفَارِ
قَرِيشٍ (كَلِيلَةٍ وَدَمْنَةٍ) وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ فَيَقُولُ هَذِهِ مِثْلُ مَا يَقُولُ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٤٧)، برقم (٢٤٩٢)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٦٥،
وأحمد في مسنده ج ٢ ص ١٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان في بيان تحريم الكبر وبيان، برقم (٩١)، صحيح مسلم بشرح
النووي ج ١ ص ٧٣٥.

محمد^(١) فبئس ما قال هذا المشرك وما زعم.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: سوف يتحملون كذبهم وكفرهم يوم القيامة فيجزون عليه كاملاً غير منقوص، كما سيتحملون أوزار الذين أضلوهم وكذبوا عليهم وزينوا لهم الكذب فيكون العذاب مضاعفاً لهم عن وزرهم ووزر غيرهم وهو معنى قوله تعالى ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بئس الوزر الذي يحملونه.

الذين أضلوا من قبلهم

تقرير أن من يقول قولاً أو يعمل عملاً غير مشروع فيزيئنه للناس فيضلون بسببه يكون وزره مضاعفاً فيعذب بسبب ضلاله هو ويعذب بسبب إضلاله وإغوائه لغيره. ويترتب على هذا أن الذين يحلون ما حرم الله كتحليل الربا أو السماح للمعتقدات الفاسدة للانتشار بين ظهرائهم أو التسامح في عدم إنكار المنكرات والفتاوى الكاذبة مما هو شائع في هذا الزمان، هؤلاء سوف يحملون ذنوبهم وذنوب غيرهم فيكون العذاب مضاعفاً لهم.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾

مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَاءُكَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

بيان الآيتين:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يخبر تعالى أن هؤلاء المكذبين
من كفار قريش لم يكونوا وحدهم في التكذيب فقد مكر أناس قبلهم
فكذبوا رسلهم وأذوهم، ومن ذلك النمرود في بابل، وفرعون في مصر
﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾
وفي هذا تمثيل بالبناء الذي جاءه العطب من قواعده فسقط السقف
من علوه؛ لأن خراب القواعد خراب للسقف، وهذا مثل للمكذبين
الأولين والآخرين أن الله يحبط كل أعمالهم فلا يقبل منهم عدلا
ولا صرفا ﴿وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: حل بهم
العذاب بغتة وكانوا يظنون أنهم في أمان منه.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يذلهم الله ويفضحهم بين
خلقه ويقول لهم على رؤوس الأشهاد ﴿أَيْنَ شُرَكَاءُكَ الَّذِينَ
كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: أين الذين كنتم تدعونهم من دوني
وتشاقون أنبيائي وتعادونهم هل ينفعكم شركاؤكم اليوم مما تلاقونه
من العذاب المهين؟ ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنَّ

الْخِزْيَ الْيَوْمَ أَي: الذل والمهانة وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ أَي: سيكون العذاب لكم أيها الكافرون المكذبون جزاء ما فعلتم.

تفسير سورة النازعات - تفسير سورة النازعات

تقرير أن تكذيب الرسل كان قديماً قبل رسالة محمد ﷺ وقد بين الله أن أعمال هؤلاء المكذبين ستكون هباء منثوراً وسوف يذللهم الله ويخزيهم على رؤوس الخلائق ويسألهم سؤال إنكار وتعجيز لهم أن يأتوا بالشركاء الذين كانوا يدعونهم من دون الله.

الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليُسْ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خيراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

تفسير سورة النازعات - تفسير سورة النازعات

الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ هذا بيان من الله

عن حال الكفرة الذين ظلموا أنفسهم عند احتضارهم وقيام الملائكة بنزع أرواحهم **فَالْقُوا السَّلَامَ** أي: يستسلمون عند مجيء الملائكة إليهم ويقولون **مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ** أي: ما عملنا سيئة، مثلهم في ذلك مثل الذين يحلفون يوم القيامة أنهم لم يعملوا سوءاً كما قال عز وجل **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** (١). **أَسْتَحُودَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَانْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (٢). قوله **بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** أي: يقول لهم الملائكة: بلى، كنتم تعملون السوء والله يعلم عملكم فأنتم كاذبون في ادعائكم الإيمان **فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ** أي: ادخلوا جهنم من أبوابها، فبئس مقامكم فيها.

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ لما ذكر الله حال المكذبين الذين قالوا عن القرآن ما هذا إلا أساطير الأولين، ذكر حال المؤمنين الذين لما سئلوا عما أنزل إليهم ربهم قالوا أنزل خيراً وهو القرآن فقال الله عز ذكره **قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ** أي: إن الجنة لمن أحسنوا في الدنيا باتباعهم أحكام الله

(١) سورة المجادلة الآية ١٨ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١٩ .

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ أَي: وثواب الآخرة وجنتها أعظم وأجل من دار الدنيا وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ أَي: ونعم وحسن دار الآخرة للمتقين جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هذا وصف لدار المتقين وهي البساتين التي تجري الأنهار من تحتها، ينعمون ويتلذذون فيها لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كما قال تعالى وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١). كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ أَي: هذا هو ما يجزي الله به عباده المتقين لقاء إيمانهم وتقواهم.

الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ لما ذكر الله في الآية السابقة حال الظالمين عند الاحتضار وما يلاقونه من العذاب ذكر حال المؤمنين الذين تتوفاهم الملائكة وهم ثابتون على إيمانهم ويقينهم في ثواب الله، فتطيب نفوسهم بما يلاقونه من الملائكة عند قبض أرواحهم يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَي: تسلم الملائكة عليهم، وتبشرهم برحمة ربهم لهم، وتقول لهم إن لكم الجنة؛ جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا.

تقرير سوء عاقبة الظالمين والمكذبين عند احتضارهم وما يلاقونه من العذاب. تقرير حسن خاتمة المؤمنين عند احتضارهم حين تسلم

الملائكة عليهم وتبشرهم برحمة ربهم وجناته. تقرير أن القرآن خير إذ إنه جمع خير الدنيا والآخرة.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

بيان الآية

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ الكلام راجع إلى الكفار والمراد هو توعدهم المشركين فهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لتقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ أي: تقوم الساعة فيلاقون العذاب في الحالين ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي: إن أسلافهم من الأمم الذين كذبوا رسلهم وآذوهم أهلكهم الله بالعذاب ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: إن الله لما أهلكهم كان قد أذرهم عن طريق رسله فكذبوهم فقامت عليهم الحجة فما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ أي: إن الذي أصابهم هو سبب كفرهم وتكذيبهم واستكبارهم وطغيانهم ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: أحاط بهم العقاب لقاء استهزائهم بآيات الله ورسوله.

الحكماء وعلمائهم

تقرير أن الظلمة لا ينتظرون إلا أن يحقق بهم العذاب في الدنيا جزاء إجرامهم أو ينتظرون قيام الساعة فيلاقون أشد العذاب وهذا أو ذاك واقع بهم إن لم يتوبوا من إجرامهم. ومن الأحكام: أن ما يصيب الظلمة من سوء هو بسبب كفرهم واستكبارهم وتكذيبهم بالحق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ۝ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝﴾

رواية

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن مقولة المشركين الذين عبدوا مع الله غيره وحرموا ما أحله بأنهم ما كانوا ليفعلوا ما فعلوه إلا لأن الله لم ينكر عليهم ذلك، ولولا أنه قد رضي بما فعلوا لما تركهم على هواهم، وهم بهذا يحتجون بالقدر فرد

الله عليهم بأن هذا القول هو ما كان يقوله أسلافهم من الكافرين
كما قال تعالى **كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ثم قال عز وجل
مفندا ادعاءهم **فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** والمراد أن الله
أنكر ذلك عليهم بواسطة الرسل الذين أرسلهم إليهم يبلغون رسالاته
ويبينون لهم أحكامه وشرعه، فلا حجة ولا عذر لهم فيما يقولون.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ هذا بيان
من الله أنه بعث في كل أمة من الأمم التي وجدت على الأرض رسولا منذ
نوح إلى أن ختمت النبوة بالرسالة التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ** أي: اعبدوه وحده واتركوا عبادة ما سواه **وَأَجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ** أي: اجتنبوا عبادة كل وثن أو صنم أو شيطان أو غير
ذلك **فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ** المراد أن من الأمم التي أرسل الله لهم
الرسل من هداه الله فاتبع ما أمره به وانتهى عما نهاه عنه فحققت له
الهداية **وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ** أي: منهم من اتبع
هواه فلم يأتهم بما أمره الله به ولم ينته عما نهاه عنه فحققت عليه
الضلالة؛ بسبب سوء نفسه وهواه **فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ** أي: اذهبوا
يمينا وشمالا وتفكروا واعتبروا بما حدث للمكذبين لرسولهم من الأمم
البائدة كقوم هود وصالح ولوط، وكيف كانت عاقبتهم الخسران في
الدنيا والآخرة.

إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ المراد إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ أي: أن من أضله الله بسبب ذنوبه وكفره فإنه لا يهديه وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أي: لا ناصر ولا معين لهؤلاء الذين ضلوا في أنفسهم فأضلهم الله.

باب تحريم الظلم

إبطال حجة من يرتكب المعاصي ويتذرع بالقدر؛ ذلك أن الله ما أرسل رسوله إلا ليبلغوا رسالته ولينذروا قومهم بأن من أحسن فله الحسنى ومن أساء فعليه وزر إساءته، ولا يعاقب الله أحدا إلا بعد أن تقوم الحجة عليه. تقرير أن الله بعث في كل أمة من الأمم رسولا يدعوها إلى توحيد الله وطاعته واجتناب عبادة ما سواه، فاقضى ذلك أن منهم من اتبع هدى الله فهداه، ومنهم من اتبع هواه فأضله الله كما اقتضى ذلك إبطال حجة من يرتكب المعاصي ويحتج بالقدر. وفي الحديث القدسي: (إنما هي أعمالكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) (١).

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح

يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

بيان الآية

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ في هذا بيان من الله أن المشركين أقسموا بالله واجتهدوا في الحلف وغلظوه بأن الله لا يبعث أحدا بعد موته كما قال من سبقهم ﴿وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ (١). ﴿بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وقد رد الله على إنكارهم البعث بأنه لابد أن يكون ذلك البعث وعدا وعد به، وهو لا يخلف الميعاد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إن أكثر عامة الناس لا يعلمون أنهم يبعثون، وذلك لفرط جهلهم وقلة معرفتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: يبعثهم ليبين لهم يوم القيامة الذي اختلفوا فيه وهو الحق وكذبوا به ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الذين أنكروا البعث ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ في إنكارهم ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ هذا بيان من الله لقدرته المطلقة في خلق الخلق وموتهم وبعثهم، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما قال عز وجل ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٢).

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤ .

(٢) سورة القمر الآية ٥٠ .

الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا

تقرير حقيقة البعث، وأنه وعد على الله حقا والذين ينكرونه إنما يفعلون ذلك لفرط جهلهم. تقرير أن أمر الله يتم بكلمة واحدة وهي الأمر بكيثونة الشيء فيكون.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ﴾
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٤٨﴾

١٤٨

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ في هذا بيان من الله تعالى عما ادخره للذين هاجروا من أجل دينهم واتباعهم لمحمد ﷺ والمراد بهم المؤمنون الذين هاجروا إلى الحبشة، ومنهم بلال وخباب وعمار وصهيب، وذلك بعد أن تعرضوا للظلم والأذى من كفار قريش. ومنهم أيضا عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب وغيرهم ممن بلغوا ثمانين مابين رجل وامرأة^(١) لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً قيل: المراد إسكانهم المدينة وقيل: الرزق وقيل: النصر على المشركين^(٢). وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ أي:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٥٥١ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٧٨ .

إن أجر الآخرة المعد لهم أكبر من أجر الدنيا وأعظم منه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان الظالمون يعلمون، وقد يكون المراد المؤمنين لو رأوا ثواب الآخرة وشاهدوه لعلموا أنه أكبر من حسنة الدنيا، وقد ذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دفع إلى المهاجرين العطاء قال: هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما ادخر لكم في الآخرة أكثر ثم تلا عليهم الآية (١).

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذا وصف من الله للمؤمنين الذين هاجروا بأنهم صبروا على ما نالهم من أذى المشركين وصبروا على البعد عن أوطانهم وأهلهم، كما صبروا على السفر في البحر ومخاطره، والبقاء في بلاد بعيدة ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: توكلوا على ربهم، واعتمدوا عليه في كل أحوالهم.

وجوب الهجرة عندما يضطهد أو يضايق المؤمن في مكانه، ويصعب عليه ممارسة عبادته، ويشمل ذلك منعه من أداء الصلاة في جماعة أو مضايقته عند حضور هذه الصلاة. كما يشمل ذلك الاستهزاء به في لباسه أو مظهره. كما يشمل الاضطهاد منع المرأة من حجابها أو مضايقتها بسبب هذا اللباس. ومع أن الأصل أن تكون الهجرة إلى بلد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١٠٧، والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٠٧.

مسلم إلا أنها تجوز إلى بلد غير مسلم إذا كان هذا البلد لا يضطهد المسلم في ممارسة عبادته كما كان حال الحبشة عندما هاجر إليها المسلمون فرارا بدينهم من كفار قريش.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ لقد مضت سنة الله أن يرسل إلى الأمم رسلا بشرا منهم، ولكن العرب وخاصة المشركين أنكروا نبوة رسول الله محمد ﷺ وقالوا: إن الله أجل من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد . فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أي: اسألوا أهل الكتب السابقة هل كانت رسلهم بشرا أم ملائكة؟ فإن كانوا بشرا فلا تنكروا نبوة محمد؛ لأنه بشر مثلهم وما كان قول المشركين هذا إلا جدلا وضلالا عن الحق كما قال عز وجل وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (١).

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ أي: وأرسلنا رسلنا إلى الأمم السابقة بالبراهين والحجج والدلائل المبينة للأحكام. والزبر: جمع زبور وهي

الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ المراد به القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: لتبلغ الناس القرآن؛ ليعلموه ويتبعوا ما فيه من أحكام ربهم فيما أمرهم به في عبادتهم ومعاملاتهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: ولعلهم يتعظون بما فيه فيهدتدون فيكون في ذلك خير لهم.

أحكام ومسائل

وجوب سؤال أهل العلم عما يجهله المسلم في عبادته ومعاملته؛ لأنه يحرم على المسلم أن يعبد الله وهو جاهل بما يفعل. وجوب اتباع ما جاء في السنة التي بينها رسول الله ﷺ لأُمَّته في قوله، وفعله، وتقريره.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

بيان الآيات:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في هذا تهديد للعصاة الذين يرتكبون ما حرم الله ويجاهرون بضلالهم ويدعون غيرهم إلى هذا الضلال فهل كانوا يأمنون عذاب الله أن يخسف بهم الأرض كما

خسف بقارون وغيره من الطغاة أو كانوا يأمنون أن يأخذهم الله بغتة بالرجفة أو الصيحة وهم غافلون كما قال تعالى ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١). ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (٢). قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ أي: أمنوا أن يؤخذوا وهم يتقلبون في أسفارهم ومعاشهم ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين من عقاب الله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ أي: حال خوفهم وهم يُتَنَقَّصُونَ في أموالهم وأنفسهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أنه لا يعجل العقوبة، بل يمهل العصاة لكي يتوبوا رافة ورحمة بهم.

أحكام ومسائل الآيات

تحريم الأمن من مكر الله كما قال تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٣). ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (٤). ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥).

(١) سورة الملك الآية ١٦ .

(٢) سورة الملك الآية ١٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٩٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٩٨ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٩٩ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

بيان الآيات

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن كل
المخلوقات جنها وإنسها وكل ما في الوجود خاضع لعظمته وسلطانه،
فدل بهذا أن كل ماله ظل من جبل أو شجر أو حجر أو نحو ذلك
يميل بكرة وعشية ذات اليمين وذات الشمال سجودا لله عز وجل؛
فورق الشجر الذي يتحرك ويتميل في الصباح والمساء يسبح ويسجد
لله كما قال عز وجل ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١). ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ أي: صاغرون خاضعون لعظمته.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي:
يسجد له كل ما يدب ويمشي على الأرض من الأنعام والطيور والحشرات
﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ أي: ويسجد له الملائكة سجود طوعية وعبادة ﴿ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي: يسجدون له طائعين غير متكبرين ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ

مِنْ فَوْقِهِمْ أَي: يخشون عقابه وعذابه وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ أَي: يفعلون ما يأمرهم الله به.

السجود في القرآن

السجود ثلاثة أنواع: سجود كتبه الله على كل المخلوقات التي في السموات والأرض سواء كانت هذه المخلوقات من الإنس أو الجن أو من المخلوقات الحية كالحيوانات أو المخلوقات الأخرى كالجمادات كما قال تعالى سَجَّدَا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ . النوع الثاني: سجود فرضه الله في العبادات، كالسجود في الصلوات المفروضة. النوع الثالث: السجود في النوافل والسجود عند آيات السجدة في القرآن فهذان النوعان مما يثاب عليه العبد.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارְهَبُونِ ۚ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۚ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۚ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۚ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۝۱۶﴾

في آيات

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ في هذا نفي لتعدد الإله، ثم

أكد هذا النفي بإثبات أن الإله هو إله واحد، هو الله لا إله غيره، ثم قال عز وجل ﴿فَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ﴾ أي: يجب ألا تخافوا إلا إياي؛ لأنني - والقول له جل ذكره - المتصرف فيكم القادر عليكم.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لما ذكر عز وجل أنه هو الإله الواحد أكد أن كل ما في السموات والأرض ملك له، ثم بين على وجه التخصيص أن له الطاعة والانقياد والعبادة الدائمة والخالصة كما قال عز وجل ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ قوله ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ لما قرر عز وجل أنه الإله الواحد، وله ما في السموات والأرض، وله الدين، أوجب على الخلق أن يتقوه وحده ولا يتقوا غيره.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ لما ذكر عز وجل أنه الإله الواحد وأن الواجب على خلقه أن يتقوه بين أنه المنعم والمتفضل عليهم، وأن ما بهم من رزق ونعمة فمنه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: إذا أصابتكم مصيبة أو نزل بكم نازل من البأساء والضراء لجأتم إليه تدعونه أن يكشفه عنكم ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ﴾ أي: إذا استجاب دعاءكم وأزال عنكم البأساء ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ أي: ينسون فضله فيشركون به كما قال عز وجل ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١). قوله ﴿لِيَكْفُرُوا

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥.

بِمَاءِ آيِنَهُمْ ﴿٦٧﴾ أي: يجدوا نعم الله وفضله عليهم في كشف الضر عنهم ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أي: انتظروا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سترون جزاء جحودكم، وهذا أمر تهديد ووعيد لهم.

الحكم والعدل والآيات:

الحكم بأنه ليس في الوجود إلا إله واحد هو الله وحده، وأنه مالك كل ما في السموات والأرض، وقد اقتضى ذلك إفراده دائماً بالعبادة وأن على الخلق أن يتقوه وحده. ومن الأحكام: أن كل النعم من عند الله وأنه المنعم والمتفضل على خلقه. ومنها: أن من الخلق من يجحد نعم الله، فإذا مسته البأساء لجأ إليه يدعوه أن يكشفها، وإذا أنعم عليهم وكشف ضرهم عادوا إلى الشرك به.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۖ تَاللَّهِ لَشُعْلَنٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٦٩﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٧٠﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٧١﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في هذا بيان من

الله تعالى عن جهالات المشركين وضلالتهم حيث يجعلون للأصنام شيئاً من الأموال التي رزقهم الله؛ لكي يتقربوا بهم كما قال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ الآية (١). تَاللَّهِ لَسُّعُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ أي: هذا قسمٌ من الله بأنهم سوف يحاسبون ويجزون عن افتراءهم وكذبهم على الله أنه أمرهم بهذا.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ وهذا أيضاً من ضلالات المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزهه وتقدس عما وصفوه به ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: ما يرغبونه من الذكور وكرههم البنات ونسبتها إلى الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ في هذا بيان من الله أن المشرك إذا بُشِّرَ بمولود له أنثى، اسودَّ وجهه من الكآبة والحزن والغم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: يسكت عن الكلام مما أصابه من الهم فلا يستطيع الكلام ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يتغيب عن رؤية الناس ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ والمراد إما أن يمسك بالبنات على هوان فيراها حقيرة لا يربّيها كما يجب عليه ولا يورثها بل يتمنى موتها، أو أن يقتلها وذلك بدفنها حية كما

كان عليه حال العرب في جاهليتهم ﴿الْأَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بئس ما كانوا يصنعون في جعل البنات لله وجعل البنين لهم ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: لهؤلاء الذين يجعلون البنات لله صفة النقص ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: له الكمال المطلق والتنزه عن الولد ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

سورة الصافات الآية ١٥١

تقرير أن المشركين شرُّ خلق الله، فهم يجعلون جزءاً من الأموال التي رزقهم الله للأصنام ويفترون على الله الكذب أنه أمرهم بهذا. تقرير أنهم شرُّ خلق الله؛ لأنهم يجعلون الملائكة بنات الله وينسبونها له كما قال عز وجل ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ (١). ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢). ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (٣). ومن الأحكام: التشنيع بما كان يفعله أهل الجاهلية في كرههم للبنات وتحريم ما كانوا يفعلونه من إهانتها، وتفضيل الولد عليها، وحرمانها من الإرث وتشديد التحريم في وأدها كما قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ﴾ (٤). ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٥). تقرير أن لهؤلاء المشركين المثل

(١) سورة الصافات الآية ١٥١ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٥٢ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٥٣ .

(٤) سورة التكوين الآية ٨ .

(٥) سورة التكوين الآية ٩ .

السيء؛ أما الله فله صفة الكمال والتنزّه عن الولد.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ۚ ﴾

بمعنى الميسر

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه حلیم رحيم بخلقه، وأنه لو يؤاخذهم بما يفعلونه من المعاصي لأهلكهم، ولما ترك على الأرض من دابة ﴿ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: ينظرهم إلى نهاية آجالهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ أي: نهاية أعمارهم ﴿ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ أي: إذا انتهت آجالهم المحددة فلن يستأخروا عنها ساعة من زمان ولا يتقدمون.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ أي: يجعل المشركون البنات لله ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ أي: ويتجرؤون على الكذب فيقولون إن البنات لله، أما البنون فلهم ﴿ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ أي: حقا، لهم النار ﴿ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾ أي: سوف يتركون في النار أبد الآبدين.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: سيكون لهم العذاب الشديد في الآخرة.
 ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
 أَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: لتبين لهم ما يجهلونه من أحكام الدين وما أحله
 الله لهم وما حرمه عليهم حتى تقوم عليهم الحجة، فإن آمنوا فبها
 ونعمت، وإلا فبئس ما يعملون ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
 أي: ما أنزلنا عليك الكتاب إلا هدى يستنير به المؤمنون، ورحمة بهم
 من الجهل والضلال.

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المراد به المطر ﴿فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا﴾ أي: لما أنزل عليها المطر تغيرت معالمها من الجذب والقحط
 إلى النبات، فأصبحت خضرة نضرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾
 المراد أن في هذا دلالة على عظمة الله وقدرته للذين يسمعون كلام الله
 ويعونه بقلوبهم وأسماعهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله أرسل رسلاً إلى أمم سابقة لبعثة رسول الله ﷺ
 فكذبوهم بعد أن زين لهم الشيطان، فهو يتولاهم في الدنيا، أما في
 الآخرة فيلاقون العذاب. تقرير أن الله عز وجل أنزل القرآن؛ ليبين
 للناس أحكام الدين، وليكون هدى ورحمة لمن آمن به وعمل به. تقرير
 أن الله هو الذي ينزل المطر لحياة الأرض بعد جذبها وقحطها، وفي
 هذا دلالة على عظمته وقدرته على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٧) ﴿

بيان الآيتين:

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ ﴾ الأنعام أربعة أنواع هي الإبل، والبقر، والضأن، والمعز. والعبرة: البرهان على عظمة الله وقدرته ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ ﴾ المراد به الأنعام ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا ﴾ في هذا بيان لإعجاز الله وقدرته المطلقة حيث جعل اللبن يخرج من بين الفرث والدم في عملية فرز عظيم لا تكون إلا من عظيم قادر على صنع ما لا يستطيعه أحد غيره تبارك الله أحسن الخالقين ﴿ سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ أي: لذيذا طيباً أبيض اللون، لا يشوبه لون الدم، ولا تغير طعمه رائحة الفرث ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ المراد أنه كما امتنَّ الله عليكم بما تنتجه الأنعام من اللبن الخالص امتنَّ عليكم بأن جعل لكم من ثمرات النخيل، وهو التمر الرطب منه واليابس تجعلون منه سكرًا أي: خمرا تشربونها، وهذا قبل تحريمه ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ أي: ما أحل الله من ثمرات النخيل والأعناب. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: إن في هذه الاصناف التي خلقها لمنفعة عباده برهاناً ودليلاً للذين يعقلون فيتدبرون ويتعظون.

أحكام ومسائل النحل

تقرير عظيم قدرة الله وصنعه حين جعل اللبن الخالص يخرج من بين الفرث والدم في عملية فرز لا يصنعها ولا يقدر عليها إلا هو. تقرير منته على عباده حين جعل لهم من ثمر النخل والأعقاب سكرا كانوا يشربونه قبل تحريمه، وجعل لهم ما أحل منه رزقا حسنا، ألا ترى فوائد التمر وما فيه من المنافع الغذائية الكبرى التي يستطيع الإنسان أن يعيش عليها وحده !! ألا ترى ما في العنب من الفوائد العظيمة التي اكتشف بعضها الطب الحديث للوقاية من الأمراض وعلاجها !!.

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

بيان الآيتين

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام الذي يضعه الله في نفس المخلوق، ألا ترى كيف أن البهائم تدرك ضررها ونفعها مع أنها لا تعقل، ألا ترى كيف تتصرف الطيور والحشرات في البحث عما ينفعها واجتناب ما ترى فيه ضررها، مع أنها لا تعقل، فكل ذلك

إلهام من الله عز وجل، وهو الأمر بالنسبة للنحل، فهي بحكم إلهام الله تتصرف في اتخاذ بيوتها، إما في كهوف الجبال، وإما في الأشجار، أو فيما يضعه لها المرء من تعريش تلجأ إليه حين تكون محلاً للملكه وتربيته لها وهو قول الله تعالى ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ وقوله ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ألهما الله أن تأكل من ثمرات الأشجار من الزهر وغيره ﴿فَأَسْلِكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ وهذا أمر من الله عز وجل لها أن تسلك السبل وهي الطرق التي وصفها الله مذلة مطيعة.

قلت: ومن العجب العجيب كيف يسير النحل في جماعات منظمة ينقادون للمكتهم في وضع يعجز الواصف عن وصفه وما هذا إلا دليل على إعجاز الله وقدرته.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ المراد به العسل وأي مادة أخرى مصاحبة له واختلاف ألوانه حسب ما تأكله، فقد يكون العسل أبيض أو أحمر أو أصفر ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: فيه شفاء لكثير من أمراضهم وآلامهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: إن في النحل وتكوينه وما يخرج منه دليلاً وعبراً للذين يتفكرون في صنع الله فيؤمنون به ويطيعونه.

أحكام ومسائل الأئمة:

تقرير إلهام الله للنحل في سكنها وحركتها وتصرفها وأكلها من

ثمرات الأشجار. تقرير أن ما يخرج من بطونها من العسل فيه شفاء للناس من أمراضهم. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله: (اسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلقاً قال: (اذهب فاسقه) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلقاً قال: (اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلا استطلقاً فقال رسول الله ﷺ: (صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً) فذهب فسقاه عسلاً فبرئ^(١). وفي قوله تعالى ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ دليل على جواز التداوي، بل والأمر به خلافاً لمن قال بخلاف ذلك. وقد دلت الأبحاث العلمية أن في العسل علاجاً لكثير من الأمراض والوقاية منها، وقد أنشأت دول مستشفيات خاصة لا تعالج مرضها إلا بالعسل.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّفْكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل، برقم (٢٢١٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٩ ص ٥٩٣٥، والبخاري مختصراً في كتاب الطب، باب دواء المبطون، برقم (٥٧١٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ١٧٨.

فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْنِيعَمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَالْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُوَفِّيكُمْ﴾ هذا بيان من الله أنه هو الذي خلق الخلق ثم يتوفاهم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: إلى أسوأ أوقاته، وذلك حين يتعرض المرء لمصاعب الشيخوخة وضعف البنية وضعف السمع والبصر أو يصير إلى الخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: يرجع إلى حالة اللاوعي، وعدم الإدراك، فلا يعلم ما كان يعلمه قبل بلوغه هذه المرحلة من العمر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي: عليم بأحوال عباده قادر على خلقهم وموتهم ثم بعثهم.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي: فاوت بين حظوظ عباده، فممنهم ذو سعة، وممنهم متوسط، وممنهم فقير ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ في الرزق ﴿بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: لن يجعلوا ما رزقهم الله شركة بينهم وبين مماليتهم على وجه واحد لا تفاضل بينهم، والمعنى إذا كنتم تنكرون أن تساوا مماليتكم في أموالكم، فكيف تساؤون الله مع الأصنام التي هي مملوكة له أصلاً؛ لأنه هو الخالق لها. ﴿أَفْنِيعَمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ استنكار لجحودهم

لنعمة الله ومقابلتهم لها بالشرك والكفر.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ في هذا بيان من الله بما أنعم به على خلقه أن جعل لهم أزواجا من جنسهم ومن طبيعتهم وتكوينهم خلافا لما كان العرب يعتقدونه من التزوج بالجن ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أي: ومن نعمته وفضله أن جعل من الزوجات بنين وحفدة، وهم أولاد البنين ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: هيا لكم الرزق الطيب مما تنبت الأرض من مختلف النباتات والأشجار وما فيها من الأنعام ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ المراد به الأصنام وعبادتهم لها ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: وبالإسلام ينكرون.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير واقعة خلق الإنسان ثم تطور نشأته إلى مماته. تقرير التفاوت بينه في الرزق للحكمة التي أرادها الله. تقرير واقعة التزاوج بين الذكر والأنثى من جنس الإنسان. تقرير نعم الله على خلقه بما رزقهم من الطيبات بما يجب عليهم شكره.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤).

بيان الآيتين:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ في هذا بيان من الله يندد فيه بالمشركين الذين يعبدون أصناما لا تنفعهم شيئا، مع أن الله هو المنعم عليهم بالرزق من السموات وهو المطر والرزق من الأرض وهو ما فيها من النباتات والأشجار ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: إن هذه الأصنام لا تقدر على شيء من ذلك ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي: لا تجعلوا له أندادا أو أشباها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ المراد أن الله يعلم أنه الواحد الأحد ولا رب غيره ولا إله سواه وأنتم لا تعلمون؛ ذلك لفرط جهلكم وضلالكم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب التوحيد، وبطلان أعمال المشركين والتشنيع بمن يضربون لله الأمثال، وذلك باتخاذهم شفعا يتقربون بهم إلى الله جهلا وضلالا.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وضرب الله مثلا رجُلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلُّ على مولاه أينما

يُوجِّهَةٌ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾

بيان الآيتين:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ في هذه الآية مثلاً، الأول: رجل غير حر لا قدرة له لكونه مسلوب التصرف والمثل الثاني: رجل رزقه الله رزقا حسنا فهو يتصرف فيه دون مانع له من أحد فهل يستوي هذا وهذا ؟ والجواب أنهما لا يستويان وهذا هو مثل الكافر والمؤمن فالأول: مملوك للأوثان والأصنام، فهو أسير لها، لا يرجى منه إيمان ولا خير. وأما المؤمن فهو حر في نفسه يتصرف فيها بطاعة الله عز وجل وابتغاء مرضاته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولبیان الفرق بين المؤمن والكافر قال الله عز وجل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأنه الخالق والقادر، ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك، بسبب جهلهم وضلالهم.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ما زال السياق في ضرب الأمثلة بين المشركين والمؤمنين، فالمثل لرجل أبكم ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: لا يفهم ما يقوله غيره، ولا يفهم غيره ما يقوله هو فهو ﴿كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ أي: عالة على من يتولاه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهَةٌ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ أي: لا يعقل ما يوكل إليه من

متولىه وهذا هو مثل الوثن الذي لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يحقق لعباده أو المتقرب إليه بأي خير فهو مثل الأبكم العاجز ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذا استفهام إنكاري بمعنى هل يستوي هذا الأبكم مع المستقيم في تصرفه وفي سمعه وبصره ؟ والجواب أنهما لا يستويان، فهذا مثل المؤمن والكافر لا يستويان.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير ضرب الله الأمثلة للناس، وذلك تربية للذين تصعب عليهم معرفة الأحكام وتقريبها لهم، لعلهم يعرفونها، ويعرفون مراد الله من دعوتهم لعبادته، فهذه الأمثلة تدعو العقول السليمة إلى التفكير في الفرق بين المؤمن والكافر وأنهما لا يستويان.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

بيان الآيات

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه هو العالم بالغيب، وأنه لا يعلمه إلا هو إلا إذا أراد أن يطلع أحداً عليه كما يفعل مع أنبيائه ورسله فيما يطلعهم عليه كما قال عز وجل ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١). ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢). ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ المراد بالساعة القيامة وهي أن قيامها مثل لمح البصر في سرعته أو هي أقرب من ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قادر على ما يريد يقول للشيء كن فيكون .

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ هذا بيان من الله عن نعمه الكثيرة على خلقه، ومنها: إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعرفون من الحياة شيئاً، وجعل لهم السمع والأبصار والعقول؛ ليكونوا قادرين على الحياة، إذ بدون هذه الوسائل الثلاث لا يقدرُونَ عليها كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾^(٣). ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المراد لعلكم بما أوتيتم من هذه النعم تشكرونه بعد أن تعرفوا عظمة خلقه فيكم كما قال عز وجل ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٢) سورة الجن من الآية ٢٧ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٢١ .

الْمَّ يَرَوُّا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۖ لَمَّا ذَكَرَ عِزَّ وَجَلَّ نِعْمَهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ أُرْسِدُوهُمْ إِلَى التَّمَعُّنِ فِي الطَّيُورِ، وَهِيَ تَسْبَحُ فِي الْجَوِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَذْهَبُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، لَا يُمْسِكُهَا وَلَا يَتَحَكَّمُ فِيهَا إِلَّا قُدْرَةُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَعَظِيمُ صُنْعِهِ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۖ أَيُّ: فِي ذَلِكَ عِبْرٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ وَبِمَا جَاءَهُمْ مِنْ بَيِّنَاتِهِ.

الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ويستثنى من ذلك من ارتضاه عز وجل ليطلعه عليه كحال الوحي لأنبيائه ورسله. تقرير أن قيام الساعة مثل لمح البصر في سرعته أو هو أقرب من ذلك. ومن الأحكام: التذكير بما أنعم الله على عباده من نعمة السمع والبصر والعقل وهي مكونات أساسية لحياتهم والتذكير بعظيم صنعه في تسخير الطير في جو السماء وأنه ما يمسكه إلا الله بقدرته.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَثًا وَمتَّعًا إِلَى حِينٍ ۖ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا

وَجَعَلَ لَكُم سَرَيبًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَيبًا تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ
كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ هذا ذكر لبعض نعم الله على عباده وهي أنه عز وجل هيا لهم سكنا يسكنون فيه يستظلون فيه من الحر والبرد والشمس ولم يهيئ لهم السكن إلا بعد أن هيا لهم وسائله من التراب، والحجر، وخشب الأشجار، والحديد، وغير ذلك من وسائل بناء المساكن.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: وصير لكم من الأدم خياماً وقبباً تنتقلون بها حال الإقامة أو التحول من مكان إلى آخر كما قال عز وجل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ أي: وجعل لكم من صوف الأنعام ووبرها وشعرها أثاثاً لراحتكم كالسجاد والثياب ﴿أَثْنًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: تنتفعون من هذه إلى حين ثم تنتفعون بمثلها.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أي: وجعل لكم ظلالاً

من الجدر والشجر ومن كل ماله ظل تستظلون به من الحر والشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا﴾ أي: حصونا تتحصنون بها ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَبِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ أي: جعل لكم قمصانا تستترون بها وتقيكم الحر والبرد ﴿وَسَرَبِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ أي: وصير لكم دروعا تحتمون بها حال الحرب ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: أعطاكم هذه النعم؛ لكي توحدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أنهم إن أعرضوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليك إلا أن تبلغهم ما أنزل إليك وأما هدايتهم فمردها إلى الله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: يعرفون نعمة الإسلام التي أتيت بها يا محمد ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ أي: يكذبونها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أي: وعامتهم على هذا التكذيب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير مخاطبة الله العرب الذين نزل فيهم القرآن بما يعرفونه في بيئتهم وحياتهم، كاستخدامهم جلود الأنعام في إقامتهم ورحيلهم في بداوتهم، وانتفاعهم بأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وما ينسجونه منها من المتاع وغير ذلك من النعم التي وردت على سبيل التمثيل.

ومن الأحكام: إباحة الانتفاع بوبر الإبل، وصوف الغنم، وشعر

المعز وهذه الإباحة حال ذبحها، أما حال موتها ففيه خلاف، والأصح أنها تعد نجسة تتبع الميتة في الحكم. ومن الأحكام: تقرير أن وظيفة الرسول هي الدعوة بالحسنى، أما الهداية فمن الله، وهذا يدل على أن الدعاة يبلغون ما يعلمون من أحكام الله إلى من يجهلون، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿١٢٧﴾

بيان الآية

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه يوم القيامة يأتي بالنبى الذي أرسل إلى الأمة، ليشهد عليها بما عملت وهو أعلم بذلك ولكن ليكون ذلك على رأى ومشهد منها ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يسمح لهم ليعتذروا عما حدث

منهم من التكذيب ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ المراد لا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بقول أو عمل؛ لأن ذلك كان في الدنيا وقد تركوه؛ أما في الآخرة فهي دار حساب لما كان في الدنيا وجزاء عليه ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾ المراد إذا عاين المشركون عذاب جهنم وطلبوا تخفيفه فلا يخفف عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: ولا هم يمهلون فيتأخر دخولهم النار.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ أي: إذا نظر المشركون إلى أصنامهم وأوثانهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ أي: هؤلاء الذين جعلناهم شركاء لك في العبادة ﴿فَالْقَوَاءُ إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: تنطق الأصنام وينطق كل معبود من دون الله يتبرأ ممن اتبعه ﴿وَالْقَوَاءُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ﴾ والمراد أن المشركين إذا رأوا عاقبة شركهم وكذبهم وتبرأ من عبوده منهم استسلموا لله وخضعوا لحكمه فيهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب عنهم من كانوا يعبدونه وبطل ما كانوا يعتقدونه من شفاعته لهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية هؤلاء لهم صفتان من الضلال، الصفة الأولى: أنهم كفروا، والصفة الثانية: أنهم صدوا غيرهم عن سبيل الله ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿١٨٩﴾ أي: يزداد عذابهم ويضاعف جزاء كفرهم وإضلال غيرهم وإفسادهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله يبعث من كل أمة نبيا؛ ليشهد عليها كما قال عز وجل ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١). تقرير أن الله يبعث معبودي المشركين فيتبعوهم وفي حديث أبي هريرة: (من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت) (٢). تقرير أن العذاب يضاعف للذين يصدون عن سبيل الله؛ لقاء كفرهم وإضلالهم وإفسادهم لغيرهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٨٩).

بيان الآية:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ المراد

(١) سورة النساء الآية ٤١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٠٠٠ .

بهم الأنبياء الذين يشهدون على أممهم يوم القيامة أنهم بلغوهم رسالة الله وأحكام شرعه ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ أي: على أمتك فتشهد عليهم بما عملوا ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا بيان من الله أنه لما أنزل القرآن بين فيه كل شيء من أمر الدين والدنيا فيما يحتاجه العباد في حياتهم الأولى وحياتهم الأخرى ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ أي: وفيه الهدى لقلوب العباد، وفيه الرحمة لهم ﴿وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه البشرى لهم بالسعادة في الدارين إذا عملوا بما فيه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الأنبياء يشهدون على أممهم بما عملوا، ومنهم رسول الله ﷺ الذي يشهد على أمته. تقرير أن في القرآن بيان أمري الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

بيان الآية:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هذه الآية الكريمة جامعة مانعة؛ لأن العدل جماع الشرائع الإلهية كلها، وهو عام وشامل لكل ما فرضه

الله من الفرائض؛ ذلك أن الله جل وعلا لما فرض عبادته جازى عليها بالعدل كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١). كما أن العدل شامل لكل ما جعله الله ميزانا للحياة، ومن ذلك نفي الظلم، وإعطاء الحقوق، والإصلاح في الأرض، ومحاربة الفحشاء والمنكرات ونحو ذلك، فهي بهذا مانعة لكل ما يخرج عن مفهوم العدل الذي أمر الله به. قوله ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ لما كان العدل هو الإطار الشامل لكل الفضائل الدينية والدنيوية، فإن الإحسان مكمل لهذه الفضائل وهو ما فسره جبريل عليه السلام بقوله (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (٢). وهو ما يقتضي تعويد النفس على فعل الخير وقسرها على نفي الشر.

قوله ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾ لما ذكر الله العدل والإحسان أمر عباده بإيتاء ذي القربى حيث إن إحسانهم إلى أهلهم من أوجب واجباتهم ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ في هذا بيان منه عز وجل أنه نهى نهى نهى عن ارتكاب المعاصي من الأقوال والأفعال ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أي: يأمركم بما فيه خير لكم ويحذركم عما فيه شر لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تنيبون إليه بما ينفعكم.

(١) سورة الأعراف من الآية ٣٥ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم (٥٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١٤٠ .

الحكم بأن العدل جماع الشرائع الإلهية كلها، وهو أساس علاقة

العبد بربه فيما يجب عليه من العبادة التي أمره بها وما ينتظره من جزائه عليها، وهو أساس علاقة العبد مع نفسه بحيث لا يظلمها بارتكاب المعاصي، كما أنه أساس العلاقة بين العباد أنفسهم فيما يجب عليهم من السلم واجتناب الظلم ونفي التفاضل بينهم إلا في التقوى.

تقرير وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وتحريم الفواحش بكل أنواعها، وتحريم البغي على الناس وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله العقوبة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم)^(١).

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، برقم (٤٩٠٢)، سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٨، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق، باب (٥٧)، برقم (٢٥١١)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٧٢.

بيان الآيتين:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ في هذا أمر من الله لعباده
 بوجوب الوفاء بعهودهم في كل ماتعاهدوا عليه بقول أو فعل ما دام أن
 ذلك موافق لأحكام الشرع ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾
 أي: بعد توثيقها وتشديدها ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾
 أي: شاهدا عليكم بما حلفتُم الأيمان ووثقتُموها. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
 تَفْعَلُونَ ﴾ أي: يعلم نقضكم الأيمان بعد توكيدها، وفيه تهديد
 ووعيد لمن يفعل ذلك ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ أَنْكَا ﴾ وهذا ضرب مثل للمرأة الخرقاء والحمقاء التي كانت
 في مكة تغزل صوفها ثم تنقضه بعد أن تعبت في غزله، واسمها ربيعة
 القرشية^(١) ومعنى ﴿ أَنْكَا ﴾ أي: تحله بعد إبرامه ﴿ نَتَّخِذُونَ
 أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ ﴾ أي: خديعة، قوله ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى
 مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أربى أي: أكثر، والمعنى - كما يقول الفراء - لا تغدروا بقوم
 لقلتهم وكثرتكم أو لقلتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالأيمان^(٢) فسكنوا
 إليها، وقيل: إن هذه الآية نزلت في العرب الذين كانت القبيلة منهم
 إذا حالفت قبيلة أخرى ثم جاءت إحداها قبيلة كثيرة قوية فداخلتها
 غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ج ٢ ص ١١٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٧١ .

﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ﴾ أي: يختبركم بما أوجبه عليكم من
 الوفاء ﴿ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: يبين
 لكم يوم القيامة أعمالكم فيجازيكم عليها.
أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الوفاء بالعهد، وهو كل ما تعاقد أو تعاهد عليه
 الإنسان من قول أو فعل غير مناف لأحكام الله ونظيره قول الله
 عز وجل ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (١). وقوله عز ذكره
 ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٢). ومن السنة: قول
 رسول الله ﷺ (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه
 خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اتتمن خان
 وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) (٣). ويقابل هذا
 التقرير تحريم نقض الأيمان بعد توكيدها، وهذا يستثني لغو اليمين
 الذي قال الله فيه ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ (٤).

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا

(١) سورة المائدة من الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، برقم (٣٤)، صحيح البخاري مع فتح
 الباري ج ١ ص ١١١ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٢٥ .

أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا
صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾

بَيَانُ الْآيَةِ

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لو أراد لجعلكم
على ملة واحدة ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ بسبب إعراضه وعدم
رغبته في الهداية ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بسبب طاعته ورغبته
في الهداية ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: سوف تسألون عن
أعمالكم فتجزون عليها ﴿وَلَا نَخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾
أي: لا تكون أعمالكم خديعة بينكم ﴿فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي:
تبوءوا بالخسران بعد أن هداكم الله، والمعنى لا تنقضوا ما تعاهدتم
عليه حين عرض لكم عارض من الدنيا ترون أنه أفضل مما تعاهدتم
عليه ﴿وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إذا
نقضتم ما تعاهدتم عليه أصبحتم بذلك غادرين تصدون عن سبيل

الله ﴿ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: يحق لكم حينئذ عذاب عظيم من الله؛ جزاء غدركم وصدكم عن سبيله.

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ المراد لا تنقضوا عهودكم التي عاهدتم الله عليها بعرض من أعراض الدنيا كالرشاء ﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي: إن الوفاء بها هو خير لكم؛ لأن الله سوف يجازيكم بالوفاء بعهوده ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إن كنتم تدركون ذلك ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ﴾ أي: ينتهي ويزول ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ أي: ما عنده من الثواب دائم لا يزول ولا يحول ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ هذا قسم من الله أن يجزي عباده الذين يصبرون على طاعته ويوفون بعهده بأحسن ما كانوا يعملونه في الدنيا.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله مصدق بكتابه وبما جاء به رسوله محمد ﷺ؛ فإن الله قد تعهد أن يحييه حياة طيبة في الدنيا وتأتي هنا بمعنى الرزق كما قال عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (١). ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢). ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

(١) سورة الطلاق من الآية ٢.

(٢) سورة الطلاق من الآية ٣.

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ أي: وهذا وعد من الله للذي يعمل صالحا أنه سيجزيه أجره في الآخرة بأحسن عمل عمله في الدنيا من صلاة وصدقة وغيرها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن حكمة الله اقتضت ألا يجعل الناس على ملة واحدة كما قال عز وجل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١). ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (٢). تحريم اتخاذ الأيمان وسيلة إلى الخداع. ومن الأحكام: تحريم نقض العهود من أجل عرض من أعراض الدنيا. ومنها: تقرير أن الله تعهد للصالحين بنوعين من الجزاء. الجزاء الأول في الدنيا: وهو الحياة الطيبة وتشمل الرزق والأمن والسعادة والجزاء الثاني: جزاء الآخرة وهو الثواب المقيم.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ هذا أمر من الله لنبيه محمد

(١) سورة هود الآية ١١٨ .

(٢) سورة هود من الآية ١١٩ .

ﷺ وهو أمر لأمته أنهم إذا أرادوا قراءة القرآن عليهم أن يستعينوا بالله من الشيطان الرجيم، وذلك دفعا لوسوسته ونزغاته ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي: لا يقدر أن يتسلط على المؤمنين، وذلك لقوة إيمانهم وتوكلهم على الله ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ﴾ أي: يكون سلطانه على الذين يطيعونه؛ بسبب ضعف إيمانهم وفساد قلوبهم ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: سلطانه يكون على الذين أشركوه مع الله في العبادة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن بقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). ومن الأحكام: تقرير أن الشيطان لا يتسلط على المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم وإنما يتسلط على الذين يطيعونه بإعراضهم عن الحق الذي جاءهم من ربهم.

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ ۚ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجٌ بَلِّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٠٢ ﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ
 اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٤٦﴾

بَيَانُ الْكَيْفَاتِ

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
 قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ في هذا بيان من الله تعالى عن فساد المشركين
 وكذبهم على رسول الله ﷺ؛ فإذا رأوا أن الله نسخ آية بأخرى
 لحكمة يراها وهو أعلم بذلك من خلقه قالوا للرسول: إنما أنت مفتر
 أي: تكذب فيما تقول عن تبديل الآية بآية أخرى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أعلم بما يشرعه لخلقه لما فيه خير لهم ﴿قُلْ
 نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ المراد به جبريل وأنه نزل بالقرآن من عند الله
 ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، قوله ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾
 أي: نزل به من كلام الله عز وجل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي:
 يؤيد المؤمنين به بما فيه من البراهين والدلائل الربانية ﴿وَهُدًى
 وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وفيه الهدى والبشرى للمسلمين؛ بأن
 لهم السعادة في الدارين إذا آمنوا به وصدقوه واتبعوا أحكامه فأحلوا
 ما أحله وحرّموا ما حرّمه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ هذا بيان من

الله عزوجل أنه يعلم ما كان كفار قريش يفترونه من الكذب على رسول الله ﷺ وقولهم: إن الذي يعلمه ما يقول هو بشر ويشيرون بذلك إلى غلام نصراني اسمه (جبر) كان يجلس عند الصفا، وكان رسول الله ﷺ يمر عليه يعلمه القرآن^(١) ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾ أي: إن لسان هذا الذي يشيرون إليه أعجمي لا يعرف العربية ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي: القرآن والمعنى كيف بمن كان لسانه أعجمياً أن يُعَلِّمَ محمداً هذا القرآن الذي لا يجاريه في بلاغته أو فصاحته أي كتاب في الدنيا ناهيك بأن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بسورة أو آية منه لما استطاعوا ! وهؤلاء الذين قالوا هذا القول أغبى الأغبياء، وأجهل الجهال، وأضل الضالين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هذا بيان من الله أن الذين لا يؤمنون به ولا بما جاء به رسولهم ويصرون على كفرهم وتكذيبهم لآيات الله، لا يهديهم إلى سبيله، ويكون جزاؤهم العذاب الأليم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المراد بهم الكفرة والمنحرفون الذين حادوا عن الطريق المستقيم، فيتجرؤون بالكذب على الله وعلى رسوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: إن هؤلاء هم الكاذبون المنحرفون الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(١) تفسير البغوي ص ٧٢٠ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن في القرآن آيات ناسخة وآيات منسوخة، وذلك تثبيتها للمؤمنين وهدى ورحمة لهم كما قال عز وجل ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(١). ومن الأحكام: أن الذي نزل بالقرآن من عند الله هو جبريل عليه السلام. ومنها: دحض كذب الكفار والمشركين الذين قالوا: إن الذي يعلم الرسول القرآن بشر من الناس. ومنها: تقرير أن الذين لا يؤمنون بآيات الله كهؤلاء المفترين لن يهديهم الله؛ بسبب ما هم عليه من الضلال وأنه لا يفترى الكذب على الله إلا هؤلاء وأمثالهم ممن فقدوا الإيمان فضلوا عن سواء السبيل.

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٦ .

بيان الآيات:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ أي: إن من كفر بالله بعد أن كان مؤمناً فقد استحق غضب الله. قيل: إن هذه الآية نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابه وقيس بن الوليد بن المغيرة فقد ارتدوا بعد إيمانهم^(١) قوله ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ أي: من أكره على الكفر ولكن قلبه متعلق بالإيمان، وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، فقد قتل المشركون أباه وأمه سمية، وكانا أول قتيلين في الإسلام رضي الله عنهما وأرضاهما؛ أما ابنهما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، ولكن قلبه لم يتغير بما وقر الله فيه من الإيمان^(٢).

قلت: وكما فعل بلال، وخباب، وياسر، وصهيب، وسمية، وعمار في صبرهم على دينهم رغم ما لاقوه من العذاب، فعل ذلك عبدالله بن حذافة السهمي، فلما أسرته الروم جاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت فقال: إذا أقتلك فقال: إذا أنت وذاك،

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٩٥.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٦٦، وتفسير البغوي ص ٧٢٠.

قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل ثم أمر بقدر، وفي رواية بقرة من نحاس فأحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه، وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقي فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه وقال: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشمتك بي فقال له الملك: قَبِّلْ رأسي وأنا أطلقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبَّل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ فقبِّل رأسه رضي الله عنهما^(١).

قلت: هكذا كان حال العدو في الماضي، وهو حاله في هذا الزمان

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، ج ٢ ص ٥٧٨، والإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٥٥-٥٦، برقم (٤٦١٣).

وفي كل زمان، مع تغير الصور والأشكال، وهل كان حال عبد الله بن حذافة كحال رجل من المسلمين اليوم؟ إن الزمان لا يتغير والعدو لا يتغير، ولم ينتصر المسلمون إلا بالمؤمنين الذين كانوا يؤمنون أن دين الله هو الذي يجب أن يظهر، وأن نور الله يجب أن يتم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع
فرضي الله عن بلال، وخباب، وصهيب، وياسر، وسمية، وعمار،
وعبد الله بن حذافة، وكل الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وما
بدلوا تبديلا.

قوله ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ أي: من تقبل الكفر
بصدر رحب ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
أي: يحل بهم سخط الله وعذاب جهنم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ أي: فضلوا
الدنيا على الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وذلك
بسبب كفرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي:
هم أولئك الذين طمس الله قلوبهم عن الهدى ﴿وَسَمِعِهِمْ﴾ عن
الحق ﴿وَأَبْصَرِهِمْ﴾ عن التدبر فيما أنزل الله على نبيه ورسوله
محمد ﷺ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن الإيمان ﴿لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: حقا أنهم في الآخرة هم
الخاسرون؛ بسبب ما يشاهدونه من العذاب المقيم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من تكلم بالكفر بعد إيمانه يعد مرتدا تطبق عليه أحكام الردة، ويستثنى من ذلك من تكلم بالكفر بلسانه، وهو مُكْرَهٌ وقلبه مطمئن بالإيمان، ويكون الإكراه بسببين: الفعل والقول، فالفعل مثل الضرب المبرح والعصر الشديد والسجن الموحش، أما القول فالتهديد وفيه خلاف، فإذا كان من رجل قادر ظالم يستطيع القتل وما في حكمه وليس للمُكْرَه من يمنعه منه، فله أن يقول ما أمره المُكْرَه ويسقط عنه الإثم؛ ذلك أن المشركين لما أخذوا عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك لرسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (كيف تجد قلبك؟) قال: مطمئنا بالإيمان فقال: (فإن عادوا فعد)^(١). هذا في حق نفسه؛ أما في حق غيره فلا يجوز أن يفدي نفسه بقتل غيره وعليه الصبر على ما يصيبه فإن قتل غيره قُتِلَ به وقال الإمام أبو حنيفة^(٢): لا يقتل وقال به أيضا سحنون من المالكية^(٣).

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا
ثُمَّ جَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٨ ص ١٨٢، والدر المنثور ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ج ٥ ص ١٨٦.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١١٨١.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

بيان الآيتين:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ هذا بيان مناطه طائفة من المستضعفين في مكة آمنوا بالله، وصدقوا رسوله محمداً ﷺ ثم تعرضوا لأذى قومهم، فقاربوهم في بعض ما يقولون لهم، ثم فروا بدينهم وهاجروا من بلادهم وجاهدوا مع المؤمنين وصبروا على إيمانهم فقال عزوجل فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: إجابتهم الفتنة لغفور رحيم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ المراد أخبر يا محمد هؤلاء أن الله غفور رحيم يوم تأتي كل نفس تحتاج عن نفسها يوم القيامة أي: لا يحتاج عنها قريب ولا صديق ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: تجزى بما فعلته من حسنة أو سيئة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يبخسون مما عملوا شيئاً.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الهجرة، وفرار المسلم بدينه، ووعد الله بالمغفرة والرحمة. تقرير أن كل نفس تخاصم وتحتاج عن نفسها يوم القيامة لا ينفعها قريب ولا صديق.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢) ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١١٣) ﴿

بيان الآيتين:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ هذا بيان من الله، ومثل ضربه لمشركي مكة فقد كانت هذه القرية ﴿ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ لا يعتدي عليها عدو، ولا يتعرض لها ظالم ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: تأتيها الأرزاق والثمرات والخيرات من حولها كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا ﴾ (١). ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ أي: كذب أهلها محمدًا ﷺ ورسالته وآذوه، وآذوا من آمن معه وعذبوهم ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ المراد أنهم لما كذبوا رسول الله ﷺ وما جاءهم به من البينات ابتغاء خيرهم في الدنيا والآخرة أبدل الله أمنهم خوفًا، فكانت سرايا رسول الله ﷺ تطوف حولهم، فكانوا يخشون أن تأتيهم في كل وقت، ثم ما تلا ذلك من فتح مكة وسقوط صناديد المشركين كما

أبدل الله شعبهم جوعاً حيث دعا عليهم رسول الله ﷺ وقال: (اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف) (١). وقد استجاب الله دعاءه، فانقطعت عنهم الميرة وأكلوا ما يسد رمقهم من العظام والجيف ونحوها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ المراد به محمد ﷺ فأخذهم العذاب وهو الجوع، والخوف الذي حل بمكة ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: ما كان هذا ليحل بهم إلا لأنهم ظلموا رسول الله ﷺ والمؤمنين.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الظلم وكفران نعم الله، وأولها: تكذيب دينه ورسوله يؤدي إلى الباساء والضراء، كالجوع، والخوف، وحلول النقم؛ لأن الظلم مما يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، ونظيره قوله عز وجل ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٢). أما المؤمنون فلا يصيبهم خوف ولا حزن كما قال عز وجل ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب يهوى بالتكبير حين يسجد برقم (٨٠٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٢ ص ٣٣٩.

(٢) سورة الشورى من الآية ٣٠.

(٣) سورة الزمر الآية ٦١.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

بيان الآيات:

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ هذا أمر من الله للمسلمين أن يكون أكلهم من الحلال ومن الطيبات وقيل: إن المراد بذلك المشركون؛ ذلك أنهم لما أشرفوا على الهلاك في مكة وأكلوا العظام والجيف قالوا لرسول الله ﷺ: إنك تصل الرحم وتعفو، فادع الله أن يفرج لنا مما نحن فيه فأرسل لهم عليه الصلاة والسلام طعاما وأذن للناس أن يرسلوا لهم الطعام^(١) ﴿ وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أي: اشكروا ما أنعم به عليكم إن أخلصتم عبادتكم له وحده.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٧٩٧، والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٩٥ .

اللَّهُ بِهِ ۖ ﴿١﴾ هذا بيان لأنواع الطعام التي حرمها الله على المسلمين وهي: كل ما مات مما أبيع أكله دون تذكية، وكل دم لم يختلط بالعظم، ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أي: ذبح على غير اسمه ﴿٢﴾ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴿٣﴾ أي: من احتاج إلى الأكل من هذه الأطعمة؛ لحفظ نفسه من الهلاك وهو غير مرید لها ﴿٤﴾ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ أي: يتجاوز عن ذلك بمغفرته ورحمته.

﴿٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴿٧﴾ المراد بذلك المشركون والكفار الذين حرموا البحائر والوصائل وسائر ما حرموه من عند أنفسهم، ويدخل فيه كل من يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله ﴿٨﴾ لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿٩﴾ أي: تنسبوه إلى الله كذبا من عند أنفسكم ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ أي: لا يفوزون في الدنيا ولا في الآخرة ﴿١٢﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ﴿١٣﴾ أي: وقت قصير في الدنيا يتمتعون فيه ﴿١٤﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ في الآخرة.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب شكر الله على نعمه وعدم الكفر بها؛ لما يقتضيه ذلك من العذاب كما قال عز وجل ﴿١٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٧﴾ (١).

تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وكل ما أشرك مع الله فيه مع استثناء المضطر الذي يدفع عن نفسه الهلاك وأن يكون غير باغ لذلك. تحريم الكذب على الله وتحليل ما حرمه أو تحريم ما أحله وقد توعد الله من يفعل ذلك بالعذاب الشديد.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

بيان الآيتين:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه إنما حرم على هذه الأمة عدداً قليلاً من المحرمات من الأطعمة، ثم استثنى من التحريم ما كان للضرورة، ولكنه حرم على اليهود أشياء كثيرة نزل بها كتابهم قبل نسخه، وقد ضيق عليهم فيها؛ لتضييقهم على أنفسهم مما ذكره عز وجل في قوله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ الآية (١). وقد سبق ذكر ذلك ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: ما ظلمهم الله بما حرمه عليهم ﴿وَلَكِنْ

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦﴾ أي: ظلّموا أنفسهم فحرم الله عليهم تلك الأطعمة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ أي: كانوا يفعلون المعاصي عن جهل منهم ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ أي: تركوا ما كانوا فيه من المعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: إن الله يغفر لهم ويرحمهم بعد تلك المعاصي التي تابوا منها وأصلحوا.

أحكام ومسائل الآيتين:

التقرير بأن الله خفف عن أمة محمد ﷺ ولم يحرم عليها إلا عددا قليلا من الأطعمة، واستثنى من التحريم ما كان لضرورة، بينما حرم على اليهود أشياء كثيرة من الأطعمة، بسبب ظلمهم. التقرير بأن الله يغفر ويرحم أصحاب المعاصي الذين ارتكبوها بجهل منهم ثم تابوا منها وأصلحوا كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢٠) ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢١) ﴿وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ

أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ المراد بالأمة في هذا المقام من يؤتم ويقتدى به، وفي هذا مدح لنبي الله إبراهيم أنه كان أمة يهتدى به في عبادته وإيمانه وقنوته أي: طاعته وخشيته من الله وهي توحيد الله ومحاربته للشرك ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تأكيد على توحيده لله ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ أي: شاكرًا لنعم الله عليه بما اعطاه من النبوة والولد وهو في كبره ﴿أَجْتَبَاهُ﴾ أي: اصطفاه كما قال عز وجل ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١). ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المراد بذلك أنه كان عابدًا لله موحدًا له ومطيعًا مجتنبًا للشرك ومحاربًا له في قومه، وأولهم أبوه.

﴿وَعَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ المراد به الولد كما قال تعالى ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢). وقد يكون ما آتاه الله في الدنيا من العبادة والإخلاص ﴿وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: إنه يحشر مع الصالحين من عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾

(١) سورة النساء من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الصافات الآية ١١٢ .

المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أنه لفضل إبراهيم أمرناك أن تتبع ملته؛ لأنه كان حنيفاً متعبداً لله موحداً له ومخلصاً له ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ما كان مشركاً لله بوثن أو صنم أو غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

تكريم الله لإبراهيم، وتقرير اتباع رسول الله محمد ﷺ لملته كما قال عز وجل ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١). ويدخل في معنى الأمة كل من يعلم الناس الخير، وعن مالك أن عبد الله بن مسعود قال: يرحم الله معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله، فقيل: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر الله بهذا إبراهيم. فقال ابن مسعود: إن الأمة هو الذي يعلم الناس الخير وإن القانت هو المطيع (٢).

قال القرطبي: وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول، ولا تبعة على الفاضل في ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء عليهم السلام وقد أمر بالاعتداء بهم، كما قال عز وجل ﴿فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَ﴾ (٣). وقال هنا ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٤).

(١) سورة الأنعام الآية ١٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٩٧-١٩٨ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٩٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٩٩ .

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

بيان الآية:

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ذلك أن الله اختار لهم يوم الجمعة الذي كمل فيه خلق الله للمخلوقات فلم يقبلوا ذلك، وإنما اختاروا يوم السبت فألزمهم الله به وألزمهم أنه إذا بعث محمداً ﷺ، فعليهم أن يتبعوه، وقد تمسك اليهود بهذا اليوم حتى بعث الله عيسى، ف قيل: إنه حولهم إلى يوم الأحد، وقيل: إن الذي تحول إلى الأحد هم النصارى زمن قسطنطين مخالفين بذلك لليهود؛ للعداء الذي كان مستحكماً بينهم^(١).

أما المسلمون: فقد اختار الله لهم يوم الجمعة، ففي حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلاق)^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٤١٩ .

قلت: وهذا يبطل حجة من قال بتغيير يوم الجمعة إلى السبت أو الأحد؛ لأنه بهذا يكون تاركا اختيار الله هذا اليوم للمسلمين ومتبعاً لأهل الكتاب في اختيارهم كما قال رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن) (١).

﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
أي: سوف يجازيهم على اختيارهم يوم السبت وترك الجمعة التي اختارها لهم أحد أنبياءهم.

أحكام ومسائل الأئمة

تقرير أن الله اختار يوم الجمعة عيد أسبوع للمسلمين، فمن بدله فقد ترك اختيار الله واتبع أهل الكتاب في اختيارهم.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

بيان الآية

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ هذه الآية نزلت في مكة حين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، برقم (٧٣٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٣١٣.

مهادنة قريش، فقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يدعو المشركين برفق ولين قبل أن يؤذن له في قتالهم^(١) وهذه الآية باقية إلى يوم القيامة في دعوة من تنفعه الموعظة لقوله عز وجل ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٣). فاقترضى هذا أن على من يدعو إلى دين الله أن يجادل من يدعو به بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالرفق واللين ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: قد علم السعيد من الشقي ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: ما عليك يا محمد إلا أن تدعوهم إلى الله فهو أعلم بهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الدعوة إلى الله واجبة، وهذا الواجب فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإن كان المسلم في مكان لا يوجد فيه من يدعو إلى الله أصبحت الدعوة واجبة عليه عينا. تقرير أن الدعوة يجب أن تكون بالكتاب والسنة، وأن تكون مصحوبة بالموعظة والمجادلة الحسنة والرفق واللين.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٠٠.

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ﴾ قال جمهور المفسرين: إن هذه الآية نزلت في التمثيل بحمزة بن عبد المطلب والمراد أن من عاقبكم فعاقبوه بمثل ما عاقبكم به ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ فالآية نزلت في مسألة التجانس في العقوبة ثم جعل الله الخير في الصبر ثم قال ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وهذا هو ما فعله رسول الله ﷺ حيث صبر، ولم يمثل بأحد رغم ما ساءه من منظر حمزة رضي الله عنه، فقد روي عن ابن عباس أن المشركين لما انصرفوا عن قتلى أحد انصرف رسول الله ﷺ فرأى منظراً ساءه ورأى حمزة قد شق بطنه، وجدعت أذناه واصطلم أنفه، فقال: (لولا أن يحزن النساء أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطيور، لأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم) ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه، فخرجت رجلاه فغطى وجهه وجعل على رجليه من الإذخر، ثم قدمه فكبر عليه عشراً، ثم يجاء بالرجل فيوضع

وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتل سبعين، فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فصر عليه الصلاة والسلام ولم يمثل بأحد^(١).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تحزن على قتل أحد، فإنهم قد صاروا إلى رحمة الله ومغفرته ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: ولا يضيق صدرك من المشركين ومكرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: إن الله مع الذين آمنوا به وأحلوا ما أحله وحرموا ما حرمه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي: في جميع أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.

أحكام ومسائل الآيات

الحكم بوجوب التماثل في القصاص، فمن قتل بشيء قُتل به. تقرير أن في الصبر فضيلة وخيراً للصابرين. تقرير أن معية الله مع الذين آمنوا بربهم واتقوه وأحسنوا في جميع أقوالهم وأفعالهم.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٦٨، وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٢٤٤، وتفسير البغوي ص ٧٢٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة آية

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ﴾ أي: تقديس وتنزه عن كل ما لا يليق بعظمته في أسمائه، وصفاته، وكماله، وجلاله. ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ المراد بعبدته هو: نبي الله ورسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، الأمي ﷺ وفي حديث الإسراء في صحيح البخاري: حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا

تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب، فيه تور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة، فحشا به صدره ولغاديدته -يعني عروق حلقه- ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء، من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم وقال: مرحباً وأهلاً بابني نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى، من هذا؟ قال: جبريل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً، ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا

له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء صدره المنتهى ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد: ماذا عهد إليك ربك قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل، كأنه يستشير في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم، إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا، فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً، وقلوباً، وأبداناً، وأبصاراً، وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى

جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب إن امتي ضعفاء أجسادهم، وقلوبهم، وأسماعهم، وأبدانهم، فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضاً، قال رسول الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام»^(١).

قوله ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد به مسجد مكة، أما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس ثالث الحرمين ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي: حول المسجد الأقصى، وقد بارك الله في الأرض التي حوله وهي: بلاد الشام بما أنعم الله عليها من الأشجار، والثمرات، والخيرات كما بارك في المسجد بمضاعفة أجر الصلاة فيه. قوله ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي: المراد أن الله أسرى بعبده إلى السماء ليريه قدرته وعجائب صنعه، ويخبر الناس بما رآه مشاهدة في القدس - وهي بعيدة عن مكة - وصعوده إلى السماء ومشاهدته للأنبياء والصلاة

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

والسلام عليهم واستبشارهم به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: السميع لأقوال عباده البصير بأحوالهم، وقد اقتضى أمره أن يجعل من الإسراء بعبدته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج به إلى السماء عبرة وعظة لمن يتذكر ويخشى.

قلت: وقد وردت في مسألة الإسراء أحاديث كثيرة مفصلة موجودة في مصادرها، وقد اكتفيت بما ورد منها في صحيح البخاري^(١).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير واقعة الإسراء وحقيقتها، وقد اختلف فيما إذا كان هذا الإسراء بالروح فقط، أم بالروح والجسد، والأصوب أنه أسري برسول الله ﷺ جسدا وروحا بدليل قوله تعالى ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾. تقرير شرف المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، وشرف مسجد رسول الله ﷺ معلوم من قوله: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)^(٢).

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، برقم (١٣٩٤)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٣٧١٢ .

بيان الآيتين:

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لما ذكر الله عز وجل واقعة الإسراء بوصفها تكريماً لرسول الله محمد ﷺ بين ما امتن به على موسى من إيتائه الكتاب، وهو التوراة قوله ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: جعلنا التوراة هادية لبني إسرائيل ودالة لهم إلى الصراط المستقيم ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي: لا تجعلوا لكم ولياً يواليكم أو نصيراً ينصركم من دوني.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ لما أمر الله بني إسرائيل ألا يتخذوا من دونه وكيلاً قال: ذرية من حملنا مع نوح، ولعل المراد أن أباهم سام بن نوح، وكان مع من نجى الله من الغرق فكأنه قال يا ذرية نوح لا تتخذوا شريكاً لي بل اشكروا الله على ما نجاكم، فإن أباكم نوحاً كان من الشاكرين لله وهو معنى قوله عز وجل ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

أحكام ومسائل الآيتين:

التوجيه لبني إسرائيل ولغيرهم من الأمم أن لا يتخذوا ولياً لهم من دون الله، وتوجيههم بوجوب شكره على نعمه، ونجاة أبيهم نوح من الغرق، ووجوب اقتدائهم بأبيهم نوح في شكره لله عز وجل.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبداً

لَنَا أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾
 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ
 أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
 كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: كتبنا على بني إسرائيل في
 كتابهم التوراة ﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أي: كتب عليهم أنهم
 سوف يفسدون في الأرض مرتين بارتكاب الظلم، والطغيان، والفجور،
 وكان ذلك قد وقع منهم فعلا ﴿وَلَنَعْلَنَ عُلوًّا كَبِيرًا﴾ أي: سيبلغون
 بغيا كبيرا ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي: إذا حدث منهم الظلم في
 المرة الأولى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بِأَسِ شَدِيدٍ﴾ أي: سلط
 عليهم عبادا من عباده ولو كانوا مشركين ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾
 أي: عاثوا فيهم قتلا وتشريدا، وهو ما حدث لهم من المصائب والقتل
 والتدمير على يد جالوت ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: كان هذا بقضاء
 الله وقدره ووعدده لهم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ المراد أن بني إسرائيل لما مكثوا سنين طويلة وهم مشردون مضطهدون تابوا من ذنوبهم، فخرج منهم داود عليه السلام وقادهم للنفير للجهاد ومقاتلة المشركين، فكانت لهم الغلبة حين قتل داود جالوت.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ المراد إن أحسنتم عاد لكم نفع إحسانكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي: إن أسأتم فالإساءة تعود عليكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعُوْا وُجُوهَكُمْ﴾ أي: جاء وقت الكرة الأخرى بعث الله عليهم عبادا، ليسيئوا وجوههم بما يصيبها من الخوف والهلع ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ أي: بيت المقدس كما دخلوه أول مرة ﴿وَلِيُتَبَرَّوْا﴾ أي: يدمروا ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: ما نالوه وطالوه ﴿تَبَّيرًا﴾ أي: تدميرا كاملا، ولعل المراد به ما حصل لهم من بختنصر حين غزاهم من بابل وقتلهم وشردهم وما زالوا يرون في العراق بقية عداوة لهم.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ أي: لعل ربكم يرحمكم إن عدتم إلى الطريق المستقيم وتركتم الضلال والظلم والطغيان ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ أي: إن عدتم إلى الضلال عدنا إلى تسليط غيركم عليكم، وهذا هو ما حدث لهم بعد بعثة محمد ﷺ وتكذيبهم وعداوتهم له وهمهم

بقتله ونقضهم لما عاهدوه عليه فأجلاهم من المدينة فتشردوا في الأرض
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي: محبسا.

قلت: وهذه هي حال بني إسرائيل في كل مكان يتكاثرون فيه
يظلمون ويظفون، كما فعلوا في عدد من الأماكن التي سكنوا فيها في
أوربا وغيرها، وكما يفعلون اليوم من الظلم والعدوان على أهل فلسطين
فيسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قضاء الله على بني إسرائيل؛ بأنهم يفسدون في الأرض
مرتين، وقضاؤه نافذ لا محالة. تقرير ما حدث لهم من تشريدهم
واضطهادهم مرتين؛ بسبب فسادهم وظلمهم، وتوعد الله لهم أن يحل
بهم العذاب إذا لم يرجعوا عن طغيانهم وظلمهم.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠١﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ في هذا بيان من الله
عن فضل وعظمة كتابه العزيز، وأنه يهدي للطريقة المثلى ﴿وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ ﴿١٠﴾ أَي: وفيه البشرى للذين يحكمونه في أحوالهم ﴿١١﴾ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٢﴾ أَي: مثوبة يوم القيامة ﴿١٣﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ أَي: وينذر الذين ينكرون البعث أن لهم عذابا أليما.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل القرآن، وما فيه من الهداية للمؤمنين والبشارة لهم يوم القيامة، وما فيه من النذارة للكافرين.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ﴿١١﴾

بيان الآية:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ المراد به دعاء الرجل على نفسه أو على ولده، أو على شيء من ماله كدابته، وذلك عندما يضيق صدره، أو تحل به نازلة وهو حين يفعل ذلك لا يحب بل ولا يطلب أن يستجيب الله دعاءه، ولأن الله يعلم ما توسوس به نفوس عباده يصفح عن عبده، فلا يستجيب له. قوله ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أَي: يدعو على نفسه وولده كدعائه بالخير لنفسه وولده ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ أَي: يطلب العاجل ويؤثره على الآجل كما قال عز وجل ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (١). ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢).

(١) سورة القيامة من الآية ٢٠ .

(٢) سورة القيامة الآية ٢١ .

أحكام ومسائل الآية:

التحذير من دعاء الإنسان على نفسه، أو ولده، أو ماله، أو قريبه، في حال الغضب وفي الحديث: (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم)^(١).

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۚ لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾

بيان الآية:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه جعل الليل والنهار آيتين من آياته العظام مما يدل على قدرته، وامتنانه على خلقه ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: طمسنا آية الليل؛ ليكون سكنا لعباده وراحة لهم ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: جعل النهار مضيئاً من أجل حياتهم ومعاشهم ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتعملوا من أجل أرزاقكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ أي: لو كان الأمر غير ذلك ليلا بدون نهار أو نهارا دون

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، برقم (٣٠٠٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٩٣.

ليل لما عرف الخلق حساب السنين ولا الشهور ولا الأسابيع ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ أي: بينا في القرآن وفي الآيات كل ما فيه نفع الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير مشروعية علم الحساب، وهذا يقتضي تعلمه، فلو أبدع المسلمون في تعلم الرياضيات ودقائق علم الحساب لما احتاجوا أن يكونوا عالة على الأمم الأخرى، ولكانوا هم الرواد في هذا العلم كما كان أسلافهم في عصر النهضة العلمية.

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) أقرأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)

بيان الآيتين:

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبِيرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الطائر: العمل والمراد أن كل من يعمل عملاً يلزم به، ويجازى عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١). ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢). وقوله

(١) سورة الزلزلة الآية ٧ .

(٢) سورة الزلزلة الآية ٨ .

في عنقه أي: يكون ملازماً له ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ المراد أنه سيجد عمله يوم القيامة مسجلاً عليه ينشر أمامه فيجد فيه كل كبيرة وصغيرة عملها بعد أن تم تسجيل ذلك عليه، كما قال عز وجل ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١). وقوله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾^(٢). ﴿كَرَامًا كَتِبِينَ﴾^(٣). ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٤).
﴿أَقْرَأُ كِتَابَكَ﴾ أي: اقرأ ما كتب عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ أي: محاسباً، وهذا من عدل الله أن يجعل عباده هم الذين يرون أعمالهم ويحاسبون أنفسهم؛ ليعلموا أن الله لم يظلمهم مثقال ذرة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن الإنسان يلزم بما عمل من خير وشر، ويجازى عليه بعد أن يرى عمله قد بسط في كتابه فيؤمر أن يقرأه لكي يحاسب نفسه بنفسه، وليعرف أن الله عادل لا يظلمه مثقال ذرة.

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً ۖ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١٥)

(١) سورة ق الآية ١٨ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠ .

(٣) سورة الانفطار الآية ١١ .

(٤) سورة الانفطار الآية ١٢ .

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾

بيان الآيات:

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن الذي يهتدي يرجع ثواب اهتدائه إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: ومن ضل يتحمل وزر ضلاله، وهذا هو غاية العدل؛ لأن كلا يجزى بما عمل لا يذهب ثواب عمله إلى غيره ولا يلحقه وزر غيره وهو معنى قوله ﴿وَلَا نُزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه لن يجازي أحدا إلا بعد أن يرسل له رسولا يبين له طريق الهدى من الضلال، وهذا هو ما قام به الرسل إلى أممهم، فمن اتبع الحق فقد نجا، ومن عاند وتكبر استحق جزاءه.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ المراد أن الله عز وجل حينما يأمر أهل قرية بفعل الطاعات وترك المحرمات ثم يفسق المترفون فيها فيرتكبون ما حرم الله من الفواحش، فحينئذٍ يحق عليها العذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أي: أهلكناها عن آخرها

وهذا هو ما حدث للأمم البائدة من قوم هود وصالح ولوط وغيرهم حين عصوا الله وكذبوا رسلهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ في هذا تخويف للمشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ بأن الله أهلك قبلهم عددا من الأمم بعد نوح، وكما فعل بهم حري أن يفعل بهؤلاء المشركين ﴿وَكَفَىٰ رَبِّكَ ذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ أي: كفى به خبيرا بأفعال عباده بصيرا بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عمل الإنسان يرجع ثوابه أو وزره عليه كما قال عزوجل ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (١). تقرير أن الله يأمر الناس بالطاعات، وينهاهم عن المعاصي، فإذا فسق مترفوهم بأن تركوا ما هو خير لهم من الطاعات، وارتكبوا ما هو شر لهم وهو المعاصي عاقبهم الله، وهذه هي سنة الله في خلقه من الأولين والآخرين.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)

كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٢٤﴾
 أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
 وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٢٥﴾

بيان الآيات:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ المراد
 أن من كان يطلب الدنيا وما فيها من مُتَعَهَا على الآخرة يعجل له
 ذلك إذا شاء وأراد؛ لأن كل شيء مقيد بحكمته ومشيئته ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا
 لَهُ جَهَنَّمَ﴾ أي: كانت له في الآخرة نار جهنم ﴿يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
 مَذْحُورًا﴾ أي: يقاسيها وهو مذموم مدحور أي: مطرود من رحمة
 الله ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ وعلى النقيض من
 الفريق الأول من ابتغى الآخرة وفضلها على الدنيا بأن اتبع طريق
 الله واتبع ما جاء به رسوله وهو مؤمن ومصدق لما جاء به؛ فإن الله
 يتقبل سعيه وعمله ويجازيه عليه وهو معنى قوله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ أي: أن كل واحد
 من الفريقين طالبي الدنيا وطالبي الآخرة يمدهم الله بما يطلبونه،
 وذلك بفضله، حيث يعطي كلا منهم ما يستحقه من الثواب والعقاب
 ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ أي: لا أحد يمنع عطاء الله، فهو

المالك المتصرف ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ انظر يا نبينا ورسولنا محمداً كيف فضلنا بعض الناس على بعض، وذلك لتفاوت أعمالهم؛ فمن يسعى منهم في الدنيا لعمل الآخرة يؤتى أجر الدنيا والآخرة. ومن يسعى منهم لعمل الدنيا يؤتى أجر الدنيا ويحرم أجر الآخرة ﴿ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ أي: الآخرة لعباد الله المؤمنين أكبر وأفضل من الدنيا؛ لأن حظوظ الدنيا فانية، أما حظوظ الآخرة فباقية لا تزول ولا تحول.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن مصير المرء متوقف على نيته وعمله، فإن كان يفضل الدنيا على الآخرة فقد يعجل الله له مبتغاه ويكون مآله إلى العذاب، أما من فضل الآخرة نية وسعيًا؛ فإن الله يشكر ويقدر سعيه وما يتحقق للفريقين هو من الله حيث يعطي كلا منهما ما يستحقه.

تقرير أن الله فضل في الدنيا بعض الناس على بعض؛ لحكمة أحكمها وقدر قدره، ولكن الآخرة تكون لعباده المؤمنين، وهذه أفضل وأجل من الدنيا.

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ

لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٠﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ
وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١١﴾.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: المخاطب
رسول الله ﷺ والمراد أمته، وهذا الخطاب يقتضي تحريم الشرك، ومن
فعل ذلك فسيبقى دون ولي يواليه من دون الله أو ناصر ينصره من
دونه.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: أي: حكم ألا تعبدوا إلا الله
وحده، ولا تشركوا معه في العبادة غيره ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
أي: وحكم بأن تحسنوا إلى والديكم ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾: أي: إذا بلغ أحدهما أو كلاهما مبلغ الكبر ﴿فَلَا
تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ﴾: أي: لا تتأفف أو تضجر منهما أو تتكلم معهما بكلام
غير مؤدب، وقد نبه الله على احترام وتوقير الوالدين في حال الكبر؛ لأنها
الحال التي تكون الحاجة إلى الرعاية فيهما أكد وأشد ﴿وَقُلْ لَهُمَا
قَوْلًا كَرِيمًا﴾: أي: تعامل معهما بما يجب أن يعاملا به من الرقة
في القول والفعل.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾: أي: تذل واخضع
لهما في الكلام، وفي المعاملة ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

أي: ادع لهما بالرحمة حال حياتهما وحال موتهما، كما ربوك حال صغرك وحال حاجتك للتربية.

الحكم بتحريم الشرك، وتقرير عقوبة المشرك، وكونه يطرد من رحمة الله. الحكم بوجوب عبادة الله وحده ووجوب الإحسان إلى الوالدين، ومعاملتهم بما يجب أن يعاملوا به من اللين والشفقة والعطف عليهم حال كبرهم، وعدم التأفف منهم في أي حال مع وجوب التذلل لهم وطاعتهم والدعاء لهم، حال حياتهم وحال مماتهم. وقد وردت أحاديث كثيرة في مسألة برّهم، فعن عبد الله بن عمر قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها) قال: ثم أي؟ قال: (ثم بر الوالدين) قال: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)^(١). وعنه رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي)^(٢). وعن أبي أسيد قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسا فجاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله أ بقي من بر أبوي شيء أبرهما من بعد موتهما؟ قال: (نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهدهما من بعدهما وإكرام

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً، برقم (٧٥٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٥١٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، برقم (٢٥٥٢)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٥٤.

صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما^(١).

وبر الوالدين يترتب حتى لو كانا غير مسلمين والأصل في هذا:

قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٢). وفي حديث أسماء بنت أبي بكر قالت قدمت أُمِّي وهي مشركة وراغبة في بري لها فاستفتيت رسول الله ﷺ أفأصلها؟ قال: (نعم صلي أمك)^(٣).

ووجوب بر الوالدين يقتضي حكماً تحريم عقوقهم، ففي حديث

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه) قيل: من يارسول الله؟ قال: (من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة)^(٤). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ ﴿٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب صل من كان أبوك يصل، برقم (٣٦٦٤)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٠٨.

(٢) سورة لقمان من الآية ١٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوجة والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم (١٠٠٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ٢٧٧٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، برقم (٢٥٥١)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٥٥٢.

الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أْبَتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ
تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

بيان الآيات:

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أنه أعلم بما في نفوس عباده إن كانوا يبرون والديهم ويؤدون واجبهم نحوهم أو أنهم على النقيض من ذلك، يؤذونهم ويقطعون فيهم ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ أي: يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ لما بين عز وجل أنه قضى ببر الوالدين بين ما يجب من بر الأقارب من الأرحام وما في حكمهم؛ لأن قرابة الرجل جزء منه، وهو جزء منهم فاقتضى ذلك برهم ﴿ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ أي: وكما يجب أن يؤدي المرء حق قرابته يجب عليه أداء حق طائفة أخرى يستحقون المساعدة وهم المساكين الذين أعتيتهم الحيل، فلم يجدوا ما يكفيهم مؤنتهم، ومنهم: أيضا ابن السبيل الذي انقطعت به السبل بعيدا عن أهله.

﴿ وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا ﴾ لما ذكر الله وجوب الإنفاق على مستحقه نهى عن الإسراف في الإنفاق؛ لأن المراد منه سد حاجة المحتاج والإسراف في الإنفاق تبذير ولو كان في وجوه الخير ﴿ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

الشَّيَاطِينُ ﴿١﴾ أي: إن من يبذر ماله يكون شبيها بالشياطين في سفهمهم وضلالهم وبعدهم عن الحق ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢﴾ أي: جاحدا لنعمه وفضله متنكرا للحق ومعرضا عن طاعة الله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ المراد أنه إذا سألك أحد من أقاربك أو غيرهم النفقة وليس عندك شيء ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: لاطف من سألك منهم، وأظهر له العذر بأنه ليس لديك ما تعطيه. وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ المال فلا يعطيهم؛ لأنه كان يعلم أنهم يبذرونه (١).

أحكام وأحكام لأحكام القرآن

تقرير أن الله يعلم سرائر النفس وخفاياها، فيعلم البار من العاق ويجازي كلا منهما بعمله. ومن الأحكام: وجوب بر الأقارب وصلتهم وفيه قول رسول الله ﷺ (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) (٢). ومنها: مساعدة المساكين وابن السبيل الذي تقطعت به السبل بعيدا عن أهله. ومنها: تحريم التبذير ولو كان في وجوه الخير، وتشبيه المبذرين بالشياطين في سفاهتهم وضلالهم. ومنها: وجوب ملاطفة السائل للمال إذا كان المسؤول لا يجده.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٢٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم (٥٩٨٦)،

صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٢٩.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مُحْسُورًا ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ۝ هذا نهى من الله تعالى
عن البخل؛ لما فيه من قسوة النفس عن البذل فيما يجب فيه البذل
كصلة الرحم، ومساعدة المحتاجين ۝ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ۝ أي:
ولا تسرف فتبذر المال في غير ما يجب فيه ۝ فَنَقْعَدَ مَلُومًا مُحْسُورًا ۝
أي: إذا أنفقت المال دون رشد ذهب المال عنك فتندم على ما فعلت
فتكون ملوما في كلتا الحالتين حالة البخل؛ لأن الناس سوف يلومونك
ويعيرووك ببخلك وحالة الإسراف؛ لأن الناس سوف ينفرون عنك إذا
صرت فقيرا بعد غناك ۝ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۝
أي: أنه هو الذي يغني من يشاء من عباده ويضيق الرزق على من يشاء
منهم، وذلك لحكمة أحكمها وقدر قدره، فقد يكون غنى هذا وبالا عليه
إذا جعل المال وسيلة للفساد، وقد يكون فقر هذا نفعاً له ۝ إِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ أي: إنه الخبير البصير بأحوال عباده، فيكون
الغنى أو الفقر خيراً له.

أحكام ومسائل الآيتين:

النهي عن البخل والشح كما قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(١). وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: (واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم)^(٢). ومن الأحكام: النهي عن الإسراف في الإنفاق، وفي هذا إرشاد للامة في تسيير اقتصادها، وترشيده، ووضعه في طريقه الصحيحة. ومنها: الحكم بأن الله يعرف أحوال عباده ومن يستحق منهم الغنى ومن يستحق منهم ضده.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا^(٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا^(٣٣) ﴿

بيان الآيات:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ في هذا نهى من الله نهى تحريم عن قتل الوالد لولده خشية الفقر؛ بسبب إطعامه كما كان

(١) سورة محمد من الآية ٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٧٨)، صحيح مسلم بشرح

النووي ج ١٠ ص ٦٥٩٣ .

بعض العرب في جاهليتهم يفعل ذلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ في هذا
توكيد من الله أنه تكفل برزق عباده كما قال عز وجل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١). ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾
أي: خطأ فاحشا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ في هذا نهي تحريم عن ارتكاب الزنى وبيان
الله ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي: منكرا تمقته النفوس المؤمنة ﴿وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ أي: بئس عملا وطريقا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: إن الله حرم
عليكم أيها الناس قتل النفس دون حق مشروع ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا
فَقَدْ جَعَلْنَا لَوَلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ أي: من كان قتله ظلما، فإن لوليه
السلطة على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾ والمراد ألا يقتص
إلا من قاتله، وألا يقتل به أكثر من واحد، وألا يمثل به ﴿إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا﴾ أي: إن ولي القتل منصور على القاتل في الاقتصاص منه.
أحكام ومسائل الآيات:

في الآيات السابقة حرم الله قتل الولد خوف الفقر، وفي ذلك روى عبد
الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله
ندا وهو خلقك) قلت إن ذلك لعظيم ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك تخاف

(١) سورة هود من الآية ٦.

أن يطعم معك) قلت ثم أي ؟ قال: (أن تزاني بحليلة جارك)^(١).

وكما حرم الله قتل الولد حرم الزنى لفحشه، وسوء عاقبته، ولما سأل شاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنى فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه، مه، فقال: (ادنه) فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: (أتحبه لأمك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم). قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لعمتهن؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(٢).

وكما حرم الله قتل الولد وحرم الزنى، حرم القتل مطلقاً بغير حق شرعي، وجعل لولي المقتول سلطة على القاتل يقتص منه فلا يزيد على ذلك، كما كان العرب في جاهليتهم يقتلون اثنين أو أكثر

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)، برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ١٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٥٦-٢٥٧.

عن الواحد. وقد عظم الله قتل النفس بغير حق في قوله عز وجل
 ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا
 فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (١).
 كما عظم ذلك رسول الله محمد ﷺ بقوله: (لزوال الدنيا أهون على
 الله من قتل رجل مسلم) (٢).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُمْ
 بِالْقِيسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ
 بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۖ
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ
 طُولًا ۖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۖ﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في هذا أمر من الله
 عز وجل بعدم التصرف في مال اليتيم إلا بما فيه نفع له، وهذا من
 لطفه ورحمته به أكثر من وليه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ المراد وجوب

(١) سورة النساء الآية ٩٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن برقم (١٣٩٥)، سنن
 الترمذي ج ٤ ص ١٠، وابن ماجه في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، برقم
 (٢٦١٥)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٧٢ .

المحافظة على ماله حتى يكبر، ويكون قادرا على حفظه وحمايته ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهذا أيضا أمر من الله عز وجل بوجوب الوفاء بما يتعاهد عليه المرء مع غيره ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي: إن كل متعاهد سوف يسأل عما تعاهد عليه.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ وهذا أمر منه عز وجل بالوفاء بالكيل وعدم التطفيف فيه أو بخس صاحبه حقه ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَقِمْ﴾ أي: ليكن وزنكم بالعدل دون حيف ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: إن في الوفاء بالكيل خيرا وبركة لكم وأحسن لكم عند مآلكم إلى الله ومنقلبكم إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ في هذا نهى من الله للعبد أن يقول قولا لا علم له به، كأن يقول: رأيت كذا ولم يره وسمعت كذا ولم يسمعه، ويشمل هذا النهي الكذب وشهادة الزور ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ أي: إن سمع العبد وبصره وقلبه سوف يسئلون عن تصرفاتهم.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وفي هذا نهى من الله عز وجل أن يمشي العبد تكبرا، وتبخترا، وترفعاً على غيره ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تشق الأرض بمشيئك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

أي: ولن يكون طولك مثل طول الجبال، وفي هذا تحقير وتعجيز لمن يتكبر على غيره ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ أي: إن كل هذه الأفعال من قتل الولد والزنى والتجبر على مال اليتيم وعدم الوفاء بالعهد والتجاوز في القول بعدم صحته أفعال سيئة يكرها الله وقضى بتحريمها.

أحكام ومسائل الآيات:

النهي عن التصرف في أموال اليتامى إلا بما فيه صلاح لهم، وفي هذا قال رسول الله ﷺ لأبي ذر يا أبا ذر: (إني أراك ضعيفا وإنني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)^(١). ومن الأحكام: وجوب الوفاء بالكيل وتحريم التطفيف فيه والنهي عن التجاوز في القول بما لا علم للقائل به وفي هذا قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٢). وقال رسوله عليه الصلاة والسلام: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)^(٣). ومنها: تحريم المشي تكبرا وتجبرا وقد ذكر الله حال قارون عندما كان يتكبر فخسف به الأرض كما قال عز وجل ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، برقم (١٨٢٥)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٨ ص ٥٠٩٨ .

(٢) سورة الحجرات من الآية ١٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) برقم (٦٠٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩٩ .

وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿١﴾.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

بيان الآية

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ وأمره، والمراد أن هذه الأوامر والنواهي التي أوحى الله بها إليك من توحيد الله وبر الوالدين وغيرها هي أوامر ونواهي أرادها الله لخير عباده ومصالحهم ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أمره أي: لا تعبد غير الله ولا ترتكب ما نهيت عنه من النواهي المذكورة في الآيات السابقة ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ أي: إن فعلت ذلك أيها العبد، فسوف يكون مصيرك العذاب مهانا مبعدا عن رحمة الله.

المراد من قوله

تقرير أن الأوامر والنواهي التي أمر الله بها الأمة هي حكم اقتضتها إرادته عز وجل لمنافعها. تقرير أن في الأخذ بها سعادة في الدارين وأن من جردها فقد خسر دنياه وآخرته.

﴿ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقُلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾

﴿ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ﴾ هذا رد على المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وقد خاطبهم الله خطاب استنكار وتهديد، والمعنى هل جعل الله لكم البنين وجعل له البنات دون البنين؟ ﴿ إِنَّكُمْ لَقُلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ أي: ما قلتُموه يعد إثما عظيما ستحاسبون وتجزون عليه.

إنكار ما كان يزعمه المشركون من أن الملائكة بنات الله وما في ذلك من الإثم العظيم كما قال عز وجل ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ (١). ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ (٢). ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ (٣). ﴿ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ (٤). ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (٥).

(١) سورة مريم الآية ٨٨ .

(٢) سورة مريم الآية ٨٩ .

(٣) سورة مريم الآية ٩٠ .

(٤) سورة مريم الآية ٩١ .

(٥) سورة مريم الآية ٩٢ .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤١﴾

بيان الآية:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾ أي: أثبتنا فيه من الوعيد؛ ليتعظوا ويعتبروا بما فيه من الدلائل والبراهين القاطعة ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: إن هذا الوعيد والتذكير ما زادهم إلا بعدا عن الحق وتماديا في الباطل؛ ذلك أن الكفر والشرك ران على قلوبهم فلم يعودوا يفهمون ما أنزل الله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله أثبت في القرآن كل ما ينفع المعتبر كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ ^(١). وقوله ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ^(٢). وما كان هذا التصريف والبيان لينفعهم؛ لأنهم كفروا بالله فطبع الكفر على قلوبهم فهم لا يعقلون.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوًا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾
 سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
 وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ
 كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾

(١) سورة الفرقان من الآية ٥٠ .

(٢) سورة القصص الآية ٥١ .

بيان الآيات:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ المراد قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان مع الله آلهة كما يقولون ويزعمون ﴿إِذَا لَا بُغْوَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ المعنى لو كان الأمر كما يقولون - وقد كذبوا - لكانت هذه الآلهة لطلبت القرب من الله؛ لأنها مخلوقة تعبد من خلقها، بينما أنتم تطلبون منها أن تقربكم إلى الله، فإذا كنتم عقلاء فاعبدوه مباشرة ولا تشركوا معه آلهة مخلوقة.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: تنزهه وتقدس عما يقوله هؤلاء المشركون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: علواً عالياً؛ لأنه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لما نزه الله عز وجل نفسه عن الآلهة بين أن السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن من الملائكة والإنس والجن وكل المخلوقات والنباتات كلها تسبحه وتنزهه وتقدسه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي: ما من شيء في الكون العلوي والسفلي إلا ويسبح بحمده ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أي: لا تعرفون لغاتهم ولهجاتهم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي: حلوماً على عباده إذا عصوه، غفورا لذنوبهم إذا تابوا إليه.

تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون آلهة مخلوقة، فلو كانوا يعقلون لعبدوا الذي خلقها وخلقهم. تقرير أن كل المخلوقات من الملائكة والإنس، والجن، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، تسبح لله وتقدس وتتنزه عن الشريك والولد، وفي هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه كما ورد في صحيح البخاري: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل^(١).

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ١٠ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ١١ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ١٢ ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ١٣

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: إذا قرأت القرآن على المشركين ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ هذا بيان من الله يخبر فيه رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٥٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٦٧٣.

المشركين جعل الله بينه وبينهم ساترا، فلا ينتفعون به وذلك أنهم لم يؤمنوا به أصلا، بل كانوا يرونه سحرا فحجب الله نفعه عنهم وفي هذا روت أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت لما نزلت سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، وكانت بذيئة ولها ولولة وفي يدها حجر وهي تقول:

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

وكان النبي ﷺ قاعداً في المسجد، ومعه أبو بكر فقال أبو بكر: يارسول الله لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك فقال عليه الصلاة والسلام: (إنها لن تراني) وقرأ قرآنا فاعتصم به فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت: يا أبا بكر أخبرت أن صاحبكم قد هجاني فقال لها: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها^(١).

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: جعلنا على قلوبهم أغطية فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: ثقلا وصمما فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ أي: إذا وحدت الله وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ أي: أعرضوا؛ لئلا يسمعوا كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٦٩، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٦١٠.

﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ يخبر الله رسوله محمدا ﷺ أنه يعلم ما يستمعونه منه؛ لكي يستهزؤوا ويسخروا منه ﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ أي: يتناجون بينهم ويقول بعضهم لبعض إنكم إن اتبعتموه إنما تتبعون رجلا مسحورا، وكان بعضهم يقول إنه رجل مسحور، والبعض الآخر يقول: إنه كاهن أو مجنون ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ أي: أعرف ما يقولونه مرة أنك ساحر ومرة أنك كاهن، ومرة أنك مجنون ﴿ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: لا يهتدون إلى الحق؛ بسبب شركهم وضلالهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن القرآن لا ينفع إلا من آمن به كما قال عز وجل ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١). بيان الله لرسوله عن تناجي المشركين بينهم واستهزائهم به، واتهامهم له بالسحر والكهانة والجنون.

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾^(٤٩)
 ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾^(٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
 فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴾^(٥١) يَوْمَ

(١) سورة البقرة الآية ٢.

يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ، وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ يخبر الله تعالى أن المشركين يتناجون بينهم، ويقولون هل إذا متنا وكنا رميما نبعث من جديد؟ وفي هذا دلالة على إنكارهم البعث فأمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ أي: إن كنتم حجارة أو حديدًا ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: أي شيء يكبر في نفوسكم؟ فإن الله قادر على بعثكم بعد موتكم؛ لأنه هو الذي خلقكم من العدم وهو معنى قوله ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ثم أخبر عز وجل أنه حتى بعد هذا القول لهم، سوف يحركون رؤوسهم استهزاء بك، ويقولون ﴿مَتَى هُوَ﴾ فأرشد الله رسوله محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو واقع لا محالة.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ أي: سيكون بعثكم يوم يصير النداء الذي ينادي فيه الإله الخلائق بأسمائهم للنشور من القبور فتجيبون دعوته وأنتم تحمدونه على إحيائكم ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وحين تسمعون النداء للبعث سوف تظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا من الوقت.

تقرير أن البعث والحساب حقيقة لا مرء فيها، وذلك رد على المشركين الذين شككوا في ذلك. وفيه توجيه الله لرسوله محمد ﷺ أن يرد على المشركين مقولتهم بالجواب الدعوي اللين لعلهم يفهمون ما ينفعهم.

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبَكُمُ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قيل: إنها نزلت في عمر بن الخطاب حين شتمه رجل من العرب فهم بمعاقبته^(١) والمراد أمر الله لرسوله محمد ﷺ أن يبلغ أمته أن يكون تخاطبهم وتعاملهم وفي دعوتهم إلى الله بالقول الحسن ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إنهم إن لم يكونوا بهذه الصفة من القول؛ فإن الشيطان سوف يفسد بينهم فيفرقهم ويغويهم، كما أغوى أباهم آدم من قبل ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٧٦، وتفسير البغوي ص ٧٤٥.

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٢١﴾ أي: إن عداوته ظاهرة بيّنة منذ أن أبى السجود
لآدم احتقارا له وتكبّرا عليه.

﴿٢٢﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴿٢٢﴾ أي: هو العالم بأحوالكم، ومن منكم يستحق
الهداية بسبب امتثاله وانقياده وطاعته لله ومن لا يستحق هذه الهداية
بسبب إعراضه؟ ﴿٢٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ ﴿٢٣﴾ أي: يوفقكم لطاعته ﴿٢٤﴾ أَوْ إِنْ
يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴿٢٤﴾ بسبب إعراضكم ﴿٢٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٢٥﴾
الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد أنك يا محمد لست بوكيل، إنما أنت
تبلغهم وتنذرهم ﴿٢٦﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٦﴾ أي: هو
أعلم بما عليه عباده من الطاعة وما هم فيه من المعصية، كما أنه أعلم
بأحوالهم ونياتهم وما يبدونه وما يخفونه في نفوسهم ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا
بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴿٢٧﴾ وكما فضل الله بعض الخلق على بعض في
حظوظ الدنيا والآخرة فإنه فضل بعض النبيين على بعض؛ فالرسل
مفضلون على الأنبياء؛ لأنهم يجمعون بين صفتي النبوة والرسالة،
بينما أن للأنبياء صفة النبوة وحدها ﴿٢٨﴾ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٢٨﴾ في هذا
بيان لعلو مكانته.

أَمْكَانُ رُوحَانِيَّاتِ الْوَيْفِ

وجوب التعامل بالقول الحسن كما قال عز وجل ﴿٢٩﴾ وَجَدِلْهُمْ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ﴿٢﴾. تقرير وجوب الحذر
من الشيطان؛ لأن من مهمته الإفساد بين المؤمنين. تقرير أن رسالة
رسول الله ﷺ إلى العباد ليست في صفة الوكالة عليهم، وإنما هو مبلغ
ومنذر لهم فحسب. تقرير تفاضل الأنبياء، فالرسل أفضل من الأنبياء،
وأولو العزم من الرسل أفضلهم، وهم رسول الله محمد ﷺ ونوح
 وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم كما قال عز وجل ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ
الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ﴿٣﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ
عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿٥٦﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت لما حل
الجذب بقريش وشكوا حالهم إلى رسول الله ﷺ والمراد أن الله أمر نبيه

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

(٣) سورة الشورى من الآية ١٣ .

ورسوله محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: ادعوا آلِهَتَكُمْ وَأَصْنَامَكُمْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَمْلِكُونَ لَكُمْ نَفْعاً أَوْ يَدْفَعُونَ عَنْكُمْ ضَرًّا؟^(١).

﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ﴾ أي: لا يستطيعون دفع الضر عنكم؛ لأنهم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً؛ فكيف يملكون ذلك لغيرهم؟ ﴿وَلَا تَحْوِيلاً﴾ أي: لا يستطيعون تحويل الضر عنكم إلى غيركم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: إن هؤلاء الذين يدعونهم المشركون من دون الله يطلبون القرب من الله ويرجون أن يدخلهم الجنة. قيل: إنها نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن فأسلموا وبقي الذين يدعونهم على شركهم^(٢) ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: إن أقربهم إلى الله هو الذي يرجو رحمته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أي: يخشونه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ أي: يجب على العبد الحذر منه وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الذين يعبدون من دون الله لا يدفعون عمن يعبدهم ضراً، ولا يجلبون لهم نفعاً، وأن المعبودين يتقربون إلى الله ويرجون ثوابه ويخافون عقابه، فمن كانت هذه حاله فلا يمكن عقلاً أن يعبد من دون الله.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٧٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٧٩.

وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٠﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿١١﴾

وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴿١٠﴾ هذا بيان من الله عز وجل بأنه قضى أن أهل كل قرية ظلموا سوف يتعرضون للهلاك والعذاب ﴿١١﴾ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٢﴾ كَتَبَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٣﴾ أي: كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

﴿١٤﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيشًا إِلَى اللَّهِ قَالُوا - كَمَا سَبَقَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ - إِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَصَدِّقَكَ وَنُؤْمِنَ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَادْعِ رَبَّكَ أَنْ يَزْحَظَ عَنَا الْجِبَالَ، لَتَكُونَ أَرْضُنَا سَهْلَةً نَزْرَعُ فِيهَا، وَادَّعِهِ كَذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا جِبَلَ الصَّفَا ذَهَبًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِّي سَمِعْتُ مَا قَالُوا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَعْطِيَهُمُ الَّذِي قَالُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ نَزُولِ الْآيَةِ إِمْهَالًا، وَإِنْ شِئْتَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ فَقَالَ: (يَا رَبِّ اسْتَأْنِ بِهِمْ) (١).

﴿١٧﴾ وَعَائِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴿١٨﴾ وهذا مثل ضربه الله

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٧٦، والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٨١.

لهم وهو قوم صالح فلما أعطاهم الله الناقة التي تدل على صدق نبيهم صالح ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ أي: أنكروا أنها من عند الله فأخذهم الله بالعذاب ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: لتخويف الذين تنزل فيهم الآيات ثم يكذبونها.

سورة القصص الآية ٥٩

تقرير حكم الله وحكمه الحق أن الظالمين معرضون للهلاك والعذاب كما قال عز وجل ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (١). وقوله عز ذكره ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢). تقرير أن الله إذا أرسل الآيات إلى قوم ثم كذبوها أهلكهم الله كما فعل مع قوم صالح وغيره من الأمم البائدة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

سورة القصص الآية ٥٩

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المراد إن الله عصمك من الناس أن يتعرضوا لك بسوء، فلا تخف بل امض إلى إبلاغ رسالتك

(١) سورة القصص من الآية ٥٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ١١٨ .

والله حافظك ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ المراد ما رآه رسول الله ﷺ حين أسري به من عجائب قدرة الله ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ المراد أن الإسراء بك يا محمد كان فتنة لأهل مكة أي: امتحانا لهم هل يصدقون أم يكذبون، وقد كذب قوم منهم فارتدوا فكانت هذه فتنة لهم. ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ هي شجرة الزقوم والمراد أنهم لما خوفوا بهذه الشجرة سخروا واستهزؤوا، وقالوا: إن الزقوم هو التمر والزبد يخلط بعضه مع بعضه ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ أي: نخوفهم فما يزيدهم هذا التخويف إلا تجبرا وطغيانا.

أحكام ومسائل الآية.

تقرير أن الله عصم رسوله محمدا ﷺ من إيذاء المشركين له وأن الرؤيا التي رآها ليلة الإسراء كانت اختبارا لأهل مكة، إما أن يصدقوا بها أو يكذبوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كذب، فارتد بعد إسلامه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال أراءينك هذا الذي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْنٍ أَخَرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكَيْلًا ﴿٦٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وهذا سجود تقدير واحترام، وليس سجود عبادة - كما سبق ذكره - ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أي: امتثلوا فسجدوا لآدم إلا إبليس، فقد تكبر واستكبر وقال ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: لن أسجد لمن خلقته من طين، وأنا خلقت من نار، كما قال الله عزوجل عنه ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١). ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي: قال إبليس ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: جعلته أفضل مني عندك، بينما هو خلق من طين وأنا خلقت من نار ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أي: لأستولين عليهم فأضلهم عن الطريق المستقيم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا المعصومين منهم ممن لم أستطع غوايته.

﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ لما لعن الله إبليس وطرده من رحمته وأنزله من ملكوته؛ بسبب عصيانه السجود لآدم طلب من الله أن ينظره فلا

يميته حتى تقوم الساعة كما قال الله عز وجل عنه ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١). ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٢). وحينئذ قال عز وجل له ﴿ أَذْهَبَ أَيُّ: اعمل ما ترى ﴾ ﴿ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من أطاعك من ذرية آدم ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ أي: سيكون جزاؤك وجزاؤهم جهنم جزاء وافرا لا نقص فيه ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ ﴾ أي: استنزل ﴿ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ أي: بدعوتك له إلى المعاصي والمنكرات ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ أي: أنزل عليهم وتسلط عليهم بما تستطيع من جنودك من خيال وراجل ﴿ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ أي: زين لهم الربا، وأكل الحرام وأكل المال بالباطل، وزين لهم الزنى، والفواحش ﴿ وَعِدَّهُمْ ﴾ أي: أسبغ عليهم الوعود الكاذبة ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ أي: ما يعدهم به من الأمانى والوعود ما هو إلا كذب؛ لأنه يتخلى عنهم بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٣).

(١) سورة الأعراف الآية ١٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥ .

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٢٢ .

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ في هذا بيان من الله بأن عباده المؤمنين الصادقين لا ينال الشيطان منهم شيئاً لا في أنفسهم، ولا في أموالهم، ولا أولادهم، فهم قد عصموا أنفسهم بالكفر به وبما يوسوس به ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ أي: كفى به حافظاً ورقبياً ومؤيداً لعباده المؤمنين.

تقرير عصيان إبليس بامتناعه عن السجود لآدم وتكبره عليه وتهديده أن يستولي على ذريته ويغويهم بالمعاصي والمنكرات وارتكاب الفواحش انتقاماً من تفضيل الله لأبيهم آدم عليه، وهذا يقتضي مجاهدة العبد لنفسه بعصيان إبليس وعصمة نفسه عن المعاصي حتى يكون ممن عصمهم الله من إفساده وغوايته. تقرير أن إبليس يعمل على اتباع العباد له عن طريق تزيين الربا لهم، وأكلهم الحرام، وارتكاب الفواحش والمنكرات. تقرير أن الله توعدده ومن اتبعه بالعذاب الدائم. وتقرير أن عباد الله المؤمنين لا يمسهم الشيطان بسوء.

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ وإذا مسَّكم الضرُّ في الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٢٠٦﴾

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

بيان الآيات:

﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ ﴾ هذا بيان من الله عزوجل أنه هو الذي يسوق بأمره السفن في البحر ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لتحمل أموالكم وتجاراتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي: راحما لكم بتسخيره السفن؛ لتجري على الماء رغم ما في ذلك من المخاطر ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ أي: إذا تعرضتم للخطر في البحر كالغرق أو هبوب العواصف ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي: زال عنكم ما كنتم تعبدون وتظنون أنهم ينفعونكم من دون الله ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ أي: لما أنجاكم من المخاطر وصرتم في البر في أمان وسلام توليتم عن الحق ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: إن الإنسان يكفر بنعم الله إلا من عصمه وهداه.

﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ﴾ المراد أن الله قادر على أن يخسف بكم وأنتم في البر بعد أن نجاكم من البحر، فلا تأمنوا عقابه

﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ أَي: أنه قادر على أن يرسل عليكم ريحا شديدة فيها حصى ترميكم به ﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَي: حينئذٍ لن تجدوا لكم وليا يواليكم، أو ناصرا ينصركم من دون الله ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ۖ ﴾ المراد هل تأمنون من أن الله أن يعيدكم مرة أخرى إلى البحر ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ ﴾ أَي: الريح العاتية التي تعصف السفن فتفرقها ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِئِيعًا ۖ أَي: لن تجدوا لكم حينئذٍ معينا ليثأر لكم منا.

تقرير: الله هو الذي يسير السفن في البحر بأمره وليس بقوتها

أو قوة من فيها وهذه هي عقيدة المؤمن؛ لأن كل ما يحدث في الكون هو بأمر الله وحكمته. تقرير سوء سلوك المشركين وكونهم يدعون الله ويلجأون إليه عند الشدائد ثم يعودون إلى الكفر بعد نجاة الله لهم منها. تقرير وعيد الله لهم بالعذاب، سواء كانوا في البر أو البحر.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ ﴾

تقرير: كرم بني آدم

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ هذا بيان من الله تعالى أنه كرم بني

آدم وشرفهم بما ميزهم عن سائر المخلوقات الأخرى بأن ركبهم، وصوّرهم أحسن تصوير، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وعقولا يهتدون بها ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: سخر لهم الدواب يمشون بها في الأرض وسخر لهم السفن يسرون عليها في البحر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: هيأنا لهم أنواع النعم من الحبوب والفواكه ومختلف الثمار والأنعام ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي: فضلهم الله على كثير من مخلوقاته كالجن والحيوانات.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير تفضيل الجنس البشري وتكريمه كما قال عز وجل ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾^(١). وقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِيْ اَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ﴾^(٢). وتكريم الله لبني آدم يقتضي وجوب التساوي بينهم في الحقوق والواجبات وعدم جواز تفضيل بعضهم على بعض إلا بالتقوى كما قال عز وجل ﴿اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ﴾^(٣). كما أن تكريمهم يقتضي عدم استعبادهم أو إذلالهم أو إهانتهم أو التنقص من آدميتهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمْمِهِمْ فَمَنْ اُوْتِيَ كِتٰبَهُ بِيَمِيْنِهِۦ

(١) سورة غافر من الآية ٦٤ .

(٢) سورة التين الآية ٤ .

(٣) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

فَأُولَٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ كَانَ
فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢١﴾

بيان الآيتين:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ المراد يوم القيامة يدعى كل
إنسان بالذي كان يقتدي به في الخير أو الشر ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ،
بِيمِينِهِ﴾ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ ﴿أي: من كان من المؤمنين
أعطى كتابه بيمينه فيقرؤه مستبشراً بما فيه من الفوز له ﴿وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي: لا ينقص من عمله فتيلة وهو الخيط الرقيق
في شق نواة التمر ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ أي: من كان كافراً
في الدنيا بآيات الله وبياناته وبراهينه ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أي:
أشدَّ عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: وأشدَّ ضللاً.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الناس يدعون يوم القيامة بمن كانوا يتبعونهم في الهدى
أو الضلال، فيعطى المؤمن كتابه بيمينه فيستبشر به كما قال عز وجل
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ﴿(١)﴾. ﴿إِنِّي
ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَهٗ﴾ (٢). ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (٣). ﴿فِي جَنَّةٍ

(١) سورة الحاقة الآية ١٩ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٢٠ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٢١ .

عَالِيكَ (١). قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢). كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ
فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٣).

تقرير أن من كان زائغا عن الحق في الدنيا متبعا هواه فإنه
يكون في الآخرة كذلك.

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ
عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ
كَدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ
وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ أَي: حاولوا أن يصرفوك عن طريق
الحق، ولكن الله حاميك وحافظك من شرورهم وفتنهم عَنِ الَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَي: حكم القرآن لِنَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ أَي:
لتقول عنا ما لم نقله وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا أَي: لو وافقتهم على
ما قالوا لجعلوك صديقا لهم. قيل: إن هذه الآية نزلت في وفد ثقيف،
فقد سألوا رسول الله ﷺ أن يمتعهم بآلهم سنة حتى يحصلوا على

(١) سورة الحاقة الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحاقة الآية ٢٣ .

(٣) سورة الحاقة الآية ٢٤ .

ما يُهْدَى لها ثم بعد ذلك يكسرونها ويسلمون. كما سألوه أن يحرم واديهم كما حرمت مكة فتعرف العرب فضلهم. فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك فنزلت هذه الآية (١).

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ أَيُّ: حميناك من موافقتهم﴾ لَقَدْ كُنتَ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ أَيُّ: تميل وتوافقهم على طلبهم ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ أَيُّ: كدت تركن إليهم ركونا قليلا ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ أَيُّ: لو ركنت إليهم لأذقناك مثلي عذاب الحياة في الدينا، ومثلي عذاب الممات في الآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ أَيُّ: لن تجد لك حينئذ ناصرا ينصرك من دون الله.

أهل الكفر والظلم؛ بغية إرضائهم أو التقرب إليهم، وما يترتب عليه من الجزاء المضاعف كما قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٢).

تحریم الركون إلى أهل الكفر والظلم؛ بغية إرضائهم أو التقرب إليهم، وما يترتب عليه من الجزاء المضاعف كما قال تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (٢).

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٧٧، وتفسير البغوي ص ٧٥٠.

(٢) سورة هود الآية ١١٣.

مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

بيان الآيتين:

﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾

نزلت هذه الآية في أهل مكة لما أرادوا إخراج رسول الله ﷺ كما قال

تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ

فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١). ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لم

يمض الذين حاولوا إخراجك من مكة إلا قليلا من الوقت ثم قتلوا يوم

بدر ﴿سُنَّةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ أي: ما حصل لهم

من القتل في بدر كان قد حصل لغيرهم من الأمم التي كذبت رسلنا

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ أي: لا تتبدل ولا تخلف، بل هي ثابتة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تتغير ولا تتحول، ولا تتبدل

كما قال تعالى ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا﴾ (٢).

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ

(١) سورة محمد الآية ١٣ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٤٣ .

إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ
عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾.

بيان الآيتين:

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ المراد زوالها فإذا زالت وجبت الصلاة، وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أي: ظلمته ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ هذا بيان من الله يتضمن الأمر لرسول الله ﷺ بالتهجد في الليل بعد النوم ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ المراد إذا فعلت هذا يا محمد سوف نقيمك يوم القيامة المقام المحمود والمراد به يوم يقوم رسول الله ﷺ يسأل ربه الشفاعة للخلائق.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب إقامة الصلاة وتحديد أوقاتها من زوال الشمس إلى ظلمة الليل، ويشمل هذا الوقت صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء. تقرير أن الملائكة تشهد صلاة الصبح كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة

بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وفي صلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون^(١).

تقرير أن رسول الله ﷺ يشفع للناس يوم القيامة، فيكون أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع.

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

بيان الآية

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ لما أمر الله رسوله محمدا ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة أنزل عليه هذه الآية، والمراد أدخلني المدينة دخولا لا أرى فيه ضررا ولا سوءا ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ أي: أخرجني من مكة إلى أن تيسر لي العودة إليها^(٢) ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ أي: يسر لي أسباب النصر لإعلاء كلمتك، ونشر دينك.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، برقم (٧٤٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٢٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ١٤٨.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ أي: جاء دين الله الإسلام
واندحر الشرك وعبادة الأوثان ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ أي: لا بقاء
ولا حياة له والمراد لقد انتصر دين الله وانهزم المشركون.

الحكم بصدق الحق

الحكم بأن الحق هو الذي يبقى ويستمر، أما الباطل فيذهب ويزول
كما قال عز وجل ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ ﴾ (١). ولما دخل رسول الله ﷺ مكة ورأى حول الكعبة ثلاثمائة
وستين صنما جعل يطعنهما بعود في يده ويقول ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢).

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

بيان الآية

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ في هذه الآية
حكمان: أولهما: أن القرآن يشفي القلوب بزوال الجهل والظلمة عنها
فتؤمن بالله وتعرف أنه حق، وهذا هو الشفاء الذي ينفع صاحبه

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٨ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ١٥٢، وتفسير البغوي ص ٧٥٦، وأخرجه البخاري
في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾، برقم
(٤٧٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٢ .

في الآخرة. الثاني: أن في القرآن شفاء للأمراض الظاهرة التي تصيب الإنسان فيرقى به منها ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: لا ينتفع به الظالمون؛ لأنهم لم يؤمنوا به ولم يصدقوه، فهم مبعدون عن فضائله.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن القرآن يشفي القلوب من الجهل والضلال، فمن اهتدى بأحكامه هداه الله، ومن ضل عنه أضله الله كما قال عز وجل ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(١).

تقرير أن في القرآن شفاء للأمراض الجسدية، وفي حديث أبي سعيد الخدري أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب، فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرُّونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل، فبرأ فأتوا بالشاء، فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسأله فضحك وقال: (وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم)^(٢).

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب، برقم (٥٧٣٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٢٠٨ .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۝٨٣ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝٨٤﴾

بيان الآيتين:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ﴾ في هذا بيان من الله عز وجل أن الإنسان إلا من هدى الله إذا أعطاه النعم كالمال أو الصحة أو الولد أعرض عن طاعة الله وشكره على ما أولاه له من هذه النعم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ أي: إذا تعرض لمصيبة أو حادثة قنط من رحمة الله ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أن يقول للناس كل منكم يعمل على نيته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أي: يعلم المهتدي من الضال فيجازي كلا منهما بعمله.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير السلوك السيء لبعض الإنسان، وذلك حين ينعم الله عليه فيعرض عن طاعته، ويتذمر إذا أصابه حادث أو عارض من العوارض كما قال عز وجل ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ ۖ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبِ مَسِّهِ ۖ﴾ (١). تقرير أن كل واحد سوف يجازي على عمله وحسب نيته.

(١) سورة يونس من الآية ١٢ .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

بين الآية

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي الروح: هي
التي يعيش بها البدن، فإذا فارقتة مات، وقد روى البخاري ومسلم
عن عبد الله بن عمر قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ في حرث وهو
متكى على عسيب، إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن
الروح فقال: ما رابكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء
تكرهونه فقالوا: سلوه؟ فسألوه عن الروح فأمسك عليه الصلاة
والسلام، فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه فقامت مقامي
فلما نزل الوحي قال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ
رَبِّي﴾ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) أي: ما أتى الله الخلق
من العلم إلا قليلا مما عنده.

المقام ومما طال الجدل

تقرير أن أمر الروح مما استأثر الله به لنفسه، فلا يعلمه أحد من
خلقه فلا يدري المرء متى تفارق روحه جسده كما قال عز وجل ﴿وَمَا

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٨٠، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، برقم (٤٧٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٣،
ومسلم في كتاب صفة القيامة، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، برقم (٢٧٩٤)، صحيح
مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٦٩٧٢.

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (١).
ومن الأحكام: أن الله لم يعلم خلقه إلا قليلا من علمه.

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ
عِلْمًا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا
قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا
يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ
فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا.

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . المخاطب رسول
الله ﷺ والمراد بالذي يذهب القرآن أي: كما أنزلناه إليك نستطيع أن
ننزعه منك ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْمًا وَكِيلًا أي: لن تجد عندئذ
من يعيده إليك إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ أي: إنه رحمة من ربك بك
لن يفعل ذلك إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا أي: بما أعطاكه
من النبوة والرسالة، وأعطاك الشفاعة، وجعلك خاتم رسله قُلْ
لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ اتفقوا وتعاهدوا عَلَىٰ أَن يَأْتُوا
بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ في أحكامه، وتنزيله، وإعجازه، وبلاغته، ومافيه

من الفضائل ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ هذا نفي مطلق لقدرتهم على ذلك ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي: نصيرا ومعاوننا، والمراد أنه لا أحد في الوجود يستطيع أن يأتي بالقرآن، أو أي كلمة مثله؛ لأنه كلام رب العالمين، وهذا لا يشبهه أحد من المخلوقين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا في القرآن الأمثال والقصص، لتكون برهانا ودليلا للاعتبار ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ والمراد أنه رغم هذه الأمثال أبى كثير من الناس، إلا أن يكونوا كافرين، والمراد بهم المشركون في مكة وكل من لم يعتبر بما جاء في القرآن.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الله قد ينزع القرآن من الناس، تقرير عجز الإنس والجن وكل من في الوجود أن يأتي بمثل القرآن ولو اتفقوا كلهم على ذلك. تقرير أن القرآن قد بين للناس الأمثال والبراهين والدلائل ليكون في ذلك عبرة لهم.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلَآئِهِ

وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴿١٣﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي
السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ
رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٤﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي قال المشركون لرسول الله ﷺ:
لن نصدقك ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ أي: عينا جارية
بالماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ أي: أن نرى لك
جنة فيها نخيل، وأعناب، تتفجر فيها الأنهار كما قالوا ﴿فَتُفَجَّرَ
الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كِسْفًا﴾ أي: أنك وعدتنا أن السماء سوف تنشق يوم القيامة، فعجل
لنا ذلك حتى نراه ونصدقك ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا﴾
أي: نراهم بالعين ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ﴾ أي: من الذهب
﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: تصعد إلى السماء ونحن نراك ﴿وَلَن
نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ أي: لن نؤمن إلا إذا
صعدت إلى السماء ونزلت تأتي بكتاب لكل واحد منا؛ لكي نقرأه
﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي: قل لهم يا
محمد: سبحان الله أي: تنزهه وتقدس لست إلا بشرا مرسلًا إليكم

لدعوتكم إلى هدايتكم، أما الذي بيده الملك والقوة فهو الله إن شاء
أجابكم لما سألتهم عنه، وإن شاء لم يجيبكم فهو العالم بكم وبما
تقولون وما تسألون عنه.

أهملهم ومساكنهم

تقرير سفاهة عقول المشركين، فإما أن يكونوا يعقلون ما طلبوه،
وهذا لا يجيبهم إليه إلا الله فيكون سؤالهم لرسول الله ﷺ سؤال
تعجيز، مع إصرارهم على الشرك، وهذا هو الغالب. وإما أن يكونوا
يظنون أن رسول الله ﷺ يحقق لهم سؤالهم، فهذا جهل مطبوع على
قلوبهم، بحيث لا يفرقون بين الخالق والمخلوق.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ
اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
مُظْمِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا.

بيان

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: ما صد الناس
عن الهدى بعدما جاءهم إلا عجبهم واستغرابهم أن يبعث الله لهم
بشرا مثلهم وهو معنى قوله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾
ونظيره قول الله عز وجل ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ

مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴿١﴾ وقوله على لسانهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْنِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ ﴿٢﴾.

﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ المراد أن الملائكة لو كانوا في الأرض ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ أي: أنزلنا عليهم ملكا من جنسهم ولما كنتم بشرا أرسلنا لكم بشرا من جنسكم.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَنُ فَمَا يَكْفُرُ سَوَءُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

تقرير أن الجهل منع بعض الناس من الهداية، حيث زعموا أن الله لا يبعث إليهم بشرا من جنسهم. تقرير أن الله لا يرسل إلا من تتجانس أفهامهم مع المرسل إليهم، فالملائكة يتجانسون مع الملائكة والبشر يتجانسون فيما بينهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ فَسَيَكُونُوا سُلُوكًا لَّكُمْ سُلُوكًا مَّشْهُومًا﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ قيل: إن كفار قريش لما سمعوا قول الله ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ قالوا من

(١) سورة يونس من الآية ٢ .

(٢) سورة التغابن من الآية ٦ .

يشهد لك فأنزل الله هذه الآية^(١) والمراد قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذا القول إن الله شاهد علي وعليكم، فإن كنت غير صادق فيما قلت، فإن الله سيعاقبني ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ أي: عليما بما يفعله عباده من الإيمان والكفر فيجازي كلا بعمله.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله شاهد على نبوة ورسالة رسوله محمد ﷺ، وأعظم به من شاهد، وهذا يقتضي حكماً أن رسول الله ﷺ لم يتقول على الله، ولم يقل إلا ما أوحى إليه، وفي هذا قال الله عز وجل ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(٢). ﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٣). ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٤).

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ماؤنهم جهنم كلما خبت زدّتهم سعيراً ﴿٩٧﴾

بيان الآية:

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ هذا بيان من الله أن من يهديه

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٣٢.

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٤.

(٣) سورة الحاقة الآية ٤٥.

(٤) سورة الحاقة الآية ٤٦.

من خلقه، فهو المهدي بحق ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: من يضلّه الله فلن يكون له ولي أو نصير ينصره من دون الله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يسحب الله أهل الزيغ والضلال على وجوههم إلى جهنم ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ أي: يسحبون وهم لا يرون ولا يتكلمون ولا يسمعون ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مقرهم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ أي: كلما هدت زادهم الله نارا شديدة.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يهديه الله فهو المهدي، وأن من يضلّه الله بسبب إعراضه لن يكون له ولي يواليه أو ناصر يناصره من دون الله. تقرير أن الظلمة يحشرون على وجوههم كما في الحديث أن رجلا قال: يا رسول الله أychشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة) (١).

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، برقم (٤٧٦٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٣٥٠.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا.

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا ﴿١٠﴾ لما ذكر الله عز وجل أن الظالمين يحشرون على وجوههم ذكر السبب في ذلك، وهو أنهم كفروا بآيات الله، وكذبوا رسوله، واستهزؤوا بما جاءهم من عند الله وكذبوا بالبعث وقالوا ﴿١١﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا ﴿١٢﴾ أي: عظاما بالية أءنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٣﴾ أي: هل يعقل أن نبعث من جديد بعدما تحولنا إلى رفات بال؟ ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴿١٥﴾ في هذا إنكار ووعيد لهم بأنهم لم يروا خلق الله للسموات والأرض، وخلقهم أنفسهم، وأن من كان هذا صنعه قادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم يوم القيامة كما كانوا قبل موتهم ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ ﴿١٧﴾ والمراد به يوم القيامة ﴿١٨﴾ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾ أي: ورغم هذه البراهين وقيام الحجة عليهم استمروا على تكذيبهم وكفرهم.

الحكم بأن من ينكر البعث سوف يعذب في جهنم، ولا ينكر ذلك

إلا سفيه؛ لأن الذي خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان والكون كله
قادر على أن يعيد رفات الأموات كما كانوا.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ .

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ هذا أمر من الله لنبيه
أن يقول للمشركين الذين سألوه أن يفجر لهم الأرض ينابيع: لو كنتم
تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾
أي: لبخلتم ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ أي: بخيلا.

تقرير أن البخل من طبائع الإنسان، إلا من كمل إيمانه فلا يبخل
بما ينفعه في سبيل الله؛ لأن الآخرة عنده أجل وأكبر من الدنيا الفانية.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَّخَّلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ
جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ قال لقد
علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك
يفرعون مشبورا ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ﴾

وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

بيان الآيات:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ هي العصا، وبياض اليد، وفلق البحر، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ﴿ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ﴾ أي: اسأل يا محمد اليهود إذ جاءهم موسى بهذه الآيات لقد جحدوها وما آمنوا، ولو أعطينا قومك ما سألوه من تفجير الأرض ينابيع وغيرها لما آمنوا ﴿ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴾ أي: ساحرا ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ ﴾ أي قال موسى لفرعون: لقد علمت ما أنزل هذه الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ أي: براهين قاطعة ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ أي: هالكا إذا لم تؤمن ولم تصدق بما جاء من عند الله.

﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: أراد فرعون أن يخرج بني إسرائيل من أرض مصر ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ أي: أهلكه الله ومن معه بعد أن أطبق البحر عليهم ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ ﴾ أي: قيل لبني إسرائيل: اسكنوا الأرض أي: اسكنوا

في بقاء الأرض متفرقين، وبهذا فإن الله لم يحدد لهم أرضاً معينة يسكنونها، بل جعلها مطلقة مما يدل على تفرقهم في الأرض ويؤيده قوله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: مختلطين من أراض وقبائل شتى.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الله أعطى بني إسرائيل آيات تسعاً فلم يهتدوا، وهذا يقتضي أن الهداية من الله فهو الهادي. تقرير أن الله يجمع الخلائق على صعيد واحد، رغم تفرقهم في الدنيا في بقاء الأرض. تقرير أنه ليس لبني إسرائيل أرض معينة، بل هم متفرقون فيها؛ لهذا لا حجة لهم في أرض فلسطين.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ١٠٥
 وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾

بيان الآيتين:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ المراد به القرآن المجيد؛ فقد أنزله الله حاوياً لأحكامه وشرعه ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ أي: أنزله الله على نبيه؛ فهو باق على أصله كما نزل، لا يتغير ولا يتبدل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ أي:

مبشرا لمن أطاع الله وأطاعك ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: لمن عصى الله وعصى
ماجئت به.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾ أي: أنزلناه مفرقا ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾
أي: تقرأه على مهل حتى يفهمه ويستوعبه السامع له ﴿وَنَزَّلْنَاهُ
نَزِيلًا﴾ أي: أنزلنا أحكامه شيئا فشيئا حتى لا ينفروا منه.

أحكام ومبادئ القرآن

الحكم بأن القرآن كلام الله حق لا ريب فيه، أنزله الله رحمة
وبشرى للمؤمنين، تقرير أنه نزل مفرقا، وأنه نزل شيئا فشيئا حتى
يستوعبه السامعون له. وفيه توجيه أن تكون قراءة القرآن على مهل
كما قال تعالى ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١).

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٦﴾

بيان الآيات

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين
سواء آمنتكم بهذا القرآن أم لم تؤمنوا به فهو قرآن، أنزله الله من

عنده حقا وعدلا وصدقا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ المراد بهم أهل الكتاب الذين آمنوا بكتابهم ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ أي: القرآن ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ أي: يسجدون لله على أسافل وجوههم ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾ أي: نعظمه ونقر بإنعامه وإفضاله علينا وهدايتنا للصراط المستقيم ﴿ إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ أي: إن وعد ربنا منجز نافذ، وأنه لا يخلف ما وعد به عباده الصالحين، وأول ذلك تنزيله كتابه العزيز وإرسال رسوله محمد ﷺ إلى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ أي: يخرون من القيام على أذقانهم، والذقن مجتمع اللحيين، وهو من أعضاء الوجه بمعنى أنهم يسجدون وهم يبكون من خشية الله متذللين خاضعين له ﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ أي: ويزيدهم القرآن خشوعا لله.

سورة البقرة الآية 235

تقرير مشروعية السجود لمن يقرأ آيات السجود أو يستمع لها.
تقرير فضيلة البكاء من خشية الله.

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١﴾

بيان الآيتين:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ قيل في سبب نزول هذه الآية:
إن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يقول: (يا الله، يا رحمن) فقالوا:
إن محمدا يدعونا إلى إله واحد بينما هو يدعو إلهين، فرد الله عليهم
أن اسم الله واسم الرحمن اسم واحد فادعوه بأي منهما (١) ﴿أَيَّا
مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: إن له أكمل الأسماء وأعظمها
وأفضلها ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ قيل: نزلت لما كان رسول الله
ﷺ مستخفياً بمكة، وكان إذا صلى رفع صوته بالقراءة، فإذا سمعه
المشركون سبوا القرآن والذي أنزله، فنهى الله رسوله عن الجهر
بالقراءة منعا لأذى المشركين (٢) ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ أي: لا تسرها
كثيرا بحيث لا يسمعها أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: اقرأ
بين الجهر والسر.

(١) تفسير البغوي ص ٧٦٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٨٣٦.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٤٨٥، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، برقم (٤٧٢٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ هذا أمر لرسول الله ﷺ

أن يحمد الله الذي نزه نفسه عن المعاييب والنقائص، فلم يكن له ولد كما كان اليهود والنصارى ينسبون ذلك إليه كذبا وكفرا ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ أي: لا يشاركه أحد في ملكوته، بل هو المالك الأوحد المتصرف في الكون العلوي والسفلي ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا ﴾ أي: لم يكن له ولي يواليه، أو نصير ينصره، بل هو الولي، والناصر، والمعز، والمذل، والقاهر، والقادر، وهو على كل شيء قدير. ﴿ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ أي: قدسه تقديسا كاملا منزها له عن صاحبة والولد.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن لله الأسماء الحسنی والصفات العلا فينادى بهذه الأسماء كما قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (١). وهي تسعة وتسعون اسما. تقرير وجوب الثناء على الله وحمده وشكره وتنزيهه عن الولد والولي والنصير ووجوب تقديسه تقديسا كاملا.

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف

هي مكية وآياتها عشر ومائة^(١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝
فَيَمَّا يُلُوْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾

ترجمه و تفسیر

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ هذا بيان من الله عزوجل

أنه هو المحمود المستحق للثناء على ما تفضل به على عبده ورسوله

(١) وقد ذكر ابن اسحاق في السيرة كلاماً مفصلاً عن سبب نزول هذه الآية قال فيه إن وفداً من قريش برئاسة النضر بن الحارث ذهبوا إلى المدينة لسؤال أحرار اليهود وقالوا لهم إنكم أهل كتاب فأخبرونا عن صفة محمد وما يقوله فقال لهم الأحرار: سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم عنهن فهو نبي مرسل وإلا فهو رجل متقول.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ثم سلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يفعل فهو متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ولما رجع الوفد إلى مكة سألوا رسول الله ﷺ فقال لهم: سأخبركم ما سألتهم عنه غداً ولم يقل عليه الصلاة والسلام - إن شاء الله - فانقطع الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى أرجف عليه أهل مكة وقد شق ذلك على رسول الله ﷺ ثم جاءه جبريل بسورة الكهف. السيرة النبوية لابن

إسحاق ج ١ ص ٢٧٣ .

محمد ﷺ من إنزال القرآن الذي ختم به الشرائع، وحدد فيه الحلال
 والحرام، وبين فيه لخلقه ما يجب عليهم في دينهم ودنياهم ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ
 لَهُ عِوَجًا﴾ أي: جعل أحكامه عادلة لا ميل فيها ولا اعوجاج ﴿قِيَمًا﴾
 واضحة ومستقيمة ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: وفيه النذارة
 بالعذاب الشديد لمن كذبه أو خالف أحكامه ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 أي: وفيه البشارة للمؤمنين ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ المراد
 بهم الذين صدقوا القرآن وآمنوا به ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي: ثواباً
 من عند الله ﴿مَكْثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: خالدين فيه لا يزول عنهم
 ولا يتحول ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: وينذر
 هذا القرآن المشركين الذين جعلوا لله ولداً وعبدوا الملائكة وقالوا: إنهم
 يعبدونهم؛ لأنهم بنات الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.
 ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ﴾ أي: ليس لهم ولا لأسلافهم دليل
 على افتراءهم وكذبهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي:
 عظم افتراءهم وكذبهم ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أي: إن ما قالوه
 هو كذب وافتراء على الله سيجزيهم عليه.

سورة النحل الآية ١١

تقرير أن الله وحده المستحق للحمد والثناء على ما أنعم به على

رسوله محمد ﷺ وعلى أمته حين أنزل عليهم القرآن، وشرع لهم فيه ما هو حلال لهم، وما هو حرام عليهم. وتقرير سلامة القرآن من الميل والجور، وأنه جاء بشارة للذين يؤمنون به، ونذارة للذين يكذبونه. ومن الأحكام: تحريم الكذب على الله بنسبة الولد إليه، فهو جل وعلا منزّه عن الولد وعن الصاحبة، وعن كل تشبيه، أو تمثيل له بخلقه؛ لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾ ۝

بيان الآيات:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۖ ﴾ المراد لا تهلك نفسك يا محمد حزناً وأسفاً على
المشركين؛ لكونهم كذّبوك، وكذبوا ما جئت به فما عليك إلا إبلاغهم
رسالة الله، أما هدايتهم فمردها إليه. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لِّهَا ۖ ﴾ أي: إن ما في الحياة من المتع إنما هو زينة في الأرض ومتاع
زائل. ﴿ لِنَبْلُوهُمْ ۖ ﴾ أي: نختبرهم ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ أي: من هو
المخلص منهم في طاعة الله المتبع لشرعه وأحكامه. ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا

عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرْزًا ﴿١﴾ أي: إنها ستؤول إلى الخراب بعد زينتها فتكون صعيداً أجرد لا تنبت شيئاً.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الإضرار بالنفس ندماً على شيء لا حيلة للمرء فيه، وفيه قول الله تعالى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١). تقرير أن زينة الأرض تتحول في يوم ما إلى مجرد صعيد، لا ينبت شيئاً، وفيه إشارة إلى أن الدنيا زائلة وأن الآخرة هي مقام الخلود، وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) (٢).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (٣) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٤﴾ فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿٦﴾

(١) سورة فاطر من الآية ٨ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٢٢، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، برقم (٢١٩١)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٤١٩، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة النساء برقم (٤٠٠٠)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٥.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾
 المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أظننت يا محمد أن قصة أصحاب
 الغار في الجبل ﴿ الْكَهْفِ ﴾ المدونة أسماؤهم في اللوح ﴿ وَالرَّقِيمِ ﴾
 كانوا من آياتنا عجباً. إن أمر هؤلاء الذين مكثوا مئات السنين، وهم
 رقود ليس عجباً في جانب قدرة الله وعظمته، فإن قدرته في خلق
 الكون، وخلق الخلائق، وموتهم، وبعثهم هي أعجب من أصحاب هذه
 القصة. ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ أي: سكن هؤلاء الشبان في
 غار جبل فراراً بدينهم ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
 أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أي: دعوا الله أن يرحمهم وأن يكتب لهم طريق الرشd
 والهداية. ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أي:
 سددنا آذانهم عن نفوذ سماع الأصوات إليها، وهذا غاية في الاستغراق
 في النوم فلا يسمعون من يناديهم ومكثوا عدداً من السنين على تلك
 الحال في الغار. ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم ﴿ لِنَعْلَمَ
 أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ أي: ليعلم المختلفون مدة نومهم.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا

تقرير نبوة رسول الله ﷺ وذلك بوحى الله له عن قصة أصحاب
 الكهف حتى يقصها على الذين سألوه عنها وأن أمر هذه القصة ليس

فيه عجب، بل أعجب منه قدرة الله في خلق السموات والأرض وما فيهن
كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١). وفيها: تقرير أن الله يستجيب
للمؤمنين من عباده كما قال عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾.

بيان الآيات

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: نقص عليك يا محمد قصة
أصحاب الكهف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: شبَّان اتقوا الله
وآمنوا به وصدقوا ما جاء من عنده وفروا بدينهم وفضلوا السكن في

(١) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٨٦ .

كُفِرَ الْجَبَلِ عَلَى السَّكَنِ مَعَ قَوْمِهِمُ الْكَفَّارِ ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أَي: بَصَرْنَاهُمْ بِدِينِهِمْ، وَاسْتَجَبْنَا لِدَعَائِهِمْ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أَي: ثَبَتْنَاهُمْ عَلَى الدِّينِ ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ أَي: قَامُوا فِي وَجْهِ قَوْمِهِمْ وَمَلَكِهِمْ فَقَالُوا: لَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا فَأَنْتُمْ فِي ضَلَالٍ، وَلَن نَكُونَ مَعَكُمْ عَلَى ضَلَالِكُمْ، وَلَيْسَ لَنَا رَبٌّ إِلَّا رَبُّ وَاحِدٍ هُوَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ، وَلَن نَعْبُدَ إِلَهًا غَيْرَهُ ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أَي: لَوْ عَبَدْنَا أَصْنَامَكُمْ لَكُنَّا ارْتَكَبْنَا إِثْمًا وَكُفْرًا.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ الْمُرَادُ أَنَّ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ جَهْلًا وَضَلَالًا ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أَي: فَعَلُوا ذَلِكَ دُونَ حُجَّةٍ أَوْ بَرَهَانٍ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أَي: لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ بِاتِّخَاذِهِ آلِهَةً يَعْبُدُهَا مِنْ دُونِهِ وَيَزْعُمُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ تَنَاجَوْا بَيْنَهُمْ فَقَالُوا: إِذَا كُنْتُمْ تَخَالِفُونَ قَوْمَكُمْ فِيمَا يَفْعَلُونَهُ مِنَ الشَّرِكِ، فَالْأَوَّلَى أَنْ تَهَاجَرُوا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ حَتَّى لَا يَفْتَنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ﴿فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أَي: اذْهَبُوا إِلَى مَغَارَةِ الْجَبَلِ ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أَي: يَنْجِيكُمْ مِنْ شَرِّ مَا يَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ

رحمته. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا﴾ أي: ييسر لكم ربكم ما تنعمون به في حياتكم من المأوى وغيره إذا عرف نيتكم وقصدكم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الهجرة من المكان الذي يضطهد فيه المرء في دينه كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^(١). وفيها تقرير أن أصحاب الشرك والكفر إنما يفترون على الله الكذب، وهؤلاء هم أظلم الخلق كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢).

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَآيَةِ اللَّهِ لَعَلَّ الْفَاسِقِينَ﴾^(١٧) مَرَّشِدًا ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَآيَةِ اللَّهِ لَعَلَّ الْفَاسِقِينَ﴾

بيان الآية:

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرِّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَآيَةِ اللَّهِ لَعَلَّ الْفَاسِقِينَ﴾

(١) سورة النساء من الآية ١٠٠ .

(٢) سورة يونس الآية ١٧ .

غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ❦ أي: تميل عنهم فلا يتعرضون لها
 وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ❦ أي: في شق من الكهف يدخل عليهم فلا
 تحتبس أنفاسهم، بل ينالهم البرد ❦ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ ❦ أي: هذا
 الذي تهيأ لهم من وجودهم في الكهف هذه السنين وميلان الشمس
 عنهم، وعدم تعرضهم لسوء هو من آيات الله ورحمته بهؤلاء المؤمنين
 مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ❦ أي: أن من يهديه الله إلى اتباع الحق
 فهو المهتدي ❦ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ❦ أي: من
 يضل الله؛ بسبب اتباعه لهواه فلن يهديه أحد من بعده.

المعكثرة من القرآن

تقرير أن الله يكرم أوليائه المتقين، ويهيئ لهم من أمرهم ما يسعدون
 به في الدنيا والآخرة كما فعل بأصحاب الكهف. وفيها تقرير أن الهداية
 من عند الله، ومن يلتمس الهداية من غيره فقد ضل ضلالاً مبيناً.

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ
 الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ
 مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ❦

في القرآن

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ❦ أي: ويظنهم من ينظر إليهم

أنهم أيقاظ؛ لأن عيونهم مفتحة بينما هم نيام؛ لأن عيونهم لو أغمضت
لتعرضت للأذى ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: يتقلبون
بقدره الله حتى لا تأكل أجسادهم الأرض، وحتى لا يملوا إذا ناموا على
جنب واحد ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أي: ممد ذراعيه
عند مدخل الكهف بمثابة حراسة لهم، مع أنه كان نائماً معهم ﴿لَوْ
أُطْلِعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمُ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ أي: لو رأيتهم على شاكلتهم
تلك لفررت منهم؛ لأن الله أنزل عليهم المهابة حتى لا يقربهم أحد
﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ أي: لتملكك الرعب بسبب هذه المهابة.

تفسير سورة القصص

تقرير قدرة الله عز وجل فيما صنعه بهؤلاء الفتية وحمايته لهم
عدة سنين. وفيها: جواز اقتناء الكلب للحراسة فحسب.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ
لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ
أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي
مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا

بيان الآيتين:

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أي: أحييناهم بعد رقادهم ﴿ لِيَتَسَاءَلُوا ﴾
 ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضاً ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾
 أي: كم المدة التي رقدتموها هنا في هذا الكهف ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ
 بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ أي: يوماً أو بعضه؛ ذلك أنهم رقدوا في أول النهار وبعثوا
 في آخره، وقد شكوا في مدة رقادهم فقال أحدهم ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
 لَبِثْتُمْ ﴾ أي: هو العالم بالمدة التي مكثتموها في نومكم ﴿ فَابْعَثُوا
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ ولحاجتهم إلى الطعام
 بعد بعثهم قالوا: يذهب أحد منكم بالنقود التي معكم إلى المدينة
 ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أي:
 يرى الطعام الطيب وليأت منه بشيء وليتلطف في القول والمخاطبة
 مع الناس حتى لا يشك فيه أحد ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾
 أي: لا يعلم أحد عنكم وكان قولهم هذا بسبب خوفهم من ملك
 قومهم والمشركون من قومهم ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾
 أي: إن عرفوكم، فسوف يرمونكم ويعذبونكم ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ
 فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ أي: عبادة الأصنام ﴿ وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ أي: إذا
 وافقتموهم على دينهم، فلن يكون لكم فلاح ولا سعادة في الدنيا ولا
 في الآخرة.

أحكام ومسائل الأئمة

تقرير صحة الوكالة وهي: عقد نيابة أباحه الله بداعي الحاجة والمصلحة، وشاهده من السنة حديث جابر بن عبد الله قال: إني أردت الخروج إلى خيبر فأتيت رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت له إني أردت الخروج إلى خيبر فقال: (إذا أتيت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقاً فإن ابتغى منك آية فضع يدك على ترقوته) ^(١).

وفيهما تقرير أن الطعام يجب أن يكون طيباً وحلالاً. كما قال عز وجل ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ^(٢).

وفيهما: وجوب التلطف في المعاملة والسماحة فيها كما قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) ^(٣). وفيهما: وجوب الحذر من الوقوع في الكفر.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية، باب في الوكالة برقم (٣٦٣٢)، سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٠٩.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف برقم (٢٠٧٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٤ ص ٣٥٩.

بيان الآية:

﴿وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل البلد الذي كان فيه الكهف قيل: إنهم كانوا على دين الله بعد أن مات ملكهم السابق وتبدلت أجيال بمرور الزمن، وقد اختلفوا في بعث الأجساد من القبور وقالوا: إنما تحشر الأرواح، أما الأجساد فتأكلها الأرض، وقد تضرع ملكهم إلى الله أن يبين له الحق فأعثره الله على أهل الكهف؛ ذلك أن أحدهم لما ذهب إلى المدينة لي جلب الطعام لأصحابه استنكر الناس النقود التي كانت معه، فجيء به إلى الملك فقال: لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد الملك السابق فقد كنت أدعو الله أن يرينيهم. ثم سار الملك ومن معه إلى الكهف فرآهم وقد سرّوا به وسرّ بهم. وقيل: إنهم ماتوا بعد ذلك ميتة الحق^(١) ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ أي: ليعلم ملك ذلك البلد وأهله أن بعث الناس من قبورهم حق، وأن قيام القيامة عند أجلها حق ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أي: يتجادلون فيما يفعلون بهم. ﴿فَقَالُوا أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمْ بُنَيْنًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي: إن منهم من قال: نسد عليهم باب الكهف ونذرهم وماهم عليه ﴿قَالَ الَّذِي غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ والمراد بهم أهل الكلمة عند الملك.

(١) الجامع لأحكام القرآن مطولاً ج ١٠ ص ٣٧٨ .

أحكام ومسائل الآية:

النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، والبناء عليها، والصلاة عندها. وشاهد ذلك أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة)^(١). وقال عليه الصلاة والسلام: (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٢).

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾

بيان الآية

﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: سيقول الذين اختلفوا في عددهم، وقد يكون المراد بهم اليهود الذين سألو رسول الله ﷺ ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أي: عددهم ثلاثة، والرابع كلبهم ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ؟ برقم (٤٢٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٦٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ؟ صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٦٢٤ .

كَلْبُهُمْ ﴿٢٢﴾ أي: أنهم خمسة، والسادس كلبهم ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: أن هذين القولين ظناً من غير علم ويقولون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ أي: ويقول هؤلاء المختلفون إن عددهم سبعة والثامن كلبهم، ولم يقل الله عن هذا القول شيئاً فقد يكون هذا العدد صحيحاً، وقد يكون غير ذلك ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عددهم إلا الله ثم قليل من الناس، وقال ابن عباس: أنا من القليل الذي يعلم عددهم لقد كانوا سبعة^(١).

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرًا﴾ أي: لا تجادل فيهم إلا جدالاً يسيراً؛ لأن الجدل في عددهم ليس مهماً ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عنهم، بل اتبع ما جاءك من العلم من الله.

أحكام ومسائل الآية:

النهي عن الجدل في الأمور غير المهمة، وعدم سؤال أهل الكتاب أو مراجعتهم في علوم الدين؛ ذلك أن رسول الله ﷺ هم بسؤال نصارى نجران عن أهل الكهف لما وفدوا عليه فنهي عن ذلك^(٢).

﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٢٢٦، والدر المنثور ج ٤ ص ٣٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٨٤.

اللَّهُ وَأَذْكُرَّ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا
رَشْدًا ﴿٢٤﴾

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ﴾ هذا نهى من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ عن أن يقول قولاً لا
يرده إلى مشيئة الله عز وجل؛ لأن مرد الأمور صغيرها وكبيرها إليه،
فلا يكون إلا ما شاء وأراد ﴿وَأَذْكُرَّ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي: إذا نسيت
الاستثناء عند عزمك على الفعل فاستثن إذا ذكرت ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ
يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا﴾ أي: إذا سئلت عن شيء لا تعرفه،
فتوجه إلى الله بالسؤال، عسى أن يعلمك ما لم تكن تعلم، ويدلك على
ما لم تكن تعلم.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بوجوب الاستثناء بالمشيئة قبل العزم على الفعل؛ إذ ليس
للعبد قدرة على فعل ما يعزم عليه، إلا إذا أَرَادَهُ اللهُ ووفقه إلى فعله
وقد عاتب الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ على قوله لليهود لما سألوه
عن أهل الكهف والروح وذي القرنين سأخبركم عن ذلك غداً ولم
يستثن فانقطع عنه الوحي، ولم يستطع إجابتهم إلا بعد أن نزل عليه

جبريل بسورة الكهف بعد خمسة عشر يوماً من قوله لهم عليه الصلاة والسلام. ومنها: وجوب ذكر الاستثناء بعد نسيانه ومن سئل عن شيء لا يعلمه، عليه أن يسأل الله عز وجل أن يعلمه ما لم يكن يعلم.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

بيان الآية:

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ هذا بيان من الله أن أصحاب الكهف أقاموا رقاداً في الكهف ثلاثمائة سنة شمسية ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي: صارت مدتهم ثلاثمائة وتسع سنوات بالسنة الهلالية. ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي: لا يعلم مدة لبثهم في الكهف إلا هو ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو عالم الغيب في الكون العلوي والسفلي ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: هو البصير بأحوالهم، السميع لأقوالهم ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: لا ولي لخلقه إلا هو ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي: هو المتفرد بالأمر والحكم، فلا يشاركه في أمره أحد من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

الحكم بأن أهل الكتاب لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي، أما بالحساب القمري فقد لبثوا ثلاثمائة وتسع سنين. تقرير اختلاف أهل الكتاب حول مدة بقاء أهل الكهف في كهفهم، وأنهم لا يعلمون شيئاً عن هذه المدة. الحكم بأن الله هو الذي يعلم هذه المدة؛ لأنه يعلم الغيب في الكون كله ويتصرف فيه وحده دون شريك له فيه.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۚ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۚ﴾

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۖ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يتلو كتاب الله الذي أنزل إليه فما جاء به هو الحق والخبر الصادق، سواء عن قصة أهل الكهف أو القصص والأحكام الأخرى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: لا مغير لهذا الكتاب، لا

في قصصه، ولا في أحكامه، ولا في ألفاظه؛ لأنه كلام الله المعجز الذي لا يضاهيه كلام أحد من خلقه. ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن تجد لك ملجأ إذا خالفته.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ لقد صعب على المشركين وأجلاف العرب أن يروا رسول الله ﷺ يدني بلالاً، وصهيباً، وعماراً، وأبا ذر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم من فقراء المسلمين فطلبوا منه أن يجلسهم لوحدهم معه ويضع للآخرين مجلساً غير مجلسه معهم، وقد يكون رسول الله ﷺ طمع في أن يسلم هؤلاء، فأنزل الله هذه الآية^(١). ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي: يبتغون مرضاته والمراد بهم فقراء المسلمين كما ذكر. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تتخطاهم إلى غيرهم رغبة في أن يدنو منك أصحاب الشرف والأموال.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: لا تطع ولا تسمع للذي غفل قلبه عن ذكر الله، ولم يكن همه إلا الدنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: لم يتبع ما جاء من عند الله، بل جعل هواه هو المرجع والحكم له ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي: وكانت أقواله وأفعاله كلها فساداً وتفريطاً وضياعاً وبعداً عن الحق.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٨٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٢٣٥.

أحكام ومسائل الأئمة:

الحكم بوجوب تلاوة كتاب الله تعالى بوصفه كتاب الحق والهداية، وأنه لا يتبدل في معناه، ولا في ألفاظه، ولا في أحكامه وهذا يقتضي وجوب تبليغه إلى من لم يبلغه كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١). والأمر لرسول الله أمر لأئمة، بأن تتلو كتاب الله، وتحكمه في أقوالها، وأفعالها، وتبلغه إلى من لم يبلغه من الناس.

الحكم بوجوب التعامل مع المؤمنين، ومحبتهم، وتقديرهم، والتحذير من التعامل مع من غفل قلبه عن طاعة الله، واتبع هواه وكانت تصرفاته تصرفات فساد وضياع.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

بيان الآية:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: قل يا محمد للناس وأنت تبلغهم أن ما جئتمكم به من كتاب الله هو الحق الذي لا شك فيه؛ لأنه تنزيل

(١) سورة المائدة من الآية ٦٧ .

من عزيز حكيم. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ أي: من شاء منكم أن يؤمن، فطريق الهداية واضح له، ومن شاء فليكفر أي: وطريق الكفر واضح له كذلك، وهذا تهديد لمن فعل ذلك بدليل قوله ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي: هيأنا للكافرين المكذبن بالحق نارا يحيط بهم سور من نار فيها ﴿وإن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ أي: إذا طلبوا الغوث للنجاة من النار، وطلبوا ماء يطفئون به لهيب النار، أو شدة العطش غيثوا بماء غليظ رديء ﴿يَشْوِي الْوُجُوهُ﴾ أي: يلفح وجوههم من شدة حره إذا أرادوا شربه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ أي: تعس هذا الشراب الذي يسقون به ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: وبئس النار مكاناً ومقاماً.

أحكام ومسائل الآية :

الحكم بأن كتاب الله هو الحق، وأن ما عداه باطل، وأن المكذبين به سوف يلاقون العذاب، وإذا استغاثوا منه أغيثوا بما لا ينفعهم بل يزيدهم عذاباً وألماً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أولئك لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً.

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما بين الله تعالى حال الظالمين ومآلهم بين حال المؤمنين الذين عملوا الأعمال الصالحة، فاطمأنت قلوبهم بالإيمان بالله، وصدقوا ما جاء به رسوله محمد ﷺ فوعدهم الله أنه لا يضيع أجرهم، بل يجزيهم على أعمالهم كما قال تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾. ثم قال مبيناً هذا الجزاء ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ أي: لهم الجنات التي يقيمون فيها، فلا يزولون ولا يتحولون عنها ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري الأنهار من أسفل إقامتهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: وتكون حليتهم في الجنات أساور من ذهب ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: السندس ما رق ملمسه من الديباج، أما الإستبرق فما غلظ منه ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ أي: مرتاحين على السرر ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: طاب هذا الثواب وحسنت الجنة لهم مكاناً ومقاماً.

الحكم والمساواة في الجنة

الحكم بأن الله لا يضيع أجر المحسنين في أعمالهم، كما قال عز وجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾. وفيهما تقرير ما أعد الله للمؤمنين من النعيم في الآخرة.

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أُعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٣﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أُكْلَاهَا وَلَمْ يَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٤﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾ هذا معطوف ومتصل بالآية السابقة في قوله تعالى ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ أي: اضرب يا محمد لهؤلاء المشركين مثل رجلين، أحدهما مؤمن، والآخر كافر ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أُعْنَبٍ ﴾ أي: بساتين من العنب ﴿ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾ أي: ويحيط بهذه البساتين نخيل ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ أي: ويتوسط ذلك زروع ونباتات ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أُكْلَاهَا ﴾ أي: أن كلا من الجنتين أثمرت وأينعت فيها الثمار ﴿ وَلَمْ يَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ أي: لم تنقص من

ثمرها شيئاً ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: ويتفجر نهر بين الجنتين؛ ليغمرهما بالماء ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ أي: كان لهذا الكافر مال ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي: قال لصاحبه المؤمن وهو يتحاور معه ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ أي: أنا أكثر منك عزا وجاهاً؛ لأن لدي مالا وليس لك مثله ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي: أكثر قوة ومالا. وما قال هذا القول إلا وهو يفخر بما لديه، ويتكبر به على صاحبه.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي: دخل بساتينه وهو على حال من الكفر والكبرياء والتغطرس على المؤمن ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ لما نظر إلى جنته وما فيها أخذه العجب فقال: إنها لن تهلك؛ لأن الله أعطانيها محبة منه لي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: ما أعتقد أن الساعة سوف تقوم ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أي: إن قامت الساعة فسوف أجد جنة أحسن من جنتي هذه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ضرب الأمثال للناس؛ لتقريب فهم الأحكام والآيات إلى عقولهم لقوله عز وجل ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ

(١) سورة الحشر من الآية ٢١ .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ^(١). ومن الأحكام: تحريم تكبر الإنسان على أخيه وإعجاب المرء بماله وولده وما يؤدي إليه ذلك من زوال النعم.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا
وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ
أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ
مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا.

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَي: قال له المؤمن وهو يجادله
أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ أَي: كيف تنكر فضل الذي خلقك
من تراب وأنت معدوم ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ أَي: مني ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
أَي: جعلك إنساناً متكاملًا تسمع، وتبصر، وتتكلم، ثم مع هذا تشرك معه
غيره لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي أَي: أنا على خلاف ما أنت عليه من الكفر
والشرك، أعترف بأنه خلقني وصورني، وجعلني بشراً سوياً وَلَا أُشْرِكُ
بِرَبِّي أَحَدًا أَي: أوحده ربي، ولا أشرك معه غيره، وأتبرأ ممن يشرك به.

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ أي: لو أنك إذا دخلت جنتك وأعجبت بها شكرت الله الذي أنعم بها عليك ﴿ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ أي: لا حول ولا قوة إلا به ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ أي: إن كنت تراني ضعيف المال والولد ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾ أي: ينعم علي في الآخرة بجنة هي أفضل وأعظم من جنتك في الدنيا ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي: يبعث عليها عذاباً من السماء ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أي: تصبح أرضاً لا تنبت نباتاً، ولا تثمر ثمرًا ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا ﴾ أي: يغور ماءها ويذهب ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ أي: لن تقدر على إعادته إليها.

تفسير سورة التين

وجوب الإنكار على من يجحد نعم الله وفضله عليه. ومن الأحكام: تقرير عقيدة التوحيد ومنها: وجوب ذكر الله عندما يرى المرء ما يعجبه لقول رسول الله ﷺ: (من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره عين)^(١).

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

(١) أخرجه إسماعيل بن محمد الجراحي في كشف الخفاء ومزيل الألباس، ج ٢ ص ١٠٠، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (١٧٦٧٠)، ج ٦ ص ٧٤٦.

عُرُوشَهَا وَيَقُولُ يَلِينَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ أي: أتلف الله جنته وما له من مال ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يضرب بيده على الأخرى جزعاً وندماً على ما أصابه ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: أصبحت جنته مرتدة على بعضها متهاكة من السقوط ﴿وَيَقُولُ يَلِينَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: يتمنى وهو يتحسر على ما أصابه أنه لم يكفر بنعمة الله التي أنعم بها عليه ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لم تكن له قرابة أو أصدقاء أو أقوام ينصرونه من دون الله ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ أي: لن يكون ناصراً لنفسه؛ لأنه لا ولي إلا الله ولا ناصر إلا هو.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة لله القوة والعزة ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: هو خير من يجازي بالثواب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: خير عاقبة لمن توكل عليه وآمن به.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن عاقبة من يكفر بنعم الله أن يسلبها منه، وحينئذ لا يجد

له وليا يواليه، أو ناصرا ينصره. تقرير أن القوة والعزة والسلطان ليست لأحد إلا لله عز وجل.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝﴾

بيان الآية

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: اضرب لهم يا محمد أن مثل الحياة الدنيا ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: مثلها كمثل المطر الذي أنزل على الأرض، فاختلط بها، فانبت نباتاً مزدهراً جميلاً ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ أي: بعد تلك النضرة الجميلة أصبح النبات حطاماً تفرقه الرياح من كل جانب ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدِرًا﴾ أي: له القدرة المطلقة على جعل الحياة الدنيا على هذه الصفة من الازدهار ثم تحويلها إلى حطام.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المراد أن المال والبنين مجرد زينة، يراها الإنسان ويسر بها، ويستمتع بها في حياته ﴿وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أما الأعمال الصالحة التي

يتقرب بها الإنسان إلى الله كأداء الفرائض والذكر، والتسبيح وبذل الصدقة ونحو ذلك من الاعمال الصالحة، فهذه الأعمال هي التي تبقى لصاحبها ذخيرة عند ربه يوم يلقاه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الحياة الدنيا مجرد عبور وما فيها من زينة، سرعان ما يتحول إلى حطام، وأن الأموال والبنين مجرد زينة ينتفع بها العبد ثم سرعان ما تنتهي، وأن ما يبقى له يوم القيامة هو العمل الصالح.

﴿ وَيَوْمَ نُسِيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ ﴾ (٤٧) وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ ﴾ (٤٨) وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ ﴾ (٤٩)

بيان الآيات:

﴿ وَيَوْمَ نُسِيِّرُ الْجِبَالَ ﴾ أي: اذكر يا محمد يوم تقوم القيامة فنسير الجبال، فتجتث من قواعدها، وتصير هباء. ونظيره قوله عز وجل ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ ﴾ (١). ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا ۖ ﴾

(١) سورة طه الآية ١٠٥ .

صَفَصَفَا ﴿١﴾. وقوله عز ذكره ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: وترى الأرض حينئذٍ ظاهرة لا أثر
فيها ﴿وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: جمعنا الخلائق الأولين
والآخرين ولم يترك منهم أحد.

﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا﴾ أي: يعرضون في صفوف متتالية
صفاً بعد صف ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: أتيتمونا حفاة
عراة غرلاً ليس معكم مال ولا ولد ونظيره قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ﴿٣﴾. ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ هذا
توبيخ لمنكري البعث الذين زعموا أن الحياة الدنيا هي نهايتهم.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: الكتاب الذي أحصيت فيه أعمال العباد
﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ أي: تراهم خائفين مما كتب
عليهم من أعمالهم السيئة، حينئذٍ يجدون أعمالهم قد أحصيت عليهم
كبائرها وصفائرها ﴿وَيَقُولُونَ يَوَيْلَ لَنَا﴾ أي: حسرتنا وحزننا ﴿مَا لِ
هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ أي: لم يترك من

(١) سورة طه الآية ١٠٦ .

(٢) سورة القارعة الآية ٥ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ٩٤ .

أعمالنا شيئاً إلا أحصاه كاملاً غير منقوص ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: وجدوا ما عملوه من حسنة وما عملوه من
سيئة حاضرة أمامهم ونظيره قوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
بَعِيدًا﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(٢).

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أي: هو الحكم العدل لا يظلم أحداً من
عباده، فلا يجازيه على عمل لم يعمله، بل يحاسبه على عمله ثم يرحم
العاصي، ويتجاوز عن سيئاته، ويخلد أهل الشرك في النار وشاهده قوله
عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفُهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ذكر أهوال يوم القيامة أمام المنكرين للبعث. تقرير أن الخلائق
يبعثون يوم القيامة كحالهم يوم خلقهم الأولي وتعريفهم بأعمالهم التي
ارتكبوها في الدنيا حسناتها وسيئاتها. والحكم بأن الله عدل لا يظلم أحداً
من عباده. كما قال عز وجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران من الآية ٣٠ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٣ .

(٣) سورة النساء الآية ٤٠ .

(٤) سورة فصلت الآية ٤٦ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾

بيان الآية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أنه أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم سجود تكريم وتشريف، لا سجود عبادة ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وفي هذا بيان أن إبليس لم يكن من الملائكة، بل كان من الجن أي: من مارج من نار كما حكى الله عز وجل عنه أنه قال ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١). وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)^(٢). ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: عصاه ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ أي: تتعلقون به، وتتبعونه بدلاً عني ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ أي: تعست عبادة الشيطان وأوليائه بدلاً عن عبادة الله.

أحكام ومسائل الآية :

تقرير أن إبليس من الجن، وليس من الملائكة، وأنه عدو لبني آدم،

(١) سورة الأعراف من الآية ١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، برقم (٩٩٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٢٧٥ .

والتحذير من اتخاذه وأتباعه أولياء من دون الله. الحكم بأن السجود الذي أمر به إبليس هو سجود تكريم لآدم، وليس سجود عبادة إذ إنه يحرم السجود لغير الله.

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۖ وَرَأَى
الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۖ ۝﴾

بين الآية ١٠

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ۖ أَي: لم
أشهد أحداً من الخلق على خلق السموات والأرض، أو خلق أنفسهم
وفي هذا رد على المنجمين وغيرهم ممن يتحدثون في الكون بأهوائهم،
فقد حكم الله بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وخلق الخلق دون
أن يشهد على ذلك أحداً ۖ ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أَي: ما
كنت متخذ الشياطين من الجن أو الإنس أعوانا وشهودا في الخلق،
فكيف تعبدونهم وتوالونهم، وهم مخلوقون مثلكم، لا يملكون لكم ولا
لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ۖ أَي: اذكروا يوم

القيامة حين يقول الله للمشركون أين شركائي الذي أشركتموهم في عبادتي فليردوا العذاب عنكم؟ فَدَعَوْهُمْ أَي: نادوهم فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ أَي: لم ينصروهم بشيء وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا أَي: جعل بينهم واديا من جهنم، أو جعل بينهم وبين الأوثان التي كانوا يعبدونها حازبا وَرَاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ أَي: شاهدها عيانا فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا أَي: تأكدوا أنهم داخلوها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا أَي: لم يجدوا غيرها مكاناً يذهبون إليه.

تقرير أن الله لما خلق السموات والأرض خلق الخلق على غير مثال سابق لم يشهد على ذلك أحدا، بل كان المتفرد بالتصرف فيما خلق. ومن الأحكام: تقرير أن المشركين يدعون شركاءهم يوم القيامة فلا يستجيبون لهم، ثم يرون العذاب فيتأكدون أنهم واقعون فيه، ولا محيص لهم منه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ يبين الله

عز وجل أنه وضح في القرآن الأمثال التي تبين للناس طريق الحق والهداية وترشدهم للابتعاد عن طريق الضلال والغواية ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ أي: ورغم هذا البيان، فإن الإنسان كثير الجدل، والمراد به الكافر الذي يماري في الحق، ويجادل فيه ولا يقتنع بما يرى من الأدلة والآيات.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله بين للناس في القرآن الأمثال والأدلة التي تدلهم على الحق وتبعدهم عن الضلال. تقرير أن من طبائع الإنسان الجدل والخصام كما قال تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾. ومن الجدل ما هو محرم إذا كان الهدف منه رد الحق والقول بالباطل.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: ما منعهم أن يؤمنوا بما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾ أي: سنة الله في إهلاك المكذبين لرسولهم من الأمم البائدة كما قالت أمة منهم ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢﴾. وقالت الأخرى ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣﴾. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ أي: عيانا يرونه بأعينهم ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: إن رسالة رسلنا إلى أممهم، هي البشارة لهم بالسعادة إذا آمنوا والندارة لهم بما سوف يصيبهم من العذاب إذا أعرضوا ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي: يجادلون ظلماً وعناداً ليضعفوا الحق الذي جاءتهم به الرسل وآخرهم محمد ﷺ ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ أي: اتخذوا البينات والبراهين التي جاءتهم بها الرسل سخرية واستهزاء.

أحكام ومسائل الآيتين

تقرير أن من أخطاء الإنسان عدم قناعته بما يراه من الحق فيجادل ويخاصم ظناً منه أنه على حق وهو غير ذلك. تقرير أن رسل الله لا يكرهون الناس على الدين، وإنما يبشرونهم بحسن العاقبة إذا آمنوا بما جاؤوهم به وينذرونهم بسوء العاقبة إذا تولوا وأعرضوا عنه.

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٩ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٨٧ .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ
 إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٦٦﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ
 يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا
 مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٦٧﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
 لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦٨﴾﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لا أحد أظلم
 ممن تأتيه البينات من ربه فيتولى عن قبولها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾
 أي: تجاهل ما فعله من المعاصي فلم يتب منها ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
 أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: جعلنا على قلوب هؤلاء
 المعرضين عن ذكر الله أكنة أي: أغطية وفي آذانهم وقرا أي: صمما
 ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي: وإن تدعهم يا
 محمد فلن يهتدوا بسبب الكفر الذي ران على عقولهم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي: إن ربك يا محمد غفور رحيم
 للذين يتوبون ويرجعون عن ضلالهم ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾
 أي: من السيئات والمعاصي ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ أي: لأتاهم العذاب

بغته وهم لا يشعرون ولكنه يمهلهم ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ أي: أجل محدد ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ أي: ملاذا وملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ المراد بهم قوم هود وصالح ولوط وغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها. أهلكهم الله لما كذبوا رسلهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: وقتاً معلوماً لا زيادة فيه ولا نقص.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله كما قال عز وجل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(١). تقرير أن الله أعذر الناس بما بينه لهم من الآيات على يد أنبيائهم ورسلهم. تقرير أن المرء إذا استمر في غيه رغم ما جاءه من البينات فسد عقله وأصبح من الهالكين. ومن الأحكام: أن الله لا يؤاخذ الناس بسيئاتهم، بل جعل لهم أجلاً معلوماً كما قال تعالى ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾^(٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا^(٦١) فلما جاوزا قال لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا

(١) سورة الأنعام الآية ٢١ .

(٢) سورة فاطر من الآية ٤٥ .

مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾ في رواية البخاري أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال: يا رب فكيف لي به؟ ^(١) والمراد أن موسى قال لفتاه يوشع بن نون: لا أبرح أي: لا أزال ماشياً ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ وهو ملتقى البحر الأحمر والبحر الأبيض، أو ملتقى البحر الأحمر مع البحر الهندي ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: أمكث ماشياً سنين عديدة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ البيان أنه كان معهما حوت في مكث وقيل له: متى فقدت الحوت وجدت مبتغاك؟ فلما بلغا مجمع البحرين ناما عند صخرة

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، برقم (٤٧٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٦٢.

فاضطرب الحوت الذي كان مع يوشع لما بلغه قليل من الماء فجعل يسير في البحر، ولما استيقظ موسى نسي فتاه أن يخبره خبر الحوت ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المكان الذي كانا فيه قال موسى لفتاه ﴿ءَاَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ أي: تعباً ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ أي: أنسانيه الشيطان فلم أستطع تذكره ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أي: تعجب موسى وفتاه من إحياء الحوت لما ابتل بقليل من الماء.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أي: هذا الذي نريد ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: رجعا وهما يتلمسان آثار سيرهما ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَايَتُهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ والمراد به الخضر.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنه ليس من حق أحد أن يدعي الأعلمية، فضلاً عن العلم المطلق؛ فما من أحد في الوجود محيط بالعلم إلا الله وحده، وأن مرد كل علم إليه، وقد عاتب الله موسى حين ادعى أنه أعلم الناس. تقرير أن كل إنسان معرض للنسيان والخطأ، وقد تجاوز الله عن ذلك لقول رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) ^(١).

(١) أخرجه التبريزي في مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني ج ٣ ص ١٧٧١، وقال الألباني «وهو حديث صحيح لطرقه».

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴾
 قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبْرًا
 ﴿٦٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٤﴾ قَالَ فَإِنِ
 اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٥﴾ .

بيان الآية

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴾
 لما علم موسى أن عند الخضر علما ليس عنده، سأله سؤال المتعلم
 المسترشد، والمراد هل أرافقك أن تعلمني مما علمك الله علما أتعلم منه
 وأستزيد منه علما راشدا؟ فحينئذ قال الخضر لموسى ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
 مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي: إنك لن تصبر؛ بسبب ما تراه من علم لم تعلمه كما
 في البخاري، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على
 علم من علم الله علمك الله لا أعلمه^(١). ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ،
 خَبْرًا ﴾ أي: كيف تصبر على علم تنكره في شريعتك، والأنبياء لا يقرون
 أمرا يعد منكرا في شريعتهم قال أي: موسى ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ
 صَابِرًا ﴾ أي: سوف أصبر على ما أرى ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ أي:
 سوف ألتزم بطاعتك وما عندك من علم ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
 أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾، برقم (٤٧٢٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٦٢ .

عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ أَي: لا تسألني عما أفعل، بل سأخبرك أنا بما فعلت ولماذا فعلت.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أهمية طلب الإنسان للعلم؛ لأنه مهما كان عالماً فعلمه محدود.
تقرير جواز إفصاح الإنسان عن سلوكه، بأنه يصبر على العمل ولا يعصي أمر متبوعه. تقرير جواز اشتراط الإنسان على من يصحبه في سفر وغيره شروطاً يرى فيها مصلحة لهما.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿١٣﴾﴾

بيان الآيات:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أي: انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلماهم أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير أجر، فلما ركبا السفينة لم يلبث الخضر إلا قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقُدُوم ﴿قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ أي: أن أصحابها حملونا بغير أجر وقد عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرقهم ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: ارتكبت

أمرًا منكراً ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ أي قال الخضر لموسى: ألم أقل لك من قبل، إنك لن تصبر، واشترطت عليك إذا أردت أن ترافقني ألا تسألني عن شيء حتى أحدثك عنه؛ لأن ما أعلمه لا علم لك به. وحينئذ قال موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ أي: لا تؤاخذني؛ لأنني نسيت ما اتفقنا عليه من شرط عدم سؤالك ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: لا تضيق صدرك علي فتكره مرافقتي لك.

أحكام ومسائل الآيات :

تقرير مشروعية طلب العلم ممن يعلمه، وجواز اشتراط المصحب في السفر على صاحب له بما يرى فيه مصلحة لهما. تقرير وجوب الإنكار على من يفعل شيئاً يرى أنه مخالف لقاعدة من قواعد الدين.

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

بيان الآيات:

﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، ﴾ أي: سار موسى مع الخضر فوجد غلاماً يلعبون، فأخذ الخضر منهم غلاماً كان أوسمهم فقتله، فقال

له موسى ﴿أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: قتلت إنسانا صغيرا لا ذنب له ولا حول ولا طول ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي: ارتكبت منكرا عظيما فرد عليه الخضر قائلا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أي: قلت لك مرارا إنك لن تصبر على ما تراني أفعل قال موسى ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: إن سألتك بعد هذه المرة، فاترك صحبتي لك؛ لأنك قد صبرت على سؤالي وأعذرتني وشرطت علي فلم يعد بعد هذا ما أسألك عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب النهي عن المنكر إذا اعتقد المنكر أنه محق في إنكاره. التقرير بأن على المتعلم ألا يستعجل في طلبه العلم من معلمه. وجوب الاعتذار عن الخطأ.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

بيان الآيتين:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ أي: سار موسى والخضر فأتيا

أهل قرية قيل: هي أيلة أو أنطاكية^(١) ﴿أَسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاما ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وذلك لأنهم كانوا بخلاء لا يقرون الضيوف ولا يقبلونهم ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: وجدا في القرية جدارا مائلا معرضا للسقوط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أي: عدله الخضر عن ميله؛ ليكون مستقيما فقال له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: لو أخذت على عملك هذا أجرا من أهل القرية، خاصة أنهم لم يضيفونا، فقال له الخضر ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: لن نترافق بعد هذا، فقد قلت عند قتل الغلام إني أعذرتك وإنك لن تسألني بعده وقد أخلفت ما وعدت به ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: سوف أبين لك ما كنت تنكره علي.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجوب الضيافة، وأن من احتاج إلى الطعام، وجب عليه أن يسأله ممن هو عنده، وأن من يمتنع عن ذلك يعد بخيلا، وقد ذم الله البخل. ومن الأحكام: أن للمحتاج للطعام أن يأخذ منه قسرا ما يرد به هلاك نفسه؛ لأن الحفاظ على النفس من الضرورات الشرعية. ومنها: جواز الإجارة.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿٧٩﴾

(١) تفسير البغوي ص ٧٨٧.

بيان الآية:

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ ﴾ المراد أن السفينة التي سألت عنها كانت لأيتام ينتفعون من أجرتها ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أي: قصدت تعييبها، لأن ملكهم يأخذ ظلما السفن الجيدة، فإذا رآها معيبة يتركها لهم وهو قوله ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

أحكام ومسائل الآية:

جواز الحيلة إذا كانت لمصلحة ظاهرة لا تتعارض مع الشرع. تحريم الظلم وأكل أموال الناس بالباطل عن طريق الغصب أو القسر أو نحو ذلك.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿ (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (٨٢).

بيان الآيات:

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ أي: أن الغلام الذي قتلت وأنكرت قتله كان لحكمة فأبواه كانا مؤمنين ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أي: قال الخضر: خشينا على أبويه أن يضرهما إذا

كبر بما يسببه لهما من الظلم والكفر ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ أي: يكون الذي يولد بعده أصلح منه في دينه ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ أي: يكون أرحم وأبر بهما منه.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قال الخضر لموسى: وأما الجدار الذي استنكرت إقامته، فكان لغلّامين يتيمين ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ أي: مال كثير ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ أي: في دينه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: أراد الله أن أصلح هذا الجدار حتى يكبر اليتيمان، ثم يقومان بإخراج مالهما وذلك رحمة من الله بهما ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ أي: أن الذي قمّت به من إصلاح الجدار لم يكن من قبلي، بل هو أمر من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: هذا تفسير ما لم تصبر عليه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من واجب المرء أن يرضى بما قدره الله، فقد يرى في هذا القدر ما يكره بينما هو خير له كما قال عز وجل ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). وفي الحديث: (أن الله لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له)^(٢).

(١) سورة البقرة من الآية ٢١٦ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ١٨٤ .

ومن الأحكام: وجوب مراعاة الأيتام الصغار، والقيام على شؤونهم ورعاية مصالحهم، حتى يكبروا، وقد أمر الله نبيه ورسوله محمدا ﷺ أن يلاطفهم بقوله عز وجل ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(١). وحرّم عز وجل التعرض لأموالهم بالظلم كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٢).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانِئْنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ فَاتَّبَعِ سَبَبًا ۚ﴾^{٨٣}
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۚ﴾^{٨٤} قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ۚ ﴿٨٥﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۚ ﴿٨٦﴾ ثُمَّ اتَّبَعِ سَبَبًا ۚ ﴿٨٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۚ ﴿٨٨﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ ﴿٨٩﴾

بيان الآيات:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ﴾ أي: يسألونك يا محمد عن ذي

(١) سورة الضحى الآية ٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٠ .

القرنين والمراد أن اليهود - كما سبق ذكره - نصحوا كفار قريش أن يسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن رجل سار في الأرض وتمكن فيها، فنزلت سورة الكهف فيها خبر أصحاب الفتية وخبر ذي القرنين ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: سأقص عليكم خبره وذو القرنين من عباد الله الصالحين، قيل: إنه نبي، وكان ملكا عادلا، وقيل: إنه من التبابعة وأنه الذي بنى الإسكندرية في مصر ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: مكّنه الله من الاستيلاء على كثير من الأرض حتى صار له ملك كبير وقيل: إنه سمي بذي القرنين لأن ملكه بلغ الأمكنة التي تشرق منها الشمس والأمكنة التي تغرب فيها^(١) ﴿وَعَايَنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي: أعطاه الله الأسباب التي يتوصل بها إلى غايته ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ أي: كان يتتبع الأسباب بعضها إلى بعض؛ ليحقق غايته.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي: سلك طريقا أوصلته إلى أقصى بلاد المغرب ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس تغرب في نظره على ساحل المحيط الأطلسي ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ أي: أمة من الأمم ﴿قُلْنَا يَذَّكَّرُ إِلَيْكَ إِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ وهذا يدل على أنه تمكن من الاستيلاء على بلاد هذه الأمة، كما يدل

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٤٥ - ٤٦، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٩٨ - ٩٩.

على أنه نبي يوحى الله إليه لقوله تعالى ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ أي: تجري عليهم أحكام الحرب من سبي وغيره أو يمن عليهم بالفداء ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي: من كان ظالماً منهم منكرًا لربوبية الله ووجدانيته ومصرًا على ذلك فسوف نجازيه في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ أي: يعذبه في الآخرة عذاباً شديداً ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: من اتبع ما أمر الله به، فوحده وأطاعه، فسوف يجازيه الله الجزاء الأوفى في الآخرة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: سوف نلاطفه ونرفق به ونقول له قولاً معروفاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ لما ذكر الله عز وجل أن ذا القرنين سار جهة المغرب وبلغ المكان الذي تغرب فيه الشمس للناظر ذكر عز ذكره أن ذا القرنين سلك طريقاً تجاه مطلع الشمس ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ أي: وصل إلى المكان الذي يرى فيه الناظر أن الشمس تشرق من جهته وهو في جهات شرق قارة آسيا ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ وهذا يدل على أنهم قوم بدائيون على فطرتهم، ليس لهم مساكن تحجب عنهم أشعة الشمس، بل كانوا يستظلون بالأشجار، وهذه الحال لا تعدم في هذا الزمان، ففي بعض مناطق قارة إفريقيا وحوض الأمازون

في أمريكا اللاتينية أقوام لا زالوا على بدائيتهم، لا يعرفون من الحضارة شيئاً ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: نحن عالمون بسيره في الأرض وفتوحاته.

أحكام ومسائل الآيات:

التوجيه بأن تتابع الأسباب من قبل أصحابها مدعاة الى بلوغ مرادهم، وما كان الذين نجحوا في صناعاتهم وزراعاتهم ومختلف أمورهم، ليبلغوا هذا الهدف إلا بجعل أسبابهم في العمل تتابع واحداً بعد الآخر. ومن الأحكام: أن الذي يظلم الناس في أنفسهم، أو أموالهم أو أعراضهم يجب أن يعاقب أشد العقاب، وأن يجازى المحسن بما يستحقه من حسن الجزاء، حتى لا يتساوى الظالم مع المحسن فتفسد الأرض ومن عليها.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ٩٣ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ٩٤ ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ٩٥ ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ٩٦ ﴿إِنِّي أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ٩٧

بيان الآيات

﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: سلك طريقا آخر ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ أي: بين جبلين بينهما فتحة يخرج منها يأجوج ومأجوج ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ أي: وجد قوما يصعب فهم كلامهم ﴿ قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ أي: نجعل لك أجرا ﴿ عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ أي: أن تجعل مانعا يمنعهم عنا فأجابهم ذو القرنين ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أي: أنا الذي أنعم الله علي ومكنني من الاستيلاء على البلاد فما أنا في حاجة إلى مال منكم ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي: ساعدوني بقوتكم البدنية ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ أي: أجعل حاجزا بينكم وبين يأجوج ومأجوج ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ﴾ أي: قطع الحديد، فلما أتوه إياها وضع بعضها على بعض ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ أي: بين جانبي الجبلين ﴿ قَالَ أَنْفُخُوا ﴾ أي: اضرموا النار وأمر بازدياد إشعالها ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ أي: جعل الحديد كله نارا ﴿ قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ أي: زاد على الحديد نحاسا مذابا؛ ليكون ذلك أكثر قوة.

أحكام ومسائل الآيات:

مشروعية الأجر مقابل العمل، ومشروعية المساهمة بالجهد البدني

كما عرضه ذو القرنين على الأمة التي كانت تخشى خروج يأجوج ومأجوج. ومما تضمنته الآيات: أن يأجوج ومأجوج أمة سوف تخرج على العالم في يوم مّا، ويكون خروجهم أحد مشاهد الساعة وأشراتها.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ٩٧ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ٩٨ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ ٩٩.

بيان الآيات:

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ هذا بيان من الله تعالى أن قوم يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا الصعود على السد ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي: ولم يقدرُوا على أن يفتحوا فيه فتحة ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ أي لما نظر إليه قال: هذا رحمة من الله بي وبالناس من شر هؤلاء القوم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: إذا اقترب الأجل الذي ضربه الله لخروجهم وهو قرب قيام الساعة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ أي: دكه بالأرض وساواه بها ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: واقعاً لا شك فيه.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: عندما يخرجون سوف يمشون في الأرض كموج البحر، ويعيثون فيها فساداً وطغياناً ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل؛ ليقوم الناس

من قبورهم لرب العالمين ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ أي: يجمع الله الناس كلهم
إنسهم وجنهم للحساب والجزاء.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن السد الذي بناه ذو القرنين يعد رحمة من الله بعباده؛
لصد قوم يأجوج إلى حين الموعد الذي ضربه الله لخروجهم. تقرير
أنهم عندما يخرجون قبل قيام الساعة سوف يفسدون في الأرض
ويطغون فيها.

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ﴿١٠٥﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي
غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٦﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ
يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها بارزة ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾
ليروها حقيقة لا وراء فيها ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾
هذا وصف للكافرين بأن عيونهم كانت كمن عينه محجوبة عن سماع
آيات الله وبراهينه المبينة في القرآن وعلى لسان رسوله محمد ﷺ
﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: وكانوا لا يحبون أو يطيقون سماع
كلام الله من شدة إنكارهم له وكفرهم به ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ

يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴿١٠٣﴾ أي: هل ظن الكافرون أن يتخذوا من عبادي كالملائكة والأنبياء والصالحين أولياء يعبدونهم ويشركونهم معي، وأن ذلك ينفعهم، فهذا محال؟ ونظيره قوله عز وجل ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (١). قوله ﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾ أي: مقرا ومقاما.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن جهنم ستعرض للذين غطوا أبصارهم، وصموا أسماعهم عن ذكر الله. تقرير جهل الكافرين الذين يظنون أن عبادتهم لأولياء الله وإشراكهم معه سوف ينفعهم.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَتَّخِذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

بيان الآيات:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ أي: نخبركم ونفيدكم أن الخاسرين أعمالا هم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بطلت أعمالهم؛ بسبب

فسادها وضلالها وكونها لغير الله ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ أي: يظنون أن ما يفعلونه عملاً صحيحاً، يجزون عليه بالحسنى، وهؤلاء الذين عناهم الله هم كل من أشرك مع الله في عبادته، أو كفر بآياته، أو كذب أحداً من أنبيائه أو رسله كحال مشركي مكة وغيرهم من المشركين من الأمم السابقة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ لما بين الله حال الأخسرين وضلال سعيهم في الدنيا والآخرة بين أنهم الذين كفروا بآيات الله وكذبوا بالبعث ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ أي: خسرت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: ليس لهم يوم القيامة قدرٌ حيث تكون موازينهم كالعهن المنفوش كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)^(١).

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ أي: سوف تكون جهنم هي جزاؤهم ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله وتكذيبهم لرسله .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن أخسر الناس عملاً هو الذي ضل عن عبادة ربه ويعتقد أنه بعمله الفاسد قد أحسن وينتظر الجزاء الحسن عليه. تقرير أن عمل هذا قد حبط، فلا يحسب لعمله يوم القيامة أي وزن وستكون جهنم جزاءه بسبب كفره.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ برقم (٤٧٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٧٩ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ
 ١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ﴾

بيان الآيتين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾
 لما ذكر الله حال الأخسرين أعمالاً بين حال المؤمنين الذين يعملون
 الصالحات، وأن نزلهم سيكون في جنات الفردوس، وهذه أعلى درجات
 الجنة وأوسعها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: دائمي الإقامة والسكن فيها ﴿لَا
 يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ أي: لا يرغبون أن يتحولوا عنها إلى غيرها؛ لأنه ليس
 هناك أحسن منها .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وعد الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات بأن لهم الفردوس
 وهو أفضل الجنة وأعلاها. تقرير أن المؤمنين مخلصون في الجنان لا
 يتحولون عنها ولا يتغيرون.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ
 رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

بيان الآية:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي﴾ المراد قل يا محمد للمشركين

الذين كذبوا بآيات الله أن البحر لو كان مدادا لكلمات الله وبيان آياته وبراهينه لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات الله ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: لو كان مع البحر بحر آخر، أو بحور أخرى ما نفدت كلماته، لأن كلامه عز وجل لا يحد بحدود، ولا يوصف بوصف.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن علم الله وكلامه لا يتناهى، وأنه أعظم من أن يحد بحد أو يوصف بوصف.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

بيان الآية:

هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يقول للمشركين الذين كذبوا بما جاء به ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: لا أعلم إلا ما علمني الله إياه وأرشدني إليه، وقد أمرني أن أبلغكم رسالته وهي إفراده بالألوهية وتحريم الشرك به ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي: من كان منكم يتوق إلى لقاء الله ويفوز برحمته ومغفرته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: يعمل العمل الذي أمره الله ورسوله به خالصا لله وحده، لا يشرك فيه غيره من ولي أو ملك

أو نبي أو غيره ولا يرأى فيه أحدا ابتغاء نفع منه أو دفع ضر عنه
كما قال رسول الله ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)
قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء يقول الله لهم
يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)^(١).

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن رسول الله محمداً ﷺ بشر مثل سائر البشر، غير أن الله
أعطاه النبوة والرسالة، هدى ورحمة للعالمين، وهذا يقتضي بطلان
مزاعم الذين ينزلون رسول الله ﷺ غير منزلته البشرية التي أرادها الله
له كما قال عليه الصلاة والسلام: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى
ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)^(٢). ومن الأحكام أنه لا
إله في الوجود إلا الله، هو المستحق وحده للعبادة. ومنها: أن الرياء شرك
يبطل عمل صاحبه كما قال عز وجل ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾^(٣). وقوله
عز ذكره ﴿وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥ ص ٤٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)
برقم (٣٤٤٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٥٥١ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٦٤ .

(٤) سورة البينة من الآية ٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون آية

﴿كَهَيْعَصَ﴾ سبق الكلام حول بدايات بعض السور بالحروف المقطعة والأصح القول بأن الله أعلم بمراده منها.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا
 ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
 بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
 امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ
 يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

بيان الآيات:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ أي: هذا الذي نذكره لك - يا نبينا
 محمداً - هو رحمة من الله بعبده زكريا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾
 أي: دعا الله في السر قائلاً ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: ضعف بسبب
 كبر سني ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي: انتشر الشيب في شعر رأسي
 ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم تخيب ما أدعوك به ولم
 أقنط يوماً من رحمتك ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ قد يكون

المراد خفت أن يرثني أقربائي؛ لأنه ليس لي ولد أو يكون المراد خشيت أن يضيع أقربائي الذين من بعدي ﴿وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ أي: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي: أرزقني ولداً وكان مراده عليه السلام أن يرث النبوة كما حكى الله عنه بقوله عز ذكره ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ أي: يرث النبوة كما كان آباؤه ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: ترضى عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضيلة الدعاء في السر لقول الله عز وجل ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾^(١). وقول رسوله ﷺ: (خير الذكر الخفي)^(٢). ومن الأحكام: مشروعية الدعاء بإنجاب الولد ولو كانت المرأة عاقراً؛ لأن قدرة الله ورحمته بمن يدعو سبيل إلى الاستجابة رغم ما قد يرى المرء صعوبة فيه؛ لمخالفته المألوف كحال المرأة العاقر أو كبيرة السن.

﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾^(٧)

بيان الآية:

﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ هذا بيان من الله أنه استجاب

(١) سورة الأعراف من الآية ٥٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٧٢ .

دعاء نبيه زكريا فبشره بغلام ذكر ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾
أي: لم يسم أحد قبله بهذا الاسم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يستجيب دعاء عباده الصالحين، ويبشرهم باستجابة دعائهم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمُرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ
بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ٨ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ٩ ﴿

بيان الآيتين:

﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي: ناجى ربه مناجاة تعجب
وفرح يقول يا رب كيف يكون لي غلام ﴿وَكَأَنِّي آمُرَاتِي عَاقِرًا﴾
لا تلد، وقد كبر سنّها على الحمل ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾
أي: كبرت سني ووهن عظمي ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: قال له الملك
﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي: إن ربك يا زكريا قال لك إن الذي
حدث من ولادة الغلام له، وهو مسن، وامراته عاقر، ومسنّة هينّ على
الله ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي: وكما خلقت هذا
الغلام فقد خلقتك قبله مع أنك لم تكن شيئاً في الوجود.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير تعجب زكريا من ولادة الولد له، رغم كبر سنه وسن زوجته وكان تعجبه ليس شكا في قدرة الله، بل كان من ولادة الولد له خلافا للمعهود. ومن الأحكام: أن قدرة الله لا يحدها حد، بل هي مطلقة في جميع الأحوال وهو معنى قوله ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا.

بيان الآيتين:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ لما تفضل الله على زكريا بالولد، سأل زكريا ربه أن يجعل له آية تقوي حجته أمام قومه عن حمل امرأته، فأوحى الله إليه بقوله عز ذكره ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: ستكون لك آية وهي ألا تكلم الناس ثلاث ليال، وقد ضرب على لسانه فلم يعد يتكلم إلا بالإشارة، ونظيره قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران الآية ٤١.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: من مكان صلاته وهو المكان الذي بشر فيه بالحمل ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: أشار إليهم ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: سبحوا الله في الصباح، وفي المساء.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الله يجعل لأنبيائه آية، تجعل قومهم يصدقونهم فيما يدعونهم إليه، كما أتى موسى العصا، وأتى صالحا الناقة، وأتى نبينا ورسولنا محمدا ﷺ آيات عدة، فقد نصر بالرعب مسيرة شهر وأحلت له الغنائم، وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأعظم الآيات كتاب الله العزيز الذي تضمن أحكام الدنيا وأحكام الآخرة.

﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ١٢ ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ١٣ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ١٤ ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ١٥.

بيان الآيات:

﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: يا يحيى بن زكريا خذ التوراة بإيمان، وجدِّ والتزام بما فيها قولاً وعملاً ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: آتاه الله العلم والحكمة، وهو في صباه ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ أي: وكما أعطاه الله العلم والحكمة أعطاه الحنان والشفقة

والمحبة للناس ﴿وَزَكُوۡةٌ﴾ أي: وآتاه الله الطهارة ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي: متقيا لله طائعا له.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: كثير البر والرفقة بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ أي: لم يكن متجبرا على غيره، ولم يكن عاصيا لله، بل مطيعا له ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أي: وكتب الله له الأمان من الشياطين في ثلاثة أحوال يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه يوم القيامة.

أحكام وحساب الآيات:

الحكم بأخذ القرآن بما يليق به من معرفة آياته، وتدبر أحكامه وتحليل ما أحله، وتحريم ما حرمه. تقرير وجوب البر بالوالدين واللفظ في التعامل مع الآخرين وتحريم التكبر عليهم.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٦٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٦٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٦٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٧٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

بيان الآيات

لما بين الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ما أنعم به على زكريا من الولد في حال كبره، وجعل له في ذلك آية ذكر قصة مريم عليها السلام وإنجابها عيسى عليه السلام دون أب. وورود القصتين معاً ربما بدافع التشابه بينهما فيما لم يكن مألوفاً من حمل العاقر مع كبر سنهما وكبر سن زوجها، وولادة مولود دون أب. فقال عز وجل ﴿وَأُذْكِرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ المراد بها مريم بنت عمران، وقد تقدم ذكر قصة ولادتها، وأن أمها نذرتها لتخدم بيت المقدس، وكانت ناسكة نشأت في بيت خالتها عند زكريا، وكان يجد عندها ثمر الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتزلت أهلها وجلست في شرق المسجد ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أي: احتجبت عنهم ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ المراد به جبريل عليه السلام ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ أي: مثل الناس الذين تعرفهم حتى لا تنفر منه ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أي: أستجير بالله وأعوذ به منك إن كنت تخشى الله وتتقيه وكان خوفها منه ظنّها أنه يريد مراودتها عن نفسها، فاستعازت بالله منه، وقيل إن جبريل لما سمع كلمة ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ استأخر فزعا من ذكره عز وجل^(١) ثم قال

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٩١.

لها ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي: أرسلني الله إليك يَمُنُّ عليك بـغلام زكي طاهر.

فأجابته متعجبة ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ أي: لم يحدث أن وطئني بشر بزواج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي: ولم أرتكب فاحشة قط، وعندئذ نفخ جبريل في جيب درعها وقال ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ والمراد أنه قال لها: إن الله يقول بأن حملها بالولد دون أب، ودون ارتكابها فاحشة، أمر هين على الله، فإنه لا يعجزه شيء في أمر خلقه وعباده ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: سيكون دلالة وبينة على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: وستكون ولادته رحمة لمن آمن بما جاء به من عندنا من وجوب عبادة الله وحده ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: إن ولادته مما قدره الله في اللوح المحفوظ فلا راد لما قضى به.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الاستعاذة بالله من كل ما يخشاه الإنسان، كالاستعاذة من شرور الجن أو الإنس أو الدواب، ولا تكون الاستعاذة إلا بالله، فمن استعاذ بغيره فقد أشرك. أما إذا كانت الاستعاذة بما يقدر عليه البشر لدفع صائل ونحوه فجائزة.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ﴿٢٥﴾ فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا ﴿٢٦﴾

بيان الآيتين:

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ لما نفخ جبريل عليه السلام
في جيبها، ذهب النفخة إلى المكان الذي يخلق الله فيه الولد ولما تبين
حملها، ظن بها بنو إسرائيل سوء الظن، فقالوا: إن ما حدث لها هو من
علاقة يوسف الذي كان معها في الكنيسة، وقد أثرت تلك التهمة الفاحشة
عليها، فلجأت إلى مكان بعيد عنهم هو بيت لحم على المشهور من الأقوال
﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي: ألجأها الطلق، فاستندت
مضطرة إلى أصل النخلة ﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ أي: ليتني قد
انتهيت من هذه الحياة ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ أي: نسيني الناس
فلم يعودوا يتكلمون في عرضي، ويتهمونني بما أنا منه بريئة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير وجود النخل آنذاك في بيت لحم في فلسطين، وفضل النخلة
ومن مسائل الآيتين: تقرير ظلم قوم مريم لها، واتهامها بالباطل.
ومنها: جواز تمنى الموت إذا خشي المرء أن يفتن في دينه، وقد ورد أن
الحي في وقت الفتن يمر على قبر أخيه فيتمنى أنه مكانه.

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝٢٥ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۝٢٦﴾

بيان الآيات:

﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قيل: إن المنادي جبريل^(١) وقيل إنه ابنها عيسى^(٢) ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ من الولادة بالصبي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قيل المراد به عيسى، والسري من الرجال السيد^(٣) وقيل المراد به نهر تشرب منه^(٤) ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي: امسكي بجذع النخلة وهزّيه ﴿تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ أي: ينزل عليك من الجذع رطب طيب، وبهذا يكون الله قد هيا لها الطعام والشراب بقوله ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: اطمئني واهنئي نفسا بما أنعم الله به عليك من الولد والطعام والشراب ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي: إن رأيت إنسانا يسألك عن ولدك فقولي ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: لن أكلم اليوم أحدا من الناس.

(١) تفسير الضحاك ج ٢ ص ٥٥٧، تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٣١٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٦٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٧٠، وتفسير البغوي ص ٨٠٠.

(٤) تفسير الضحاك ج ٢ ص ٥٥٧، تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٣١٠.

أحكام ومسائل أخرى

وجوب فعل الأسباب في طلب الرزق؛ لأن الله وإن تكفل برزق عباده إلا أنه أمرهم بالسعي إليه، ولهذا أمر مريم أن تهز الجذع ليسقط عليها الرطب مع أن الله قادر على إنزاله لها بدون أن تهز الجذع. وفي هذا توجيه إلى أهمية التمر للمرأة الحامل؛ فإن الله لم يختار لها هذا النوع من الغذاء إلا لفائدته، وقد دلت الأبحاث الطبية على أهمية هذا الغذاء للحامل وغيرها.

ومن الأحكام: وجوب الوفاء بالنذر، وقد مدح الله المؤمنين الموفين بنذورهم في قوله عز ذكره ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(١).

﴿فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾^(٢٧) يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا^(٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا^(٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا^(٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا^(٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا^(٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا^(٣٣) ﴿

عيسى الأيوب:

﴿فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ لما عرفت مريم عليها السلام ما خصها الله به وخص به ولدها من الكرامة، وكونه آية من آيات الله اطمأن قلبها وسَلَّمَتْ أمرها وولدها إلى الله فجاءت به إلى قومها، وهي تحمله من المكان الذي ولدت فيه، وهو بيت لحم كما ذكر، فلما رآها قومها استنكروا حالها وقالوا ﴿يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: ارتكبت أمرا عظيما حين جئت بولد تحمليته من غير أب، واستمروا معها في المجادلة بقولهم ﴿يَتَأَخَتِ هَارُونَ﴾ أي: يا أخت هارون العابد التي كنا نظن أنك مثله في عبادته ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي: إنك من بيت أناس صالحين متنسكين لم يعرف عنهم حال سوء، فكيف تفعلين ما فعلت وأنت منهم؟ ولكي تزيل عنهم ما في نفوسهم من الريب والشك أشارت إلى ابنها ليكلّمهم ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وقد ازداد غضبهم عليها، وظنوا أنها تسخر منهم فسكتت، وحينئذٍ تكلم عيسى عليه السلام وقال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أي: عبد لله موحد له ﴿ءَاتَانِي الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل باعتبار ما سينزل عليه بعد كبره ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أي: أنعم علي بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: رسولا وداعيا إلى

عبادة الله وطاعته ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾
 أي: أمرني بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة، وهما من أركان الدين في
 نبوة كل نبي ورسالة كل رسول.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ أي: وأمرني ببر والدتي ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا
 شَقِيًّا﴾ أي: ولم يجعلني متكبرا عن طاعته، فأكون بذلك من أهل
 الشقاء. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾
 أي: وقد أنعم الله علي بالأمان يوم ولادتي، وعند موتي، وحينما أبعث
 حيا في الآخرة، وعندئذٍ توقف كلامه، فعرف قوم مريم أنها مؤمنة
 طاهرة كما كانوا يعرفونها، وأن ولادتها عيسى آية من آيات الله،
 نفخ الله فيه من روحه، فجعله بشرا سويا من غير أب، كما هو الأمر
 في سائر البشر، فكان نطقه وهو في المهد براءة لأمه عليها السلام مما
 رميت به من قومها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير معجزة عيسى عليه السلام، وكونه ولد من غير أب، وتبرئة
 الله لأمه مما رماها به قومها. ومن الأحكام: وجوب التثبت في القول
 قبل معرفة الحقيقة. ومنها: أن الصلاة والزكاة من أركان الدين سواء
 في ملة عيسى قبل نسخها أو غيره من الأنبياء والرسل، كما أنهما ركنان
 من أركان الإسلام، ولا يقوم هذا الدين إلا بأدائهما مع بقية الأركان

الأخرى. ومنها: وجوب بر الوالدين وطاعتهما وتحريم التكبر عن طاعة الله أو على المخلوقين.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾

بيان الآية

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي: هذا الذي قصصنا عليك يا محمد عن خبر عيسى هو القول الحق، وليس ما يقوله اليهود أنه ابن يوسف النجار الذي كان مع مريم في الكنيسة، ولا هو قول النصارى بأنه ابن الله وهو معنى قوله عز وجل ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكُّون ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ أي: ما كان ينبغي ولا يجوز لله أن يتخذ ولدا ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزهه عن الولد ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: لا يعجزه شيء، فما يريد أن يكون يقول له كن فيكون، ونظيره قوله عز وجل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ هذا كلام عيسى لقومه يقول فيه: إن الله ربنا جميعا، ونحن عبيده فاعبدوه، أي: وحدوه وأطيعوه ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: إن ما جئكم به طريق بين لا شك ولا جدال فيه ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اختلف أهل الكتاب في أمره فقالت اليهود عنه ما يظنون أنه يشينه من جهة أمه عليها السلام، وقالت فرقة من النصارى: إنه ابن الله، وقالت فرقة أخرى: إنه وأمه إلهان، وقالت فرقة أخرى: إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وهذه هي الفرقة الناجية، وهي أمة محمد ﷺ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في هذا تهديد ووعد لمن اتهم مريم، ووعد لمن قال: إن عيسى ابن الله أو إنه ثالث ثلاثة، والمراد أن لهؤلاء المفترين ويلاً في مشهد ذلك اليوم العظيم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الأقيان

الحكم بأن عيسى عبد لله ورسوله، وأن الله نفخ فيه من روحه وما قالته النصارى عن بنوته لله قول باطل؛ لأن الله نزه نفسه أن تكون له صاحبة أو يكون له ولد. ومن الأحكام: تقرير أن عقيدة عيسى هي عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء، وخاتمهم محمد ﷺ. ومنها: تقرير اختلاف أهل الكتاب في حقيقة عيسى، فمنهم من عيّره بأمه، ومنهم من رفعه إلى مرتبة البنوة لله أو الألوهية، أما المسلمون فيقولون كما قال

كتابهم إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
 ﴿ ٣٨ ﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٣٩ ﴾
 إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿ ٤٠ ﴾ .

بيان الآيات:

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين يرون العذاب، لا يمارون ولا يجادلون فيه ﴿ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي: أنهم في الدنيا في ضلالهم يعمهون، لا تنفعهم موعظة، ولا يهتدون سبيلا ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ أي: وأنذر يا محمد الكافرين عما سيلاقونه يوم القيامة من الحسرة والندامة على ما فرطوا فيه في الدنيا ﴿ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي: أخذ كل كتابه، فأهل اليمين إلى الجنة، وأهل الشمال إلى النار. ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ أي: كانوا معرضين عن الحق. ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا رجعة لهم في الدنيا فيتوبوا.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ أي: نتولاها بعد موت سكانها ورجوعهم إلينا ليجزي كلاً منهم بما عمل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الكفار يتحسرون يوم القيامة حين يرون العذاب بأعينهم،

ويسمعونه بأسماعهم، ففي حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال: فيؤمر به فيذبح قال: ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت) قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

ومن الأحكام: أن الساعة حين تقوم يزول كل من على الأرض، ويرجع الخلائق إلى الله، فيتولاهم بحكمته ومشيئته.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٩)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٧٠٥٤، والبخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ برقم (٤٧٣٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٢.

بيان الآيات:

﴿وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اذكر يا محمد في القرآن قصة إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ أي: كان نبيا صادقا في دعوته إلى عبادة الله ونبذ الأوثان ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِمِثْلِ مَعْبُودٍ مَا لِيَ سَمِعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ في هذا إنكار من إبراهيم على أبيه يقول له يا أبت كيف تعبد أصناما صُمًّا لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفعك، بل تضرك عبادتها من دون الله؟ ﴿يَأْتِ بِمِثْلِ مَعْبُودٍ مَا لِيَ سَمِعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: أعطاني الله من العلم والنبوة ما لم يعطك، فبهذا أنا أعلم بما لا تعلمه أنت ولا قومك ﴿فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أي: اتبع ما أقوله لك؛ لأن فيه الهداية إلى الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يتبعوه.

﴿يَأْتِ بِمِثْلِ مَعْبُودٍ مَا لِيَ سَمِعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: لا تصدقه ولا تؤمن بما يوسوس به؛ لأنه عدو لك وذريتك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ أي: كان عاصيا لله ومعاندا ومتكبرا، فحقت عليه اللعنة وطرده من رحمة الله، فمن اتبعه حق عليه مثل ما حق عليه؛ لأن التابع يتبع المتبوع ﴿يَأْتِ بِمِثْلِ مَعْبُودٍ مَا لِيَ سَمِعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: أخشى أن يعذبك الله إذا بقيت على عبادتك للأوثان ﴿فَتَكُونَنَّ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي: تكون حينئذٍ من أولياء الشيطان مصاحبا له في النار.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن دعوة إبراهيم عليه السلام هي: دعوة إلى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام، وهذا رد على المشركين الذين قالوا: إنهم يتبعون ملة إبراهيم. ومن الأحكام: التحذير من عبادة الشيطان، وهذه العبادة قد تكون لذاته كما حصل في هذا الزمان من بعض الفتیان الذين خلت قلوبهم من الإيمان فضلوا سواء السبيل، وقد تكون عبادة الشيطان باتباع غوايته. ومن الأحكام: مشروعية المجادلة بالحق كما فعل نبي الله إبراهيم مع أبيه وقومه.

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ ﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ ﴿٥٦﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ ﴿٥٧﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ هذا جواب أزر لابنه إبراهيم بعدما دعاه يقول فيه: أمبغض لآلهتي يا إبراهيم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: إذا لم تنته عما أنت عليه من رغبتك عن آلهتي، فسوف أركمك بالحجارة ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: ابتعد عني وقتا

طويلاً ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ﴾ أي: ورغم توعده آزر لإبراهيم كان إبراهيم لطيفاً معه بوصفه والده، والمراد هنا تركه على حاله مع مفارقتة. ﴿ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ﴾ أي: سوف أسأل الله أن يردك إلى الحق ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ أي: مجيباً لدعوتي ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: سوف أفارقكم وأصنامكم التي تدعونها من دون الله كفراً وضلالاً ﴿ وَأَدْعُوا رَبِّي ﴾ أي: أعبدوه وأطيعوه وحده ﴿ عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ أي: أرجوه وأدعوه ألا يخيب دعائي.

أحكام ومسائل الآيات:

عدم جواز الاستغفار للمشرك، أياً كانت قرابته، وقد كان هذا الاستغفار جائزاً في أول الإسلام حيث كان المسلمون يستغفرون لأبائهم المشركين؛ لأن إبراهيم قد استغفر لأبيه ثم نهى عنه كما نهى رسول الله ﷺ عن الاستغفار لأمه، وذلك في قول الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١). ﴿ وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٢). ومنها: وجوب اعتزال المعاندين لله ورسوله.

(١) سورة التوبة الآية ١١٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿ فَلَمَّا أُعْتَزِلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ ۝٤٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَلَمَّا أُعْتَزِلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ لَمَّا عَرَفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ لَنْ يَتْرَكُوا الشِّرْكَ اِعْتَزَلَهُمْ وَهَاجَرَ إِلَى الْقُدُسِ، فَعَوَضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُمْ هُوَ ابْنُهُ إِسْحَاقُ وَابْنُهُ يَعْقُوبُ ۖ ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أَي: جَعَلْنَاهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا﴾ أَي: أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِالنَّبُوَّةِ وَبِالْوَلَدِ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أَي: أَثْنَيْنَا عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ وَبِمَا يَذْكُرُونَ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ.

أحكام ومساكن الأنبياء

تقرير مشروعية الهجرة من دار الشرك والكفر إلى دار الإسلام، وكان إبراهيم أول من هاجر معتزلاً أباه وقومه. تقرير أن الله يتفضل على عباده المؤمنين فيعوضهم خيراً مما يفتقدونه.

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ ۝٥٠﴾

بیان الآيات:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ أي: واقرأ يا محمد على قومك قصة موسى بن عمران ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أي: كان ممن اصطفاهم الله وخصهم بالنبوة، هذا إذا كانت القراءة (مُخْلَصًا) بفتح اللام، فإن كانت بكسرهما (مُخْلِصًا) فالمعنى أنه كان مخلصا لله في عبادته متجردا من الرياء والشرك ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أي: كان له ميزتان ميزة النبوة وميزة الرسالة ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ المراد بالطور طور سيناء، وذلك حين ذهب موسى إلى هناك ليكلمه الله - كما سبق ذكره- ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ أي: كلمناه مباشرة وهو قريب منا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ أي: أجبنا دعوته لما قال ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ إني أخاف أن يكذبون ﴿^(١)﴾ فقال الله له ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ ^(٢).

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بوجوب الإخلاص في عبادة الله كما قال عز وجل ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ^(٣). ومن

(١) سورة القصص الآية ٣٤ .

(٢) سورة القصص الآية ٣٥ .

(٣) سورة الكهف من الآية ١١٠ .

الأحكام: أن الكلام من صفات الله العلية كما قال عز وجل ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٢)
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

بيان الآية

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ أي: واقرأ يا محمد على قومك قصة إسماعيل بن إبراهيم، وهو الذبيح ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ أي: لم يخلف ما وعد به أباه إبراهيم لما قال له ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قال يَتَّيَّبُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ^(٣). وقد استسلم لما أمره به أبوه إلى أن جعل الله من الأنعام فداء له ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أي: كان له ميزة النبوة والرسالة ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ المراد بأهله قبيلة جرهم الحجازية، فكان يأمرهم بأداء هذين الركنين من أركان الدين لعظمهما ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أي: رضي الله عنه.



أحكام الآية

الحكم بأن الصلاة والزكاة من أركان الدين الذي أرسل الله به

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

الرسل إلى أممهم. تقرير فضل صدق الوعد وذم إخلافه؛ لأن ذلك من آيات المنافقين، فالوعد عهد، والوفاء به واجب كما قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١).

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾  وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا .

بيان الآيتين:

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ أي: واذكر قصة إدريس ومنزلته وكونه يصدق فيما يقول، وقد اختاره الله ليكون واحدا من أنبيائه وقيل إنه سمي إدريس؛ لكثرة درسه لكتاب الله تعالى^(٢)، وقد أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة لدعاء قومه^(٣) ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي: رفعه الله من ضمن أنبيائه عاليا في مكانه ومنزلته.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضيلة الصدق، وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يصدقوا في أقوالهم وأفعالهم كما قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٤). وفي الحديث (إن الصدق يهدي إلى البر

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٢) تفسير البغوي ص ٨٠٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١١٧ .

(٤) سورة التوبة الآية ١١٩ .

وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن
الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذاباً^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا
نُتِلَى عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٤﴾ إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٥﴾
جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦﴾ لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٧﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٨﴾﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ المراد به
إدريس؛ لأنه الأقرب إلى آدم ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ المراد به إبراهيم
﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ المراد به إسماعيل ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ المراد به موسى
وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ﴾ برقم (٦٠٩٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٢٣.

ضمن من وفقناهم للهداية وأنعمنا عليهم بالنبوة ﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ أي: كلام الله ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ أي: يسجدون لله تعظيما له ويبكون خشية من عذابه.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ لما ذكر الله حال الأنبياء وصلاحهم وإخلاصهم وصدقهم وأداءهم للصلاة والزكاة وقيامهم بتوحيد الله وطاعته ذكر أقواما خلفوهم فكانوا على نقيضهم ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: تهاونوا فيها، فلم يؤدوها في أوقاتها المفروضة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ أي: استمروا المعاصي، وانغمسوا في الملذات المحرمة، واستهانوا بأوامر الله وأحكامه ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ أي: واديا من أودية جهنم يلقون فيه جزاء عملهم.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ هذا استثناء، والمراد إلا من تاب إلى الله، ورجع عن غيه، وعمل أعمالا صالحة؛ فإن الله يكفر عنه سيئاته ويدخله جناته كما قال عز وجل ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أي: يجدون أعمالهم موفاة لهم لا يبخسون منها شيئا.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ أي: يدخل التائبون جنات عدن ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها وهم لا يعرفونها، ولكنهم يؤمنون بها؛ لأنهم يؤمنون بوعد ربهم ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ أي: أن

ما وعد به حق لا ريب فيه ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلاما فاحشا أو بذيئا، وإنما يسمعون سلاما حيث يسلم بعضهم على بعض وتسلم عليهم الملائكة كما قال عز وجل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١). ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢). ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي: أن في الجنة ما يشتهون من المطاعم والمشارب في الصباح وفي المساء.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ أي: هذه هي الجنة التي وصفناها، نورثها لعبادنا المتقين الأبرار.

أحكام ومسائل الآيات

تقرير الوعيد لمن أضاع الصلاة، وغفل عنها كما قال عز وجل ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٣). ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٤). ومن الأحكام: تقرير الوعيد لمن اتبع شهواته وانغمس في المعاصي وأعرض عما جاءه من الحق. ومن هذه الأحكام: أن باب التوبة مفتوح للعصاة قبل بلوغ آجالهم. ومنها: أن الله لا يظلم أحدا من خلقه أو يبخسه حقه كما قال عز وجل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥).

(١) سورة الرعد من الآية ٢٣ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٢٤ .

(٣) سورة الماعون الآية ٤ .

(٤) سورة الماعون الآية ٥ .

(٥) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا.

بيان الآية:

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ لما انقطع الوحي فترة من الوقت حزن رسول الله ﷺ لذلك، فلما جاءه جبريل قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: (ما يمنعك أن تزورنا؟) فأنزل الله هذه الآية أي: أننا معشر الملائكة ما ننزل من السماء إلا أن يأمرنا الله^(١) ﴿لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: له أمر الدنيا وأمر الآخرة وما بينهما، فهو المالك، والمتصرف، والمدبر والأمر لا نتصرف إلا بإذنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي: إن الله لم ينساك لأنه جل وعلا لا ينسى.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما بقدرته ومشيئته وحكمته ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: الزم طاعته وعبادته واصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: هل تعلم شبيها أو مثيلا أو نظيرا؟ ونحن نقول حاشا وكلا أن يكون له ذلك.

الحكم والمسائل الآتية:

الحكم بأن الملائكة لا يدبرون أنفسهم، ولا يتصرفون إلا بإذن الله

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٩٤، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ١٠٣.

عز وجل. ومن الأحكام: نفي النسيان عن الله عز وجل ومنها: وجوب عبادة الله، والصبر عليها، مهما كانت المصاعب والمتاعب. ومنها: الحكم بنفي الشبيه، أو المثل، أو النظير لله تعالى كما قال عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١).

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أءِذَا مَاتْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾^(٢) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾^(٣) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾^(٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أءِذَا مَاتْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ القائل أبي بن خلف، فقد وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: يزعم محمد أنا نبعت بعد الموت؟ والمراد إذا ماتت كيف أعود حيا مرة أخرى، وهذا على سبيل الاستهزاء والإنكار ليوم القيامة^(٢) ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ وهذا جواب الله عز وجل له: ألا يعلم هذا القائل ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ

(١) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٣١٨، وتفسير ابن وهب ج ١ ص ٤٩٢، وتفسير البغوي

قَبْلُ ﴿ أَي: أوجدناه من العدم ﴾ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿ أَي: لم يكن له وجود أو صفة.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ هذا قسم من الله عز وجل، وقسمه الحق أنه سوف يحشر الخلائق من قبورهم، فيقفون بين يديه حفاة عراة غرلا ﴿ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ أي: ولنحشرن الشياطين مع هؤلاء المكذبين بالبعث ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴾ أي: سوف يجثون على ركبهم لا يستطيعون السير؛ لما هم فيه من الضنك والشدة ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ أي: سوف نأخذ من كل أهل دين ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴾ أي: نبدأ بالأظلم فالأظلم منهم؛ ليزوق العذاب ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًا ﴾ المراد أن الله يعلم من هو الأولى بأن يصلى النار ويعذب بها.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من بني الإنسان من يكفر بالبعث ويكذب به كالدهريين الذي قالوا ﴿ وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾^(١). الحكم بأن الذي خلق الإنسان وأماته هو القادر على إحيائه كما قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾^(٢). ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤ .

(٢) سورة يس الآية ٧٨ .

أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ^(١).

ومن الأحكام: أن الله سوف يحشر المكذبين بالبعث مع الشياطين ثم يحضرهم إلى العذاب وهم جاثون على ركبهم.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ^(٢) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ^(٣).

بيان الآيتين:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ هذا قسم من الله تعالى وقسمه الحق بأن الناس سوف يردون النار؛ أما المؤمنون فيمرون على الصراط مرور البرق لا تمسهم النار، وأما المشركون فيدخلونها وشاهده ما ورد في صحيح مسلم: (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلِّم سلِّم) قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: (دحض مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلمٌ، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم) ^(٢). ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ أي: حكما قضى به وأمرأ أمر به.

(١) سورة يس الآية ٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٣)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٠٠٣ - ١٠٠٤.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هذا بيان لحال الصراط حين يمر عليه الناس حسب أعمالهم كما في الحديث الأنف الذكر، ينجي الله العباد الذين اتقوه في الدنيا، فيمرون على الصراط، يعبرون منه إلى الجنة ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ أي: عندما يدخل المتقون الجنة يدخل الظالمون النار، وهم جاثمون على ركبهم، ويخلد فيها من كتب الله عليهم الخلود لشدة شركهم وكفرهم ويخرج منها من كان يقول لا إله إلا الله وإن لم يعمل عملاً غير ذلك، وهذا رحمة منه عز وجل بمن كان في قلبه ولو مثقال ذرة من إيمان.

﴿مُحْكَمٌ وَمَسَائِلُ الْآيَاتِينَ﴾

تقرير أن الخلائق سوف يمرون على الصراط، فعابر منه إلى الجنة وهم عباد الله المتقون، وعابر منه إلى النار وهم الذين كفروا بالله واستحلوا محارمه واتبعوا شهواتهم.

﴿وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْثَا وَرِيًّا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿بَيِّنَاتٍ الْآيَاتِينَ﴾

﴿وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ أي: إذا تتلى آياتنا البينات على

المشركين المكذبين بالبعث، وفيها البشرى للمؤمنين ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ أي: يقول المشركون مفتخرين على المؤمنين أن فريقهم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ أي: أحسن منزلاً ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي: أحسن مقراً من دار الأرقم الذي كان المؤمنون يجتمعون فيه في مكة، والغاية من ذلك أن يصوروا للمستضعفين من المؤمنين أن الذين أعطاهم الله المال، والجاه، والولد، هم أفضل من الذين لا مال لهم ولا قوة وأن الله ما أعطاهم هذا المال والقوة إلا لأنه يحبهم. ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ وهذا جواب الله لهؤلاء، والمعنى أنه قد أهلك قبلهم عدة أمم ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ أي: متاعاً وقوة ﴿وَرِئَاءَ﴾ أي: منظراً وجمالاً.

أحكام ومساائل الإيمان

الحكم بأن المال لا ينفع صاحبه إذا كان كافراً كما قال عز وجل في حق قارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾^(١). ومن الأحكام: أن الله يملئ للظالم، لعله يتوب فإذا لم يفعل أخذه أخذ عزيز مقتدر وفيه قول الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٢). وفيه قول رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي

(١) سورة القصص الآية ٨١ .

(٢) سورة هود الآية ١٠٢ .

لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ) ^(١).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ
جُنْدًا﴾ ٧٥

بيان الآية:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: قل يا محمد لمن ضل عن سبيل الله
﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: سوف يمهل الله حتى يكون ذلك أشد
لعذابه ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ أي: يمهلون
حتى يروا العذاب في الدنيا بما يصيبهم من الكوارث أو الهزيمة، وإما
قيام الساعة بغتة فلا تنفعهم حينئذ توبة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ
شَرُّ مَكَانًا﴾ هذا رد على المشركين الذين تباهوا وافتخروا على المؤمنين
بأموالهم وقوتهم، والمراد أنهم سيعلمون حينئذ أن مكانهم في الآخرة
مكان عذاب وأنهم لن يجدوا لهم أعواناً أو شفعاء ينفعونهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن من يستمر في ضلاله، ولم يتب إلى الله ولا ينتفع
بالمواعظ يمهل الله ويستدرجه؛ ليكون ذلك أشد في عذابه كما قال

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ برقم
(٤٦٨٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٠٥.

تعالى ﴿ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ ^(١). وقوله ﴿ وَأُمَلِّ لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ^(٢) ومن هذه الأحكام أن المشركين والمستهزئين بالله ورسوله هم في أشر مكان في الآخرة وأضعف أعواناً.

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ لما بين الله عز وجل أنه يملئ لأهل الضلالة إذا استمروا على ضلالتهم، ثم ينزل عليهم العذاب الشديد بين أنه يزيد المؤمنين هدى على هداهم فيبارك لهم في حسناتهم وأعمالهم ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ ﴾ هي الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه كأداء الفرائض، والذكر، والتسبيح، ونحو ذلك ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ أي: جزاء ﴿ وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ أي: أحسن عاقبة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الله يمهل للظالم؛ ليكون عنده فسحة من التوبة، فإن تاب وإلا كان عذابه أشد؛ لأن الله قد أعذره. تقرير أن الله يزيد المهتدين هدى، وأن الأعمال الصالحة هي التي تبقى لأصحابها في الآخرة.

(١) سورة آل عمران من الآية ١٧٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣ .

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴿٦٧﴾
أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٦٨﴾ كَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ
وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٦٩﴾ وَنَزِثُ لَهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٧٠﴾﴾

بيان الآيات

﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ نزلت هذه الآية في العاص بن وائل؛ لما روى خباب قال: كان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه منه فقال: لن أقضيكه حتى تكفر بمحمد قال: فقلت له لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مالي وولدي قال ذلك استهزاء فنزلت هذه الآية^(١).
﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: اطلع على الغيب، وعرف أين مكانه في الآخرة
﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: هل عاهد الله على أن يدخله الجنة
﴿كَلَّا﴾ أي: لم يطلع على الغيب، ولم يكن له عهد عند الله، فهو مشرك ضال
﴿سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنحصى وندون ما قاله من الكذب والاستهزاء
﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: سنضاعف له العذاب يوم القيامة
﴿وَنَزِثُ لَهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سوف نسلب منه ماله وولده
﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: أعزل، لا مال له ولا ولد ولا ولي ولا ناصر.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٩٥، وأخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ برقم (٤٧٣٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٣.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام هذه الآيات: إطلاع الله لرسوله محمد ﷺ على مقالة أحد المشركين واستهزائه بدين الله وتكذيبه بالبعث. ومنها: وعيد الله لهذا المشرك ومن كان أو يكون على ملته أن أقواله سوف تدون وتحصى عليه حتى يجازى عليها بالجزاء المضاعف كما قال تعالى في حق المجرمين والظالمين ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١).

ومنها: أن أموال هذا المشرك ومن هو على شاكلته سوف تسلب منه ويأتي يوم القيامة حسيرا، لا يجد من ينصره أو يرد عنه العذاب.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ٨١ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ٨٢ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّمَهُمْ أَزًّا﴾ ٨٣ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ٨٤ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ المراد بهم المشركون في مكة حين نصبوا لهم أوثانا ظنوا أنهم بعبادتها ينجون

من عذاب الله ﴿كَلَّا﴾ نفي لزعمهم وظنهم أنها ترد عنهم عذاب الله ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: سيتبرؤون من عبادة المشركين لهم؛ لأنهم من مخلوقات الله ويتبرؤون من عبادة غيره ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي: سوف يكونون ضدهم فيكذبونهم ويخاصمونهم ويتبرؤون من عبادة المشركين لهم. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ في هذا تنبيه لرسول الله محمد ﷺ بأن الشياطين يغوون الكافرين حين سولوا لهم الشرك وكفروا بما جاءهم به رسول الله ﷺ من الهدى والبيّنات ﴿تَوَّضَعُوا أَرْجَا﴾ أي: تغريهم وتزين لهم الضلال ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ المخاطب رسول الله ﷺ والمراد لا تطلب العذاب لهم؛ لقاء تكذيبك ﴿إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ أي: نحسب آجالهم المكتوبة لهم، إلى أن تنتهي وحينئذ يلقون سوء أعمالهم.

أحكام ومسائل الآيات

من أحكام الآيات التنديد بالمشركين؛ لاتخاذهم آلهة يعبدونها ويزعمون أنها تقيهم عذاب الله، وهذا يدل على جهلهم وسفه عقولهم؛ لأن الآلهة التي كانوا يعبدونها أحجار وأشجار، لا تسمع ولا تبصر، ناهيك عن أنها من مخلوقات الله! فلو كان هؤلاء يعقلون لعبدوا الذي خلق هذه الأوثان. ومن هذه الأحكام أن هذه الأوثان ستتبرأ منهم يوم القيامة كما قال عز وجل عنهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ ما كانوا إيانا

يَعْبُدُونَ^(١). ولن يتبرؤوا منهم فحسب بل سيكونون ضدهم فيشهدون عليهم. ومن هذه الأحكام: أن الشياطين يتسلطون على الكفرة فيهيجون نفوسهم ويغرونهم بارتكاب المعاصي إلى أن تنتهي آجالهم فيلقون حينئذٍ سوء أعمالهم.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ۖ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ﴾

بيان الآية

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ هذا بيان من الله عن حال المتقين الذين يفدون إلى الجنة ركبانا تحفهم الملائكة، ينادونهم بأسمائهم، ويسلمون عليهم، ويهنئونهم بما أنعم الله عليهم من دخول الجنة ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ لما بين الله حال المؤمنين يوم القيامة بين حال المجرمين، وأنهم يساقون إلى العذاب وقد أنهكهم العطش والنصب وشدة الحزن من هول ما يرون من العذاب ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ أي: لا أحد يشفع لهم من جنسهم؛ بسبب كفرهم خلافا للمسلمين الذين يشفع بعضهم لبعض كما قال عز وجل ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: كان على ملة الإسلام يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

أحكام ومسائل الآيات:

من هذه الأحكام: أن المؤمنين يحشرون يوم القيامة إلى الجنة، وهم وفود راكبون متزامنون، تحفهم الملائكة، وهم يستبشرون بما أنعم الله عليهم من دخولها كما قال عز وجل ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١). وقالوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٢).

وفي المقابل يحشر الكفرة إلى العذاب وهم ظمأً مثقلون من التعب والحزن على تفريطهم في الدنيا كما قال عز وجل ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣). قيل ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْسَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٤). وهم على تلك الحال من سوقهم إلى العذاب

(١) سورة الزمر الآية ٧٣ .

(٢) سورة الزمر الآية ٧٤ .

(٣) سورة الزمر الآية ٧١ .

(٤) سورة الزمر الآية ٧٢ .

لا يجدون من يواليهم أو يشفع لهم كما ذكر عز وجل كلامهم بقولهم ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^(١). ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(٢). ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣). وهم على تلك الحال على نقيض المؤمنين الذين يشفع بعضهم لبعض كما قال عز وجل عنهم ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿١﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٢﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٣﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٤﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٥﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٦﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٧﴾

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ في هذا بيان من الله عن قول المشركين: إن الملائكة بنات الله وقول اليهود: إن عزيرا ابن الله وقول النصارى: إن عيسى ابن الله كما مر في الآيات السابقة ثم قال

(١) سورة الشعراء الآية ١٠٠ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٠١ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٢ .

عزوجل منكرا عليهم هذا القول ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: قلتم منكرا كبيرا ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾ أي: تكاد السموات تتشقق من هذا القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ أي: تتصدع وتتجزأ كذلك من هذا القول ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تسقط وتتهدم من شدة صوت سقوطها ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أي: يكاد يحدث كل ذلك عند سماع قول الكافرين بأن لله ولدا ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لا يليق به ذلك؛ لأنه نزه نفسه عن الصاحبة والولد ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ أي: إن كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن وكل المخلوقات عبيد لله يأتون يوم القيامة، وهم مقرون بعبوديتهم له.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ أي: علم عدد عبيده ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ تأكيد لعلمه عز وجل لعددهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ أي: يأتون يوم القيامة فرادى، لا ولد ولا مال ولا معين ولا ناصر لهم.

أحكام ومسائل الآيات:

من أحكام هذه الآيات: الإنكار الشديد على المشركين وعلى اليهود والنصارى قولهم بأن الله قد اتخذ ولدا فنسبوا إليه الملائكة وعزيراً وعيسى وتوكيد أنهم بقولهم هذا قد ارتكبوا منكرا

عظيما وإثما كبيرا، كادت السموات والأرض والجبال أن تتفطر وتتشقق وتسقط من شناعته، ومع ذلك يصبر عز وجل على أذى خلقه كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾^(١). وفي حديث أبي موسى: أن رسول الله ﷺ قال: (ليس أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليدعون له ولداً وإنه يعافهم ويرزقهم)^(٢).

ومن هذه الأحكام: أن الله نزه نفسه عن الولد؛ لأن المولود لابد أن يكون له والد، وهذا لابد أن يكون له أصل، وهذا يتنافى بالكلية مع ذات الله العلية، فهو الخالق وحده لجميع المخلوقين وهم بهذا عبيده، وقد أحصاهم جميعاً، وسيأتون إليه يوم القيامة فرادى، ليس معهم إلا أعمالهم التي يحاسبون عليها فتكون لهم خيراً أو شراً حسب حالها.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^(٦١).

بيان الآية:

في هذه الآية بيان من الله عز وجل أن الذين آمنوا به وعملوا الأعمال

(١) سورة النحل من الآية ٦١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الصبر في الأذى وقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ برقم (٦٠٩٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٥٢٧.

الصالحة التي تقربهم إليه، وهي اتباع ما أنزله على رسوله محمد ﷺ من الهدى سيجعل لهم ﴿وَدًّا﴾ أي: محبة في قلوب عباده بسبب محبته لهم ورضاه عنهم، وقد روي أن هذه الآية نزلت في علي رضي الله عنه فيما رواه البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: (قل يا علي: اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة)^(١). وقيل إنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف فقد كان له محبة في قلب من يلقاه مؤمنا كان أم كافرا^(٢).

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله إذا أحب عبدا جعل محبته في قلوب عباده وشاهده حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض)^(٣).

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ٨٩٨، والجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١٦١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٧٩.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ
قَوْمًا لُدًّا﴾ ﴿٩٧﴾

بيان الآية:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ المراد به القرآن، والمعنى قد بيناه
بلسانك العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: لتبلغ المصدقين به
أن لهم العقبي الحسنی في الدارين ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ أي: لتنذر
به المجادلين والمخاصمين في الحق أن لهم سوء العاقبة إذا استمروا على
ضلالهم وجدالهم بالباطل.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية: الحكم بأن الله يسر نزول القرآن بلغة العرب وجعله
بيننا ليكون فهمه يسيرا على من يقرؤه كما قال تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ﴾^(١). ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢). ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ﴾^(٣). وقال عز وجل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ أَتَعْجَمِي وَعَرَبِيٌّ﴾^(٤). وفيها الحكم بأن القرآن بشارة للمؤمنين

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

(٤) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

ونذارة للكافرين كما قال عز وجل ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(١).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزًا﴾^(٢).

بيان الآية:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ في هذا تهديد ووعيد لمشركي
مكة، وتذكير لهم أن الله سبق أن أهلك قبلهم أمما لما كذبوا رسلهم
وعصوهم، فما كان لغيرهم من الهلاك قد يكون لهم ﴿هَلْ تُحِسُّ
مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ أي: أنهم لما هلكوا لم يسمع لهم
ركزا، أي: صوتا، والمراد أنذر يا محمد هؤلاء المشركين عن حال من
سبقهم من الأمم الهالكة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير التهديد والوعيد لمن يشرك بالله ويكفر بآياته؛ لأن
سنته قد مضت في إهلاك أهل الطغيان والضلال إذا لم يتوبوا من
خطيئاتهم.

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة طه

مكية وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية^(١)

﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَن
يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا
تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

بيان الآيات:

﴿ طه ١ ﴾ حرف من الحروف المقطعات والله أعلم بمراده منه
أو المراد به اسم من أسماء رسول الله ﷺ على قول ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ أي: لما نزل القرآن على رسول الله ﷺ اجتهد هو
وأصحابه رضوان الله عليهم في العبادة، وإطالة الصلاة فقال المشركون

(١) نزلت سورة طه قبل أن يسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روي أنه دخل بيت صهره سعيد بن زيد فوجده يقرأها مع زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهم فطلب أن يرى ما يقرأون فلم تعطه إياها حتى يغتسل لأنه مشرك والقرآن لا يمسه المشرك فلما قرأها دخل الإسلام في قلبه وقال له خباب يا عمر لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم أعز الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عندئذٍ دلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٣ - ١٠٤ .

وعلى رأسهم النضر بن الحارث: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى به فأنزل الله هذه الآية^(١) بيانا وبلاغاً بأن الله لم يجعل القرآن شقاءً، وحاشاه بل جعله رحمة لعباده المؤمنين الذين يصدقون به ويتبعون ما جاء به ﴿إِلَّا نَذْكِرَ لِمَن يَخْشَى﴾ تأكيد بأن الله أنزل القرآن، رحمة لعباده وذكرى لهم؛ لينتفعوا به في دنياهم وأخراهم.

﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ هذا بيان من الله جل وعلا أنه هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ وأنه هو خالق الأرض في انبساطها وكونها ذلولاً لخلقه وخالق السموات في علوها ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي: وكما أنزل القرآن وخلق السموات والأرض علا على عرشه علوا يليق بكماله وجلاله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: هو المالك لكل من في السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من المخلوقات والعوالم كلهم تحت قبضته وإرادته وحكمته ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ أي: هو المالك لكل ما تحت الأرض ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ أي: كما أنه منزل القرآن وخالق السموات والأرض وما بينهما وما تحت ثرى الأرض، فهو يعلم أسرار خلقه وعلاانيتهم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: وفوق كل ذلك هو الله الذي لا رب ولا إله في الوجود غيره، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، لا يماثله أو يشابهه أو يناظره أحد.

(١) أسباب نزول القرآن للواحي ص ٤٩٧ .

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات حقائق وأحكام: منها: أن الله عز ذكره أنزل القرآن رحمة لعباده، لم يرد منهم أن يتكلفوا بسببه كما قال عز وجل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَعَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَآخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾^(١). ومنها: أنه تنزيل من الله، وفيه دحض لشبهه المشركين والكافرين الذين نسبوه إلى غير الله. ومن هذه الأحكام: تأكيد قدرة الله وخلقته للأرض والسموات، وأنه يعلم ما في نفوس خلقه من سرهم وعلاانيتهم، وخفايا صدورهم، وأنه الإله الواحد، له الأسماء الحسنى التي ينادى بها كما قال عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾  إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ 

بيان الآيتين:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ أي: قد أتاك حديث موسى وبداية

(١) سورة المزمل من الآية ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

نبوته، ذلك أنه لما انتهى الأجل الذي بينه وبين نبي الله شعيب في إجارته - كما سيأتي إن شاء الله - ذهب بأهله إلى مصر ومعه أهله فضل طريقه بعد أن حل عليه الليل في ليلة باردة، فبينما هو يحاول أن يستضيء بما معه من آلة تنير له الطريق ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ أي: ظهر له ضوء من جبل كان بقربه فاستبشر بما رأى ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ أي: استقروا في مكانكم، لا تتحركوا منه ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَانِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ أي: قد رأيت نارا وأرجو أن آتي منها بشهاب نقتبس منه؛ لكي نستدفئ من البرد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أو أجد عند هذه النار من يدلني على الطريق.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير نبوة رسول الله محمد ﷺ وما أوحى الله إليه من قصة موسى؛ لأنه ما كان له عليه الصلاة والسلام أن يعرف هذه القصة إلا بعد أن أوحى الله إليه بها.

﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِيَ يَمُوسَى﴾ (١١) ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١٢) ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (١٣) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (١٥) ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١٦).

بيان الآيات:

﴿ فَلَمَّا أَنهَا ﴾ أي: لما أتى النار التي رآها ﴿ نُودِيَ ﴾ أي: من جهتها
 ﴿ يَمُوسَى ﴾ ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ أي: أنا ربك الذي يكلمك ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾
 إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿ أي: أنزعهما احتراما للبقعة التي أنت فيها
 وهي وادي طوى. ﴿ وَأَنَا أَخَرْتُكَ ﴾ أي: اصطفيتك لحمل الرسالة؛
 لإبلاغها لقومك ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ أي: أنصت لما ينزل عليك من
 الوحي ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ أي: هذا هو المراد من جميع العباد
 أن يقرؤا بتوحيد الألوهية، وهو أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا
 معبود بحق غيره ﴿ فَأَعْبُدْنِي ﴾ أي: اجعل عبادتك لي ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾
 لِذِكْرِي ﴿ أي: داوم على إقامة الصلاة، واذكرني فيها ﴾ إِنَّ السَّاعَةَ
 ءَانِيَةٌ ﴿ أي: قائمة في موعدها المحدد ﴾ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴿ أي: أخفيها عن
 الخلق ﴾ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿ أي: حين تقوم سوف تجزى
 كل نفس بما عملت من خير أو شر ﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ
 بِهَا ﴿ أي: لا يصرفك عن التصديق بقيامها ﴾ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ
 هَوَاهُ ﴿ أي: لا يصرفك عن الساعة منكرها بعد أن غلبه هواه على ما
 جاءه من البينات ﴾ فَتَرَدَّى ﴾ أي: تهلك في دنياك وأخراك.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: إثبات الكلام لله عز وجل كما

قال ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١). ومنها: وجوب احترام بعض الأماكن بعدم المشي فيها بالنعال تكريماً لها كالمساجد؛ لما قد يكون في النعلين من الأذى كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: (ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟) قالوا: رأيناك ألقيت نعليك، فألقينا نعالنا فقال رسول الله ﷺ: (إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيهما قدراً أو قال أذى إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قدراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما)^(٢).

ولا خلاف بين العلماء في جواز الصلاة بالنعلين، أو ما في حكمهما إذا كانتا طاهرتين؛ أما إن كان فيهما نجاسة وجب تطهيرهما بما يزيل النجاسة.

ومن هذه الأحكام: وجوب حسن الاستماع لآيات الله وذكره، وقد مدح الله عز وجل المستمعين للكلام الحسن بقوله ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣). ومنها: وجوب إقامة الصلاة؛ لكونها ركناً من أركان

(١) سورة النساء من الآية ١٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، برقم (٦٥٠)، سنن أبي داود ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) سورة الزمر الآية ١٨.

الدين الذي جاء به النبيون والمرسلون، وهذه الصلاة لا تسقط بحال حتى في حال الخوف والنسيان؛ لما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها) (١).

ومن هذه الأحكام: تأكيد قيام الساعة مع إخفائها عن الخلق كما قال تعالى ﴿ثُقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢).

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَنَاقِطَ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلَ بَيْضَاءِ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾

بيان الآيات:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ﴾ لقد جعل الله لكل نبي آية حتى يصدق قومه، وهذه الآية تكون من خوارق العادات مما يكون مدعاة للتصديق خاصة من الذين لا يؤمنون إلا إذا رأوا مثل هذه الخوارق، ومع أن الله يعلم ما في يد موسى، إلا أنه استفهام للتقرير ﴿قَالَ﴾

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، برقم (٦٨٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٠٩٣.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٨٧.

هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴿١﴾ أي: أعتد عليها لتساعدني في المشي ﴿وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ ﴿٢﴾ أي: أهز الشجر حتى يتساقط ورقه لتأكل منه غنمي ﴿وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ ﴿٣﴾ أي: حوائج عدة ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤﴾ أي: اطرح هذه العصا التي في يدك، وذلك ليريه الله معالم النبوة ﴿فَالْقَنَاهَا فَاِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿٥﴾ أي: تحولت بمجرد إلقائه لها إلى حية حقيقية تمشي ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ ﴿٦﴾ أي: خذ الحية ولا تخف منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ﴿٧﴾ أي: سوف نحولها إلى عصا كما كانت من قبل ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ ﴿٨﴾ أي: ضم يدك إلى عضدك ثم إلى جيبك ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ﴿٩﴾ أي: تخرج يدك بيضاء ناصعة من غير أذى ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ ﴿١٠﴾ أي: أتيناك بهذا آية أخرى غير الآية الأولى، وهي تحول العصا إلى حية تمشي ﴿لِنُزِيلِكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ ﴿١١﴾ أي: الآيات العظيمة.

أحكام ومسائل الآيات:

تضمنت هذه الآيات عدة أحكام: منها: استحباب حمل العصا وقد كان رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي إليها^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب سترة الإمام سترة من خلفه، برقم (٤٩٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٦٨٢.

ومنها: أن للنبوة دلائل ربانية، لا يخص بها الله إلا الذين اصطفاهم لهذه المنزلة العظيمة، وهذا يدحض شبه المتنبيين في أي زمان ومكان حين يفترون الكذب فيدعون النبوة كما فعل مسيلمة وغيره من الكذابين.

﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ قَالَ رَبِّ اشرح لي صدري ۖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۖ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۖ هَٰرُونَ أَخِي ۖ أَشْدِّدْ بِهِ ۖ أَزْرِي ۖ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ۖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۖ ﴾

بيان الآيات:

﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ لما تهيأت لموسى النبوة بما آتاه الله من الآيات، أمره الله أن يذهب إلى فرعون؛ لإبلاغه الرسالة وهي الإقرار بربوبية الله وألوهيته. ومعنى طغى أي: عصى وتكبر ﴿ قَالَ رَبِّ اشرح لي صدري ﴾ أي: نوره بالإيمان ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ أي: اجعل مهمتي سهلة ويسيرة حتى أبلغ الرسالة ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ والمراد بها العجمة أو اللثغة التي أصيب بها موسى في طفولته ومعنى يفتحوا قولي أي: يدركوه بوضوح، فلا يلتبس عليهم ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ أي: هب لي معاونًا وناصرًا يساعدي على إبلاغ الرسالة ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ﴾ أي: اجعل هذا المناصر أخي هارون

﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ أي: قَوُّ به ظهري ﴿وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: امنن عليه بالنبوة كما مننت علي بها ﴿كَيُّ نُسِجِكَ كَثِيرًا﴾ أي: نسبك ونقدسك ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ أي: نذكرك في صلاتنا وعبادتنا ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: باختيارك لنا للنبوة وإبلاغ الرسالة.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب إبلاغ الرسالة إلى سائر العباد بما فيهم الطغاة؛ لما قد يكون في ذلك من عودتهم إلى الحق أو إقامة الحجة عليهم إذا لم يعودوا إليه. ومنها: وجوب لجوء العبد إلى الله يدعوه أن ينور بصيرته، وييسر له أموره. ومنها: وجوب تسبيح الله وذكره في السراء والضراء؛ لكون ذلك من خصائص العبودية ومقتضياتها.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ (٣٦) ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٣٧) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ (٣٨) ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩) ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾ (٤٠).

بيان الآيات:

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ هذه إجابة من الله لدعاء موسى بأن يشرح صدره وييسر أمره، ويحلل عقدة لسانه، ويرزق أخاه هارون النبوة؛ ليشد أزره، وحين أعطاه الله سؤاله ذكره بما منَّ عليه من قبل في قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ أي: مننا عليك قبل هذا السؤال الذي طلبته وهي نجاتك من شر فرعون حال طفولتك كما قال تعالى ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ أي: ألهمناها بوضعك في التابوت ثم قذفك في الماء، فقد ولد موسى في السنة التي يقتلون فيها غلمان بني إسرائيل خوفا من وجود موسى بينهم، فجعلت له أمه تابوتا - كما سيأتي في سورة القصص - وكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترمي به في النيل، وتشده إلى منزلها بحبل. وفي إحدى المرات ذهب تربط الحبل، فانفلت منها وذهب به الماء فأصابها الغم كما قال تعالى عنها ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ولحكمة الله وقدره ذهب به الماء إلى فرعون ليتربى في بيته كما قال تعالى ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾ وألقيت عليك محبة مني ﴿ أي: جعلت عدوك يحبك رغما عنه ﴾ وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿ أي: تتربى على مرأى

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ والمراد أنه لما استقر في دار آل فرعون عرضوا عليه المراضع فلم يقبلهن كما قال تعالى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ ^(١). فجاءت إليهم أخته وقالت ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ^(٢) أي: هل ترغبون أن أدلكم على مرضعة ترضعه بأجر، وتكون ناصحة له مشفقة عليه؟ فوافقوا على ذلك فذهبت به برفقتهم إلى أمه، فعرضت عليه الرضاع فقبله، ففرحوا بذلك واتفقوا معها على إرضاعه كما قال تعالى ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

وقوله ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ أي: قتلت القبطي ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ والمراد به عزم فرعون على قتله ثم فر منهم إلى بلاد مدين ﴿وَفَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي: امتحناك امتحانا، وابتليناك ابتلاء كبيرا ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ أي: هاربا من فرعون وقومه، وقد لبث هناك يرعى الغنم على إجارة - كما سيأتي ذلك في سورة القصص - إلى أن انتهت مدة هذه الإجارة ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ أي: رجعت إلى مصر في الوقت الذي أردناك فيه لتقوم بالرسالة إلى فرعون وقومه.

(١) سورة القصص من الآية ١٢ .

(٢) سورة القصص من الآية ١٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

من الأحكام في هذه الآيات: أن الله يستجيب سؤال عباده المؤمنين فيهيئ لهم من الأسباب التي تحفظهم وتعينهم على الحياة. ومنها: أن محبة الله للعبد سبيل إلى محبة العباد له، وفيه قول رسول الله ﷺ: -كما سبق ذكره- (إن الله إذا أحب عبداً قال لجبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السموات وأهل الأرض)^(١).

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ٤١ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي﴾ ٤٢ ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ٤٣ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ٤٤ ﴿

بيان الآيات:

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: اخترتك لرسالتي لإبلاغها إلى قومك ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ أي: قم أنت وأخوك هارون بإبلاغ آياتي ﴿وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي﴾ أي: ولا تفترا في ذلك ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ أي: قم أنت وأخوك هارون بدعوة فرعون الذي طغى وتكبر، وحاد الله بادعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ أي: خاطباه برفق وأناة ولطف ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أي: لعله يعود إلى رشده، فيقر بربوبية الله وألوهيته.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، برقم (٢٦٣٧)،

صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٦٦٧٩.

أحكام ومسائل الآيات:

لما أمر الله موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون لدعوته، أمرهما الله أن يتلظفا معه في الدعوة، رغم كونه قد تجاوز بطغيانه إنكار ربوبية الله وادعاءه أنه رب العالمين، وفي هذا توجيه عظيم للدعاة أن تكون دعوتهم إلى الله بالرفق واللين والحكمة كما قال عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٢).

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾^(٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى^(٤٦) فَأُنْيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى^(٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى^(٤٨).

بيان الآيات:

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أي: يعتدي

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

علينا ويعجل بعقوبتنا ويزداد طغيانا وتجبرا ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ أي: لا تخشيا منه أذى، فأنا أسمع كلامه وكلامكم، ولن يستطيع أن يؤذيكما؛ لأنه تحت قهري وتصرفي ونفسي بيدي ﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ أي: قولاً له إنا مُرسلان من ربك لدعوتك إلى الحق والبعد عن الضلال ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ أي: اترك سبيلهم ﴿ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ﴾ أي: ارفع عنهم السخرة والقهر ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: جئناك بمعجزة تدل على نبوتنا وصدقنا، وقيل: إن الآية المرادة العصا، واليد ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ أي: نقول لك السلام عليك إن اتبعت هدى الله وآمنت وصدقت بما جئناك به من البينات. ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ المراد أن الله أوحى إلينا أن الهلاك والخزي في الدنيا والآخرة سيصيب من كذب بآيات الله وأعرض عنها.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دلالة على أن الخوف من العدو من طبيعة البشر، سواء كانوا أنبياء أم غيرهم كما قال عز وجل عن موسى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾^(١). وقوله ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾^(٢).

(١) سورة القصص من الآية ٢١ .

(٢) سورة طه الآية ٦٧ .

وفيهما من الأحكام: أن الله يحرس أوليائه من الأعداء وينصرهم عليهم كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾^(١). ومنها: أن السلام لا يكون إلا لمن اتبع الهدى، وأن من كان على خلاف ذلك لا يستحق الأمن ولا السلام. ومن هذه الأحكام: أن الهلاك يصيب من كذب بآيات الله وأعرض عنها.

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾^(٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى^(٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى^(٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى^(٥٢).

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾ أي: من هو الذي خلقكما يا موسى وهذا إنكار منه لربوبية الله عز وجل كما قال لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾^(٢). ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴾ أي: هو الذي خلق الخلق، وأعطاهم كل ما يحتاجونه في خلقهم من الطعام والشراب والمأوى ﴿ ثُمَّ هَدَى ﴾ أي: هدى الخلق إلى ما يصلح أحوالهم في الدنيا ويدلهم على خيرهم في الآخرة ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ لما ذكر موسى لفرعون أن الله الذي سأل عنه هو خالق

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢) سورة القصص من الآية ٣٨ .

الخلق، ورازقهم، ومدبرهم، وأن عليه أن يعترف برسالة الله حاول أن يتخلص من الجواب فسأل عن حال الأمم السابقة التي كانت تعبد غير الله كقوم نوح، وهود، وصالح، فقال له موسى ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ أي: إن خبرها في اللوح المحفوظ عند الله ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ أي: لا يعزب عن ربي مثقال ذرة، ولا ينسى كبيرة أو صغيرة، فعلمه محيط بكل شيء، وكل أعمال خلقه تحت تدبيره وتصرفه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: وجوب إقناع السائل بالأدلة التي تقطع عليه شكه فيما يسأل عنه. ومنها: مشروعية كتابة العلم كما قال عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١). وقال عز ذكره ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾^(٢). ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾^(٣).

ومن هذه الأحكام: تنزيه الله تعالى عن النسيان، فلا يحتاج إلى كتاب، ولا يغيب عنه شيء مما في الأرض والسموات.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

(١) سورة الأنبياء من الآية ١٠٥ .

(٢) سورة القمر الآية ٥٢ .

(٣) سورة القمر الآية ٥٣ .

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا
 نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ *

بيان الآيات:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ لما سأل فرعون موسى وهارون عن ربهما وأجاباه بأنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأنه لا يضل ولا ينسى، استمر موسى في تذكير فرعون قائلاً بأن ربهما هو الذي جعل لكم الأرض مكاناً آمناً ومستقراً صالحاً لحياتكم ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: جعل لكم طرقاً ومعابر تمشون عليها في إقامتكم وفي سفركم ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: هو الذي أنزل المطر من السماء، وأنبت به لكم أصنافاً من النباتات ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ أي: وجعل لكم هذه النباتات؛ لكي تأكلوا منها كالحبوب، والفواكه، وتأكل أنعامكم الأخضر واليابس من النباتات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ المراد إن في هذه النعم التي امتن الله بها على عباده براهين لذوي العقول؛ ليقروا ويعترفوا بربوبية الله وألوهيته.

قوله ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ أي: إنه عز وجل هو الذي خلقكم من تراب الأرض، ثم يعيدكم فيها بعد

موتكم ثم يبعثكم منها يوم تقوم الساعة للحساب والجزاء ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ المراد به فرعون، فقد بين الله لموسى وأخيه ما أمرهما أن يبلغاه به، لعل في ذلك ما يجعله يتذكر آيات الله ويخشى عقابه، إلا أنه أصر على ضلاله ومعاندته رغم قناعته بما جاء به موسى وأخوه كما قال عز وجل ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتفرد الخالق عز وجل بالربوبية، فهو الذي جعل الأرض سهلة للقرار فيها كما قال عز وجل ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾^(٢). وهو الذي هيا فيها السبل لعباده حتى يمشوا فيها آمنين مطمئنين كما قال عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣). وهو الذي ينزل الماء من السماء؛ لينبت به الزرع والنباتات للحفاظ على حياة خلقه وحياة أنعامهم وهو المتفرد بخلق خلقه، ثم إمامتهم، ثم إحيائهم مرة أخرى.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ

(١) سورة النمل من الآية ١٤ .

(٢) سورة النبا الآية ٦ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٣١ .

بِسِحْرِ مِثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴿٥٩﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ هذا قول فرعون لموسى لما رأى ما معه من الآيات، والمراد أن ما جئت به يا موسى هو سحر، تريد أن تستولي به على عقول الناس، فتخرجنا من أرضنا، لتكون لك الغلبة فيها ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ ﴾ أي: طالما أنك تريد ذلك بسحرك فسوف نأتيك بسحر مثله ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴾ هذا قول فرعون لموسى، والمراد حدد لنا يوما نلتقي فيه، ولا نخلفه نحن ولا أنت، ويكون هذا الموعد في مكان بين الناس حتى يروا معارضتنا لك، فحدد موسى عليه السلام الموعد بيوم الزينة ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ ﴾ أي: يوم عيدهم، وهو اليوم الذي يجتمع فيه القبط، ويلبسون زينتهم، ويتباهون فيه ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ أي: يأتون جميعهم لحضور هذا العيد في أول النهار وضحوته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: دليل على اهتمام الناس بالسحر منذ القدم. وفيها: دليل على وجود الصراع بين الحق والباطل منذ الأزل وفيها: أيضا دليل على تحديد المواعيد وأهميتها.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ ٦٠ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ۝

بيان الآيات:

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ لما حدد موسى عليه السلام يوم المباراة بينه وبين سحرة فرعون، ذهب فرعون لجمع كيده، وهم السحرة من أنحاء مصر ليوم المباراة كما قال عز وجل بأنه قال لخاصته ﴿ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ (١). ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ أي: جاء إلى الاجتماع للمباراة، ومعه خاصته وقومه، ثم جاء موسى ومعه أخوه هارون، ولا يملك موسى إلا عصاه، ولما رأى أن فرعون يحث السحرة، ويشجعهم، ويعددهم بالأجر العظيم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَآءِجِرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٢). ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٣). عندئذ قال موسى لفرعون والسحرة ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: ويل لكم، لا تكذبوا على الله وتضلوا

(١) سورة يونس من الآية ٧٩ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١١٣ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١١٤ .

الناس بسحركم ﴿فَسُحِرْتُمْ بِعَذَابٍ﴾ أي: يهلكم بعذاب من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ أي: خسر وهلك من يفتري الكذب على الله ﴿فَنَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم السحرة، فقد تشاجروا فيما بينهم عما إذا كان موسى نبياً حقاً، أم أنه مجرد ساحر ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: تناجوا سراً بينهم، واتفقوا على أن موسى وأخاه هارون ساحران كما قال عز وجل ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ أي: إن هذين الساحرين متمكنان من السحر، وعلمه، وصناعته، وهدفهما هو إخراجكم من أرضكم بعد أن يستوليا بسحرهما على عقول العامة ﴿وَيَذَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: إنهما بسحرهما سوف يفسدان دينكم ويسلبانكم ما أنتم فيه من الشرف، والجاه، والنعمة، وفي هذا دليل على مكانة السحر في مصر والتعامل به آنذاك ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا﴾ أي: احزموا أمركم وكونوا يدا واحدة، ولا تختلفوا حتى تتمكنوا من هزيمة موسى وأخيه ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ أي: إن من يفوز في هذا اليوم، فإنه سيعلو وستكون العزة والغلبة له على مدى الدهر.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بتحريم الكذب على الله، وأنه ظلم عظيم لقوله عز وجل ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ

النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١﴾. وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾. ﴿مَتَّعُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾.

ومن هذه الأحكام: تحريم استنفار الناس بحجة الدفاع عن الدين أو الأرض، بينما المراد الدفاع عن مصالح فردية؛ ذلك أن هم السحرة حصولهم على الأجر مقابل سحرهم، والخشية من فقد نفوذهم.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿٦٩﴾.

بيان الآيات:

﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ أي: قال السحرة لموسى ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾ أي: تبادر بإلقاء سحرك أمام مشهد الناس ﴿وإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ أي: نقوم بإلقاء ما لدينا قبلك ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ أي: ألقوا أولا ما عملتموه، وما صنعتموه من السحر، فآلقوه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٤.

(٢) سورة النحل من الآية ١١٦.

(٣) سورة النحل الآية ١١٧.

وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿١٦﴾ وكانوا سبعين ساحرا من عتاة السحرة في مصر، فألقى كل واحد منهم عصاه المملوطة بالزئبق، فلما تعرضت لحر الشمس اهتزت وتمايلت، فخيّل لموسى أن الأرض قد امتلأت حيات تسعى على بطونها، فأحس بالخوف كما قال عز وجل عنه ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿١٧﴾ فأوحى الله إليه بقوله ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١٨﴾ أي: لا تخش ما رأيت فأنت الذي ستغلبهم وتنتصر عليهم.

﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ ﴿١٩﴾ أي: اطرَح على الأرض ما في يمينك وهي عصاه، فألقاها فإذا هي عبارة عن تِنِّين ضخم يسير بسرعة نحو حبال السحرة وعصيتهم فتلتهمها واحدة بعد أخرى والسحرة ينظرون إليها مشدوهين، والناس يتعجبون مما رأوا، فتبين لهم صدق نبوة موسى وأخيه، كما تبين لهم أن ما فعله السحرة زيف لا قيمة له، وأن الساحر لا يحقق مقاصده وأهدافه، ولهذا قال عز وجل ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿٢٠﴾

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الخوف من طبائع البشر يستوي في ذلك النبي وغيره. الحكم بأن الله ينصر أنبياءه ورسله على أعدائهم. ومن الأحكام: تقرير أن السحر تخيل يستخدم فيه الساحر أساليب الشياطين وتزييفهم.

ومنها: تحريم السحر بكل أصنافه وصناعاته. ومنها: أن الساحر لا يفلح في أي عمل يعمل؛ لأن كل شيء حرمه الله يمحقه ويبطله.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾

بيان الآيات:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ لما رأى السحرة ما فعلته العصا التي ألقاها موسى أدركوا أن هذا ليس سحرا، وإنما هو من قدرة الله وصنعه، فعند ذلك خروا لله سجدا مؤمنين بما جاء به موسى ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ قال فرعون للسحرة منكمرا فعلهم: لقد صدقتم موسى قبل أن أمركم بذلك، ولما رأى أنه أسقط في يده توجه إليهم يتهمهم ويؤنبهم بقوله ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أي: إن موسى رئيسكم الذي تعلمتم السحر على يديه، ونظيره قوله

في الآية الأخرى ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١).

قوله ﴿فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ هذا تهديد من فرعون للسحرة بأنه سوف يعذبهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم ويصلبهم على جذوع النخل ليراهم الناس ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أي: سترون من هو الذي سوف يعذبكم هل هو رب موسى كما زعم أم أنا الذي أتحكم فيكم؟ ولما سمع السحرة التائبون تهديده ووعيده ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أي: لن نختارك على الهدى والعلم اليقين الذي جاء به موسى من عند الله، ولن نختارك على الله الذي خلقنا ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: احكم فينا بما تشاء، وفي هذا دلالة على صدق إيمانهم بحيث لم يعودوا يهتمون بأي عقاب يعاقبهم به ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إن سلطتك وقوتك في هذه الحياة الدنيا فقط؛ أما الآخرة فهي عند الله القادر عليك والقاهر لك ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ أي: صدقنا بالله ووحدناه، فلا نشرك به ولا نفعل ما حرمه ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ وندعوه أن يغفر لنا ما أكرهتنا عليه من صنع السحر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

(١) سورة الأعراف من الآية ١٢٣ .

أي: هو الخير ولديه الخير، وهو أبقى لنا بما نؤمله في ثوابه.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الحكم بأن على المؤمن ألا يؤثر الكافر أو يحابييه على حساب إيمانه؛ لأن الإيمان والكفر ضدان، فمن يؤثر أحدهما على الآخر يوصف به. وفيها: أن الطاغية يستطيع أن يتكبر في الدنيا فيقتل من يشاء ويعذب من يشاء، ولكن طغيانه يرتد عليه إما بتعجيل العقاب له في الدنيا كما حصل لفرعون، ناهيك عن عذابه في الآخرة! أو تأجيل العذاب له في الآخرة. وفي هذه الآيات أيضاً: دليل على قبول توبة الساحر إذا صدق فيها.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾

بيان الآيات:


﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ لعل هذا من قول السحرة لفرعون يذكرونه ويعظونه بعد تهديده ووعيده لهم والمراد أن من يلقي الله وهو مرتكب للشرك والسحر والظلم ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾

أي: لا هو بميت موتاً أبدياً يستريح فيه من العذاب ولا هو بحي، يحيا حياة طيبة، بل هو كما قال عز وجل عن أهل جهنم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(١).

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: ومن يلقي الله وهو مؤمن به مصدق لما جاء به رسوله وعمل الأعمال الصالحة الواجبة عليه ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ المراد بها المنازل العالية من الجنة التي يجزي الله بها الذين زكوا أنفسهم بالتقوى والإيمان وطهروها من المعاصي. ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: إن لهم هذه الجنات بما فيها من النعيم وذلك جزاء إيمانهم وتزكية نفوسهم بمحبة الله وطاعته.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير الوعيد للمجرمين بالعذاب، وأنهم لا يموتون موتاً نهائياً يستريحون فيه من العذاب ولا هم يحيون حياة طيبة. ومن الأحكام: تقرير أن الدرجات العليا من الجنة للمؤمنين الذين حصنوا أنفسهم بعمل الصالحات.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾  فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ

(١) سورة فاطر من الآية ٣٦ .

فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ في هذا بيان من الله تعالى أنه أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل بعد أن أبى فرعون إرسالهم معه، فلما علم فرعون بذلك جمع الجند وأرسل في طلبهم، وكان أمام موسى ومن معه البحر وفرعون من خلفهم فأوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر، فضربه بعصاه، فانفلق إلى قسمين كما قال عز وجل ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(١). أي: كالجبل الكبير، فأرسل الله الريح إلى أرض البحر فجففته فصار يابسا كما قال عز وجل ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا﴾ أي: لا تخف أن يلحق بك فرعون وجنده ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أي: ولا تخش أذى من البحر.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ أي: سار وراءهم هو وجنده؛ لكي يلحق بهم ويردهم إلى مصر ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: غطاه ومن معه البحر ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: أبعد قومه ومن معه عن طريق الرشاد وسلك بهم طريق الضلال وهو تكذيب ما جاءه من عند الله .

أحكام ومسائل الآيات:

استحباب السير في الليل للتعمية على العدو. ومن الأحكام: عدم

(١) سورة الشعراء من الآية ٦٣ .

الخشية، أو الخوف إلا من الله، وإن كان من الواجب أخذ الحيطة والحذر من مكاييد العدو. ومنها: أن القائد الذي يتبع هواه ويعرض عن الحق يضل قومه؛ لأنهم يتبعونه، ويتحمل أوزارهم مع وزره كما قال عز وجل ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾^(٨٠) ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾^(٨١) ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨٢).

بيان الآيات:

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾ أي: منَّا عليكم يا بني إسرائيل حين أنجيناكم من فرعون ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ أي: منَّا عليكم وعلى موسى بإعطائه التوراة حين سار عن يمين الجبل ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ أي: أنزلنا عليكم الحلوى، وأنزلنا عليكم الطير الذي تأخذون منه حاجتكم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ المراد أن هذه المنن التي امتن الله بها عليكم، يجب

(١) سورة العنكبوت الآية ١٣.

أَنْ تَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَلَا تَطْغَوْا فِيمَا أُعْطَاكُمْ ﴿فِيحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾
 أي: إن طغيتم بهذه النعم ولم تشكروني عليها تعرضتم لغضبي
 وسخطي ﴿وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: شقي وخسر.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ هذا عهد
 من الله لعباده أن يتوب على من ارتكب المعاصي بما فيها الشرك ثم
 تاب منها وآمن بالله واستقام على إيمانه وعمل الصالحات في حياته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام عدة: منها: تحريم الطغيان، ووجوب شكر
 نعم الله على خلقه، والوعيد لمن كفر بها كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ
 تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
 لَشَدِيدٌ﴾^(١). ومنها: عهد الله لعباده أن من تاب منهم من المعاصي
 كالشرك أن يتوب عليه إذا آمن واستقام على إيمانه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ قال هم أولاء على
 أخرى وعجلت إليك رب لترضى ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
 وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فرجع موسى إلى قومه، غضبن أسفاً قال
 يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ

(١) سورة إبراهيم الآية ٧ .

أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا
 أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا
 فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا
 هَذَا إِلَهُهُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا
 وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

بیان الآيات:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ قيل إن موسى عليه السلام لما اقترب من الطور لسماع كلام الله وتوجيهه له اشتاق إلى ذلك فاستعجل عن بني إسرائيل، وذهب وحده، فلما وقف أمام ربه قال الله له لماذا عجلت وتركت بني إسرائيل؟^(١) ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ أي: سيأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي: استعجلت إلى لقائك شوقا إليك، وطلبا لرضاك ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي: امتحناهم؛ لنعرف مدى صدقهم في إيمانهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ قيل: إن المراد به رجل من القبط، كان جارا لموسى آمن به وخرج معه وقيل: إنه زعيم من زعماء بني إسرائيل، وقيل: إنه من قوم كانوا يعبدون البقر^(٢) والمراد أنه أضلهم حين وضع لهم عجلا يعبدونه ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ أي: رجع إلى

(١) تفسير البغوي ص ٨٢٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص ٩١٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٢٣٣-٢٣٤.

بني إسرائيل وهو حزين على ما حدث منهم قال ﴿يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: لم يعدكم ربكم أنكم إذا آمنتم وصدقتم واتبعتم ما جاءكم من عند الله أنه سيثيبكم على عملكم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي: هل نسيتم ما قيل لكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: أردتم أن تعصوا الله؛ ليكون ذلك سببا لغضبه عليكم وانتقامه منكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ أي: أنكم أخلفتم ما وعدتموني به من الاستقامة على طاعة الله وترك معصيته.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ أي: قال له بنو إسرائيل جوابا على أسفه وغضبه: ما أخلفنا ما وعدناك به بقدرتنا واختيارنا ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا﴾ لما تركهم موسى عليه السلام على أثره، وتركهم تحت قيادة أخيه هارون ليسيروا إلى الطور لعب السامري بعقولهم فقال لهم: هذا الحلي الذي أخذتموه من القبط حرام عليكم، ثم حفر لهم حفرة، وقالوا: ألقوا الحلي فيها ففعلوا ثم أوقد نارا في الحفرة ليحترق الحلي، ثم صنع لهم منه عجلا، فألقى فيه أثرا من تراب حافر فرس جبريل، فأخرج لهم منه جسداً، له خوار أي: صوت وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ قيل إن خواره كان بسبب الريح، فكان له خروق؛ فإذا دخلت فيه الريح صار له صوت فظنوه حقيقة فعندئذٍ تحادثوا

بينهم وقالوا ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ أي: إلهكم أنتم وإله موسى الذي نسي فلم يعرف الطريق فاعبدوا هذا العجل حتى يرجع موسى.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ أي: أفلا يعقلون ﴿أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: أنه لا يتكلم، ولا يرد لهم قولاً إذا كلموه ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا ضرر منه، ولا نفع له، بل هو مجرد جماد فكيف يعبدونه مما يدل على سفه عقولهم وضلالهم وجهلهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها: ذم العجلة ونظيره قول الله عز وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢). ومن السنة: قول رسول الله ﷺ: (العجلة من الشيطان)^(٣). وإذا كانت العجلة مذمومة من حيث العموم، فهي في حق القائد أشد، إلا أن عجلة موسى عليه السلام كان لشدة شوقه إلى كلام الله، وما حدث من بني إسرائيل من عبادتهم العجل بعد ذهابه عنهم كان بسبب عصيانهم؛ فهم الملومون.

(١) سورة طه من الآية ١١٤.

(٢) سورة القيامة الآية ١٦.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم (٢٠١٢)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٢٢.

ومن هذه الأحكام: ذم إخلاف الوعد، بل وتحريمه وهو من علامات النفاق لقول رسول الله ﷺ: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان) الحديث^(١). ومنها: وجوب الغضب عند فعل المحرمات، ولهذا لعن الله من بني إسرائيل الذين كانوا لا ينكرون المعاصي، ولا يغضبون لله عندما تنتهك حرماته كما قال عز وجل ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢). وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)^(٣).

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾^(٤) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٩﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٠٠﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٠١﴾ قَالَ يَبْنَومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٠٢﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ١١١.

(٢) سورة المائدة الآية ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم (٤٣٣٨)، سنن أبي داود ج ٤ ص ١٠٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٤٠٠٥)، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٧.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ لما كان هارون هو الخليفة عليهم بعد غياب موسى عنهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل قال لهم ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي: هذا الذي تعبدونه، إنما هو فتنة ابتليتكم بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إن هذا ليس ربكم ولا إلهكم، إن ربكم هو الله الرحمن الذي خلقكم وأمركم بعبادته وحده ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ أي: اتبعوا ما أقوله لكم ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ أي: لا تعصوني فيما أمركم به ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ أي: سنكون عاكفين على عبادته ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ أي: يعود من سفره فنرى رأيه، ولما سمع هارون منهم ما سمع اعتزلهم هو ومن اتبعه.

﴿قَالَ يَهْرُونَ مَآ مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ هذا بيان من الله تعالى يخبر فيه أن موسى لما رجع إلى قومه، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل غضب على أخيه هارون، وكيف تحولت حال قومه إلى الشرك بالله وقد سبق ذكر ما قصه الله عز وجل في سورة الأعراف عن هذا الغضب بقوله ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾^(١). ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ أي: لماذا لم تنفذ وصيتي؟ ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو قوله ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٠ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٤٢ .

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ ﴾ أي: ابن أُمي؟ وهذا من الرقة في الاعتذار ومناداته باسم أمه أدعى لحنانه عليه، مع أنه شقيقه ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ أي: لا تمسك بلحيتي ولا بشعري، وكان موسى قد فعل ذلك بأخيه حين تملكه الغضب غيرة لله عز وجل.

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ هذا قول هارون لأخيه، أي: خشيت أن أخرج لألحق بك وأتركهم فيتبعني قوم منهم ويتخلف آخرون فتقول شئت بني إسرائيل ﴿ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ أي: لم تعمل بوصيتي.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها أن الأمم تفتن في دينها ليرى الله مدى قوتها وصبرها وثبات عقيدتها كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ ^(١). وتكون الفتنة في الدين، إما بالتلبيس على الأمة من أعدائها ومحاربتهم لدينها أو بما يحدث فيها من داخلها كما قال عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ^(٢).

ومن الأحكام: مشروعية لوم من يُعتقد تقصيره فيما أسند إليه

(١) سورة التوبة الآية ١٢٦ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ٥٣ .

من عمل كما فعل موسى مع أخيه هارون، ومشروعية اعتذار المتهم بالتقصير، وإبداء الأسباب التي تؤدي إلى قبول عذره كما فعل هارون مع أخيه.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ٩٥ ﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ٩٦ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ٩٧ ﴿ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ٩٨ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴾ هذا بيان من الله عز وجل أن موسى قال للسامري: (وقد تقدم ذكره) ما الذي دعاك إلى أن تفعل ما فعلته من الإثم العظيم؟ ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ أي: قال السامري لموسى: رأيت ما لم يروا، فقد رأيت جبريل لما جاء لإغراق فرعون ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ أي: من أثر فرسه ﴿ فَنَبَذْتُهَا ﴾ أي: ألقيتها على الحلي الذي صنع منه العجل، فصار له صوت ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ أي: حسنت لي نفسي هذا

العمل ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوَةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ ﴾
 أي: اذهب في الأرض، لا تمس الناس ولا يمسونك، فمن مسسته
 ضررته، ومن مسك ضرك، وذلك عقابا لك على ما فعلت من مس أثر
 جبريل ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ﴾ أي: يوم القيامة، فتحاسب أشد
 الحساب على ما فعلت.

﴿ وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ أي:
 انظر إلى العجل الذي أقمت عليه عاكفا، سوف نذيبه بالنار حتى يتفتت
 ﴿ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ أي: نذره في البحر بعد إحراقه
 وتفتيته ﴿ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: إن الله فاطر
 السموات والأرض وخالق الخلق ومدبر الكون ومصرفه هو إلهكم،
 وليس العجل الذي صنعتموه بأيديكم ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي:
 أحاط بكل ما في الوجود كما قال عز ذكره ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي
 كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(١).

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات عدة مسائل وأحكام: منها: وجوب سؤال المتهم
 بالجرم عن التهمة الموجهة إليه؛ لمعرفة أسباب فعله. ومنها: تحريم

(١) سورة سبأ من الآية ٣ .

الهوى الذي تسوله النفس لصاحبها وكون الهوى يتحول إلى إله يعبد كما فعل ذلك السامري، وشاهده قول الله عز وجل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (١).

ومنها: وجوب عزل المجرم عن الناس تأديبا له، وقد يكون هذا العزل طيلة حياته. ومن هذه الأحكام: وجوب تحريق الأصنام والأوثان، إهانة لها وعقابا لأصحابها، وقد كسر رسول الله ﷺ الأصنام لما دخل الكعبة وكان يقول ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٢). ومن هذه الأحكام: تقرير ألوهية الله وحده وأن كل ما عداه باطل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ﴾ (٩٩) ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠) ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ (١٠١) ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا﴾ (١٠٢) ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١٠٣) ﴿ثُمَّ نَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١٠٤).

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ برقم (٤٧٢٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٢، والآية في سورة الإسراء الآية ٨١ .

بيان الآيات:

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ هذا بيان من الله تعالى
 لنبيه ورسوله محمد ﷺ أنه قص عليه خبر موسى وما حدث لقومه
 كما قص عليه أخبار الأمم السابقة ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾
 أي: أنزلنا عليك القرآن، فيه القصص والأحكام ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ
 يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ أي: من تولى عنه وعن اتباعه وتحكيم ما فيه
 فسوف يأتي يوم القيامة، وهو يحمل الإثم العظيم ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾
 أي: لا مناص له من هذا الإثم الذي يعاقب عليه أشد العقاب ﴿وَسَاءَ
 لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ أي: تعس الحمل الذي يحمله يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ المراد به القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل؛
 ليقوم الناس من قبورهم؛ متجهين لرب العالمين.

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي: تكون عيونهم زرقا من شدة
 ما يشاهدون من الحساب والعقاب ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي:
 يسر بعضهم لبعض يقولون ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: إن المدة التي
 لبثتموها في الدنيا عشر ليال، وهذا على طريق التقليل لا على طريق
 التحديد ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: نعلم تناجيهم ﴿إِذْ يَقُولُ
 آمَلُوهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: عاقلهم ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: إن مكثكم في

الدنيا ليس إلا كيوم واحد، ولو كنتم على بصيرة وعقل لعملتم للآخرة؛ لأنها الدار الباقية.

أحكام و مسائل الآيات:

في هذه الآيات أحكام ومسائل عدة: منها: الحكم بأن القرآن ذكر ينتفع به الذاكرون؛ لأنه كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن من أعرض عنه، فالنار موعده كما قال الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾^(١). الحكم بأن إسرافيل سوف ينفخ في الصور؛ ليقوم الناس لربهم، لا ينفعهم سوى إيمانهم كما قال عز وجل ﴿فَلَا أَنْصَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ١٠٩ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، ١١٠ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ١١٢﴾.

(١) سورة هود من الآية ١٧ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٠١ .

بيان الآيات:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ أي: يسألك - يا محمد - المشركون عن حال الجبال عند قيام الساعة فقل لهم ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أي: يحطمها فتكون هباء ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أي: يجعل الأرض مستوية لا جبال فيها ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ أي: لا ترى في الأرض منعطفًا أو مرتفعًا أو منخفضًا ﴿يَوْمَ يَذِيَّتَبْعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: يتبعون الداعي الذي يدعوهم إلى الحشر، ليقوموا لرب العالمين لا يترددون في مناداته، كما كانوا يترددون في الاستجابة لمن كان يدعوهم إلى الإيمان في الدنيا ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: سكنت وسكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي: لا تسمع إلا صوتًا خافتًا.

﴿يَوْمَ يَذِي لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: يوم القيامة لا يشفع أحد لأحد إلا من يأذن له الرحمن ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: رضي قوله، وهو شهادة ألا إله إلا الله مخلصا فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم سر خلقه وعلاانيتهم، ويحيط بحياتهم وموتهم وأرزاقهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أي: لا أحد من خلقه يحيط بعلمه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: خضعت ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: الدائم القائم على تدبير خلقه ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي:

خسر وهلك من أشرك بالله أو ظلم أحدا من خلقه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ المراد أن من يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله مصدق بما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي: لا يخاف أن يزداد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: لا يخاف أن يبخر شيء من حسناته.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: الجواب عن سؤال المشركين عن حال الجبال بعد قيام الساعة، وأنها تتناثر كالهباء، وتصبح الأرض قاعا متساويا. وفيها: الحكم أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن يأذن الله له فيها، سواء كان طالب الشفاعة ملكا، أو نبيا، أو رسولا كما قال عز وجل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٢). وقوله تقدست أسماؤه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٣). وفي حديث الشفاعة الطويل: قال رسول الله ﷺ: (.. فأقول: أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامداً أحمد به لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٢٨ .

(٣) سورة النبأ الآية ٣٨ .

وأخر له ساجد فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا ربّي أمتي أمتي (١).

وفي هذه الآيات: الحكم بخسارة وهلاك من يأتي يوم القيامة وهو ظالم. وفيها: أن من يأتي يوم القيامة وهو مؤمن لا يخشى من أن تزداد سيئاته ولا يخشى أن تبخس حقوقه؛ لأن الله قد حكم على نفسه بالعدل كما قال عز وجل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٢).

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (١١٣) ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤).

بيان الآيتين:

﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ لما ذكر الله حال الخلائق بعد قيام الساعة وأنهم يأتون إلى الله خاضعين له، وأن أحدا منهم لا يشفع لأحد إلا بعد أن يأذن الله له بين عز وجل أنه أنزل عليهم في حياتهم القرآن، فيه بشارتهم ونذارتهم كما قال عز ذكره ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: بينا لهم فيه العقاب، لعلهم يخافون الله ويتقونه ويجتنبون معاصيه ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: يكون لهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم (٧٥١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٤٨١.

(٢) سورة الكهف من الآية ٤٩.

فيه موعظة وعبرة ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي: تقدر على ما أنعم به على خلقه من بشارتهم بالثواب إذا اتقوه وما أنعم به عليهم من النذارة حتى لا يعصوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ في هذا تربية وتعليم لرسول الله ﷺ كيف يتلقى القرآن حين ينزل عليه، فلا يتعجل بقراءته قبل أن ينتهي جبريل من تعليمه له، ليكون ذلك أدعى وأتقن لحفظه. وقوله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: لا تعجل بقراءته قبل أن ينتهي جبريل من قراءته عليك. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي: فهما.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين: بيان بأن القرآن نزل بلسان عربي فيه البشارة للخلق بحسن الجزاء إذا اتبعوه، وفيه النذارة من العقاب إذا أعرضوا عنه. وفيها - كما سبق ذكره - تعليم لرسول الله ﷺ ألا يتعجل بقراءة القرآن قبل أن يكمله له جبريل عليه السلام كما قال عز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١). ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٢). ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ قُرْآنَهُ﴾^(٣). ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٤). وهذا يقتضي عدم

(١) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .

(٣) سورة القيامة الآية ١٨ .

(٤) سورة القيامة الآية ١٩ .

العجلة في قراءة القرآن، بل يجب التأني فيها من أجل التدبر في أحكامه وأوامره ونواهيه، وأن يسأل العبد ربه أن يرزقه فهم القرآن.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝١١٥
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۝١١٦
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ
فَتَشْقَى ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا تَضْحَى ۝١١٩ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ
أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ
لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ
رَبَّهُ فَغَوَى ۝١٢١ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝١٢٢﴾

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسَىٰ﴾ أي: أمرناه ألا يأكل من الشجرة فنسي ما أمر به ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي: لم يصبر عن الأكل من الشجرة، وفي هذا بيان لرسول الله ﷺ أن الشيطان كما أغوى آدم حريص على إغواء ذريته ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وهذا أيضا بيان من الله جل وعلا عن أمره للملائكة السجود لآدم تكريما له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ أي:

استكبر عن السجود ﴿ فَقُلْنَا يَتَّعَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾
 أي: إنه يناصرك العداء أنت وزوجك حواء ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ في هذا نهى لآدم عن طاعة إبليس فيما يوسوس له به لإخراجه من الجنة؛ لأنه إن فعل ذلك، فسوف يشقى في الدنيا لطلب رزقه فيها، بينما هو منعم في الجنة كما قال عز وجل ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ أي: لن يمسك فيها جوع ولا عري، وذلك خلافاً لأهل الدنيا الذين قد يتعرضون لذلك ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾ الضحاء: شدة وهج الشمس أي: لا تعطش فيها ولا تصيبك فيها شمس ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ أي: داخله بغروره ﴿ قَالَ يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ أي قال له: سوف أدلك على الشجرة التي يخلد في الجنة من أكل منها ﴿ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ أي: لا يفنى، وأقسم له أنه ما قال ذلك إلا نصيحة له ولزوجه كما قال عز وجل ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (١). ﴿ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ (٢).

قوله ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لهُمَا سَوْءَتُهُمَا ﴾ أي: انكشفت عورتها حين ذهب عنهما النور الذي كان يسترهما ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا ﴾

(١) سورة الأعراف الآية ٢١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٢٢ .

مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴿٣٧﴾ أَي: أسرعا إلى ورق الشجر الذي كان بجانبهما فأخذا
يضعانه على عورتيهما سترا لها ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ أَي: غوى،
بسبب الأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ
فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أَي: اختاره وهداه للتوبة وعلمه كيف يتوب كما
قال عز وجل ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ
الرَّحِيمُ﴾ (١). كما سبق ذكره.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات بيان وأحكام: أما البيان فهو ما قصه الله على نبيه
ورسوله محمد ﷺ عن آدم وما زينه له الشيطان. وأما الأحكام: فمنها:
أن العهد لازم لمن عهد إليه ممن هو أكبر منه كما أنه لازم لمن قبل به
طوعية، ولا يسقط هذا العهد إلا النسيان كما قال عز وجل ﴿فَنَسِيَ﴾
وقول رسول الله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان..)
الحديث (٢). ومنها: تقرير عداوة إبليس لآدم وذريته، ووجوب الحذر
من وسوسته. ومن هذه الأحكام: وجوب ستر الرجل والمرأة عورتهما
كما قال تعالى ﴿يَبْنِيٰٓ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَ تِكُمْ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة الآية ٣٧ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٤٣)، سنن ابن ماجة
ج ٢ ص ٦٥٩ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٢٦ .

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ هذا أمر من الله لآدم وحواء بالهبوط إلى الأرض بعد أن خرجا من الجنة ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي: أصبح إبليس عدواً لكم هو وأتباعه وأنتم وذريبتكم أعداء له ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ أي: إذا أتاكم مني كتب ورسول ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ أي: لا يضل عندما يكون في الدنيا، ولا يضل عندما يؤول إلى الآخرة ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي: من تولى عن القرآن، وعما أمرته به، وعصى رسولي ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي: حياة ضيقة وعسيرة لا ينعم فيها بالإيمان، ولا يطمئن فيها قلبه باليقين كما هو حال الكفرة والظلمة الذين يشعرون في أنفسهم بالضيق وعدم السعادة في أنفسهم وذرياتهم، رغم ما قد يكونون فيه من وفرة المال وقوة الجاه، وهذا خلاف المؤمنين الذين تطمئن قلوبهم

بذكر الله ويشرح الله صدورهم بالإسلام كما قال عز وجل ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١). وقوله ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ أي: عديم البصر والبصيرة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ أي: لماذا حشرتني يارب عديم البصر، بينما كنت في الدنيا مبصرا فيجيبه الله بقوله ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا﴾^ط أي: جاءك الحق والدلائل والبراهين من عندنا فأعرضت عنها وتناسيتها عمدا ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي: وجزاء لك في هذا اليوم سوف تنسى من ثواب الله ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي: ومثل هذا الجزاء لمن تناسى آيات الله سوف يجزى كذلك من أسرف بارتكاب ما حرمه الله ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِٖ﴾ أي: التي نهته عن ذلك ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي: أشد ألما من عذاب الدنيا.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: بيان من الله جل ثناؤه أن من اتبع هداه يذهب عنه الضلالة والشقاء، وأن من أعرض عن ذكره سوف يحشر يوم القيامة فاقد البصر والبصيرة. وفيها: حكم الله أن من أتته آيات الله وتولى

(١) سورة الزمر من الآية ٢٢ .

(٢) سورة الرعد من الآية ٢٨ .

عنها متناسيا لها سوف يُنسى من ثواب الله ورحمته، وسيكون هذا الجزاء كذلك للذي أسرف بارتكاب ما حرمه الله عليه.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَكَانَ لِرِزَامًا وَاجِلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

بيان الآيات:

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي: ألم يبين للمشركين في مكة ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا
قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ الذين ﴿ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ ﴾ أي: يمشون عليها في
سفرهم، ويرون كيف أهلكناهم كعاد، وثمرود، وغيرهم من الأمم التي كذبت
رسلها فحق عليهم الهلاك فلم يبق لهم باقية ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
النُّهَى ﴾ أي: أهل العقول السليمة الذين يتدبرون ويفكرون ويعتبرون
بمن سبقهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَاجِلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي:
لولا أن حكمة الله وكلمته اقتضت ألا يعذب أحداً إلا بعد أن تقوم الحجة
عليه وأن ينتهي أجله لكان من اللازم أن يعاجله الله بالعذاب ﴿ فَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ هذا أمر من الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ أن يصبر على
ما يسمعه من أقوال قومه إنه ساحر وكاهن وشاعر وكذاب.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ المراد به صلاة الصبح
 ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ أي: صلاة العصر؛ لما رواه جرير بن عبد الله البجلي
 رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر
 ليلة أربع عشر فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون
 في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
 غروبها فافعلوا) ثم قرأ هذه الآية^(١). ﴿وَمِنْ أَمَّا أَيْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ أي:
 العشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المراد الظهر والمغرب ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾
 أي: لعلك تؤجر على هذه الأعمال بما ترضى به.

أحكام ومساائل الآيات:

في هذه الآيات عدة أحكام: منها: وجوب التفكير فيما سبق من
 الأمم التي أهلكت بسبب ذنوبها، وقد مدح الله المتفكرين في آيات
 من كتابه العزيز في قوله جل شأنه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢). ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣).
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٤).

ومنها: وجوب الصبر، وتحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله كما قال

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
 غُرُوبِهَا﴾ برقم (٤٨٥١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٨ ص ٤٦٢.

(٢) سورة النحل من الآية ١١.

(٣) سورة النحل من الآية ١٢.

(٤) سورة النحل من الآية ١٣.

عزوجل ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١). وقوله عز ذكره ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٢). ومنها: وجوب أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وهي: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، والتوكيد على صلاتي الصبح والعصر، كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي الأنفي ذكره.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٣) وَأَمْرًا هَلَكًا بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٤).

بيان الآيتين:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ أي: لا تتطلع إلى ما عليه المشركون من متع الحياة الدنيا ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ المراد به الأغنياء منهم إذ إن ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فانية إنما متعناهم بها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنبتليهم ونرى هل يشكرون الله ويصدقون بآياته ورسوله أم يكفرون فتقوم الحجة عليهم؟ فعندئذٍ يحق عليهم العذاب إن لم يؤمنوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ هذه تحتمل معنيين للرزق أولهما: رزق الدنيا وهو ما وعد الله به رسوله من الفتح المبين والغنائم، ورزق الآخرة هو ما عند الله يوم القيامة جزاء الصبر على الإعراض عن متاع الحياة الدنيا وزينتها، وهو ما سلكه رسول الله عليه الصلاة والسلام في حياته فكان كثيرا ما

(١) سورة الأحقاف من الآية ٣٥ .

(٢) سورة المعارج الآية ٥ .

يبيت وليس في بيته إلا قليل من التمر والماء، وكان يحزم أحياناً بطنه من الجوع زهداً في الحياة الدنيا. ولما طرحت الغنائم بين يديه لم يقم من مجلسه إلا بعد أن فرقها دون أن يبقى لنفسه منها شيئاً.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: يجب عليك أن تأمر أهلك والمؤمنين بإقامة الصلاة فهي من أعظم أركان الدين وفيها الخير والفلاح لهم. ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: إذا أقمت الصلاة فإن الله يتكفل برزقك من حيث لا تحتسب. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: إن العاقبة والعزة في الدنيا والآخرة للمتقين.

أحكام ومسائل الآيتين:

في هاتين الآيتين عدة أحكام: منها: عدم النظر إلى متاع الحياة الدنيا وعدم التعلق بها أو التنافس فيها؛ لكونها مجرد زينة زائلة. ومنها: أن هذا المتاع قد يكون مجرد فتنة يفتن به المرء؛ ليرى هل يشكر الله على ما أعطاه أم يكفر به؟ فتكون عاقبته الخسران والهلاك. ومن هذه الأحكام أنه يجب على المسلم أمر أهله وخاصته بالصلاة كما قال عز وجل ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١). ومنها: أن الله قد تكفل برزق من اتقاه، وشاهده قوله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٢). ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

(١) سورة التحريم من الآية ٦ .

(٢) سورة الطلاق من الآية ٢ .

يَحْتَسِبُ ﴿١﴾. وفي الحديث: (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة) ﴿٢﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ
الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾
قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ
وَمَن أَهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ﴾ هذا بيان من الله تعالى عن قول المشركين في مكة هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صدقه كما فعل ذلك الأنبياء من قبله ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ أي: ألم يأتهم ما في الكتب السابقة التوراة والإنجيل بما يدل على نبوته ورسالته وصدقه ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ أي لو أهلكناهم قبل إرسال محمد إليهم ونزول القرآن عليه مصدقا له

(١) سورة الطلاق من الآية ٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم (٤١٠٥)، سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٧٥، والترمذي في كتاب صفة القيامة باب (٣٠)، برقم (٢٤٦٥)، سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٥٤ .

﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ أي لقالوا يوم القيامة: هلاً أرسلت إلينا رسولاً ﴿فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى﴾ أي نؤمن بك ونطيعك ولا نشرك بك قبل أن نكون في هذا اليوم الذي يصيبنا فيه الذل والخزي أمامك وأمام خلقك وهذا كقولهم الذي حكاه الله عنهم بقوله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(١).

﴿قُلْ كُلُّ مُتَّبِعٍ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين كل من المؤمنين والكافرين متربص أي منتظر عاقبة فعله ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي انتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ أي ستعرفون يوم القيامة من هم الذين على الطريق الصحيح ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾ أي من اتبع الحق واجتنب الباطل.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات: تقرير أنه لا حجة ولا عذر لمن أرسل الله إليه رسولا بين له آيات الله وبراهينه. وفيها: أن المعرضين عن آيات الله يتعرضون يوم القيامة للذل والخزي لإعراضهم في الدنيا عن الحق كما قال عز وجل ﴿خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة فاطر الآية ٤٢ .

(٢) سورة القلم من الآية ٤٣ .

فهرس المجلد الخامس

٥	تفسير سورة الرعد
٥	تفسير قوله تعالى ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ ..﴾ ١ - ٤
٨	أحكام ومسائل الآيات
٨	التوكيد على نبوة محمد ﷺ
٨	الحكم بأن الله هو الخالق
	الحكم بأنه هو الذي بسط الأرض وأرسى فيها الجبال
٨	الثوابت
٨	وجوب التفكير في آيات الله
٩	تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ..﴾ ٥ - ٧
١٠	أحكام ومسائل الآيات
١٠	الحكم بأن القادر على الخلق هو القادر على إعادته
١١	تقرير أن العذاب يحيط بالذين يستعجلونه
١١	الحكم بأن الله يتجاوز عن الظالم إذا تاب إليه
	تقرير أن النبوة والرسالة دعوة إلى الله
١١	تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ..﴾ ٨ - ٩ ...
١٢	أحكام ومسائل الآيتين
١٢	الحكمة بأن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة أشهر
١٣	كل شيء يرسله الله يكون بقدر معلوم
١٣	الله هو المتفرد بعلم الغيب
١٣	تفسير قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ ..﴾ ١٠ - ١١ ...
١٤	أحكام ومسائل الآيتين

- الحكم بأن الله يعلم أحوال خلقه ١٤
- الحكم بأن الله لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا
- ما بأنفسهم ١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ .. ١٢ - ١٣ .. ١٧
- سبب نزول الآيتين ١٧
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩
- وجوب الإقرار بعظمة الله وقدرته فيما يصرفه في خلقه ١٩
- أن صوت الرعد تسبيح لله ١٩
- قدرة الله في إرسال الصواعق ١٩
- تفسير قوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ .. ١٤ - ١٥ ١٩
- أحكام ومسائل الآيتين ٢١
- تقرير أن دعوة الحق هي كلمة التوحيد ٢١
- الحكم بأن كل من في السموات والأرض يسجد لله ٢١
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ﴿قُلِ اللَّهُ..﴾ ١٦ - ١٧ ٢١
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٣
- الحكم بأن الله رب السموات والأرض المتفرد بالعبودية ٢٣
- الحق يدوم ويعلو مكانه والباطل يضمحل ٢٣
- تفسير قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾
- ﴿الْحُسْنَى..﴾ ١٨ - ١٩ ٢٤
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٥
- تقرير وعد الله بالجنة للذين يستجيبون لندائه وتقرير

- ٢٥ وعيده للذين لم يستجيبوا
- ٢٥ تقرير التفريق بين المؤمن الذي يعرف الحق والكافر الذي لا يعرفه
- ٢٥ تقرير أن العقلاء هم الذين يتفكرون في آيات الله
- ٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ..﴾ ٢٠ - ٢٤
- ٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧ تقرير فضيلة الوفاء بعهد الله وفضل الصلة والخشية منه ..
- ٢٨ تقرير فضيلة الصبر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة
- ٢٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ..﴾ ٢٥
- ٢٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩ الحكم بتحريم نقض العهد وقطيعة الرحم وتحريم الفساد
- ٢٩ تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ..﴾ ٢٦
- ٢٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩ تقرير أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء ..
- ٢٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ..﴾ ٢٧ - ٢٩
- ٣١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣١ الحكم بأن الضلال والهداية من الله عز وجل
- ٣١ الحكم بأن قلوب المؤمنين تطمئن بذكر الله
- ٣٢ تفسير قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ..﴾ ٣٠
- ٣٣ أحكام ومسائل الآية

- ٣٣ الحكم بنبوة ورسالة رسول الله ﷺ
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ
- ٣٣ الْجِبَالُ﴾ ٣١ - ٣٢
- ٣٥ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكم بأن تسيير الجبال وإحياء الموتى مرده إلى أمر الله
- ٣٥ وحكمته
- ٣٥ الحكم أن الكافرين معرضون للقوارع
- الحكم بأن الله يملئ للظالمين ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ
- ٣٥ عزيز مقتدر
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا
- ٣٦ كَسَبَتْ﴾ ٣٣ - ٣٤
- ٣٧ أحكام ومسائل الآيتين
- الحكم بأن الله هو القائم بتصريف خلقه وتدبيرهم
- ٣٧ الحكم بضلال عباد الأصنام
- ٣٧ تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣٥ ...
- ٣٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨ تقرير أن أكل الجنة وظلها دائم
- ٣٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ ٣٦ - ٣٧ ...
- ٤٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٠ تقرير عقيدة التوحيد
- ٤٠ تقرير أن الله أنزل القرآن بلغة رسول الله ﷺ
- ٤٠ تحذير أمة محمد من اتباع أهواء المنكرين

- ٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ ٣٨-٣٩ ..
- ٤١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤١ الحكم بأن الزواج عام للبشر
- ٤١ الحكم بأن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ ٤٠ - ٤١ ..
- ٤٢
- ٤٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٣ تقرير أن مهمة رسول الله ﷺ هي الإبلاغ
- ٤٣ الحكم بأن الله ينقص الأرض
- ٤٣ تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ٤٢ - ٤٣
- ٤٤ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير أن مكر مشركي مكة لم يكن خاصاً بهم بل سبق
- ٤٤ وأن مكرت أمم قبلهم
- ٤٤ الحكم بأن الله هو الشاهد على نبوة محمد ﷺ
- ٤٥ تفسير سورة إبراهيم
- ٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿ الرَّكَّتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ ١ - ٣
- ٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٤٦ المراد من إنزال القرآن
- ٤٦ الحكم بأن لله كل ما في السموات والأرض
- ٤٦ الكافرون سيلاقون العذاب الشديد
- ٤٧ تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ ﴾ ٤ - ٥

- ٤٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٤٨ الحكم بأن الله أرسل الرسل إلى أممهم بلغاتهم
- ٤٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ..﴾ ٦ - ٨
- ٥٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٠ وجوب التذكير بنعم الله على عباده
- ٥٠ فضل الطاعات وترك المعاصي يعود على صاحبها
- تفسير قوله تعالى ﴿الْمُيَاتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ ..﴾ ٩ - ١٢
- ٥٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٥٣ توجيه الله لعباده بأن يعتبروا بما قص عليهم
- ٥٣ وجوب التوكل على الله
- ٥٣ وجوب الصبر في الدعوة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ ..﴾ ١٣ - ١٧
- ٥٤ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن الكفار من الأمم السابقة كانوا يهددون رسلهم
- ٥٥ بابعادهم إن لم يتبعوهم في كفرهم
- تقرير أن الرسل يدعون على أقوامهم إن يئسوا
- ٥٥ من صلاحهم
- ٥٥ تقرير أن الله يهلك الظالمين
- ٥٥ تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ..﴾ ١٨
- ٥٦ أحكام ومسائل الآية

- ٥٦ الحكم بخسارة الكافرين لثواب أعمالهم الدنيوية
تفسير قوله تعالى ﴿الْمَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ
- ٥٧ السَّمَوَاتِ.. ﴿ ١٩ - ٢١
- ٥٩ أحكام ومسائل الآيات
تقرير أن المتبوعين من غير المؤمنين يتبرءون من تابعيهم
- ٥٩ يوم القيامة
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ
- ٥٩ الْأَمْرُ.. ﴿ ٢٢ - ٢٣
- ٦١ أحكام ومسائل الآيات
تقرير أن الشيطان يغوي أولياءه
- ٦١ تفسير قوله تعالى ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ.. ﴿ ٢٤ - ٢٦
- ٦٣ أحكام ومسائل الآيات
تقرير وجوب التفريق بين عمل المؤمن وعمل الكافر
- ٦٣ تقرير ثناء الله على النخلة
تفسير قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا.. ﴿ ٢٧ - ٣٠
- ٦٥ أحكام ومسائل الآيات
الحكم بأن الله يثبت المؤمنين في حياتهم الدنيا
- ٦٥ تقرير أن من بدل نعمة سيكون له الخسران
- ٦٦ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا.. ﴿ ٣١
- ٦٦ أحكام ومسائل الآيات
الحكم بوجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وجواز إخراج
- ٦٦ الزكاة في السر والعلن

- ٦٦ تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ ..﴾ ٣٢ - ٣٤
- ٦٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٦٨ تقرير قدرة الله وعظيم صنعه في خلق السموات والأرض
- ٦٨ تقرير أن نعم الله على الإنسان غير قابلة للحصر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ
- ءَامِنًا ..﴾ ٣٥ - ٣٦
- ٦٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٦٩ التقرير بفضل مكة وشرفها على سائر البلدان
- توجيه الله للعبد أن يسأل ربه أن يجنبه ويحميه من
- ٧٠ عبادة الأصنام
- تفسير قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي
- زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ..﴾ ٣٧ - ٤١
- ٧٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٧٢ الحكم بوجوب إقامة الصلاة
- ٧٢ مشروعية الدعاء وفضله
- ٧٢ مشروعية دعاء الداعي لوالديه إذا لم يكونا كافرين
- ٧٣ مشروعية الدعاء للمؤمنين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
- الظَّالِمُونَ ..﴾ ٤٢ - ٤٣
- ٧٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٧٤ الحكمة من تأخير العذاب عن الظالمين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ

٧٤ أَلْعَذَابُ... ﴿٤٤ - ٤٦﴾
٧٦ أحكام ومسائل الآيات
٧٦ تقرير أن المكر جريمة
	تفسير قوله تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ﴾
٧٦ ﴿٤٧ - ٥١﴾
٧٨ أحكام ومسائل الآيات
٧٨ الحكم بأن الله لا يخلف ما وعد به
٧٨ تقرير أن الأرض والسموات تتبدلان يوم القيامة
٧٨ بيان مآل المجرمين والظلمة يوم القيامة
٧٨ تفسير قوله تعالى ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾... ٥٢
٧٩ أحكام ومسائل الآية
٧٩ تقرير أن الله أنزل كتابه لإبلاغ الخلائق أنه الإله الواحد
٧٩ تقرير أن في القرآن بلاغاً للناس عن الحلال وعن الحرام
٨٠ تفسير سورة الحجر
٨٠ تفسير قوله تعالى ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾... ١ - ٣
٨١ أحكام ومسائل الآيات
٨١ تقرير أن القرآن قد فصل للناس أوامر الله ونواهيه
٨١ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾... ٤ - ٥
٨١ أحكام ومسائل الآيتين
٨١ تقرير أن أمر الله بعقاب المكذبين له مدة معلومة
	تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
٨٢ ﴿الذِّكْرُ﴾... ٦ - ٨

- ٨٢ أحكام ومسائل الآيات
تقرير أن مشركي قريش كانوا يسخرون من دعوة
- ٨٢ رسول الله ﷺ
- ٨٣ تقرير أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق
- ٨٣ تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ ٩
- ٨٣ أحكام ومسائل الآية
الحكم بأن كتاب الله محفوظ من الزيادة والنقصان
- ٨٣ والتحريف
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَ
- ٨٤ الْأَوَّلِينَ ﴾ ١٠ - ١٣
- ٨٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٨٥ تقرير أن الأمم تكذب رسلها
- ٨٥ تقرير أن سنة الله قد مضت في عقاب المكذبين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ
- ٨٥ السَّمَاءِ ﴾ ١٤ - ١٨
- ٨٦ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أن تأصل الكفر والطغيان في المشركين والكفرة
- ٨٦ يجعلهم لن يؤمنوا
- ٨٦ تقرير أن الله جعل في السماء بروجاً لمنافع خلقه
- ٨٦ حفظ الله للسماء من الشياطين
- ٨٧ تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ﴾ ١٩ - ٢٠
- ٨٨ أحكام ومسائل الآيتين

- ٨٨ بيان حكمة الله في خلقه بأن جعل لهم الأرض قراراً آمناً....
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ... ﴾ ٢١ - ٢٢
- ٨٨ أحكام ومسائل الآيتين
- ٨٩ تقرير أن ما من شيء إلا وعند الله خزائنه
- ٨٩ تقرير أنه ما من ماء ينزل من السماء ولا نبات ينبت من الأرض إلا بمقادير معلومة
- ٨٩ لأعمال الإصلاح ثلاثة أوجه: الأول: ما مناطه علاقتهم بخالقهم، والثاني: ما مناطه علاقتهم ببعضهم، والثالث: ما مناطه التعامل مع الأرض التي يعيشون عليها
- ٩٠ للتعامل مع الأرض صورتان والكلام على إصلاحها وعدم إفسادها
- ٩٠ تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي... ﴾ ٢٣ - ٢٥
- ٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٤ الحكم بأن الله هو المتصرف في خلقه
- ٩٤ تقرير أن المتقدم في سائر الأعمال أفضل من المتأخر
- ٩٤ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ... ﴾ ٢٦ - ٢٧
- ٩٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٩٥ تقرير أن بداية خلق الإنسان من طين
- ٩٥ تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ... ﴾ ٢٨ - ٣٣
- ٩٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٧ الحكم بأن سجود العبادة لا يجوز إلا لله وحده
- ٩٧ الحسد مما حرمه الله
- ٩٧ تحريم الكبر

- ٩٨ تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا .. ﴾ ٣٤ - ٣٨
- ٩٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٩٨ لم يكن أحد أكثر شراً وأكثر طرداً من رحمة الله من إبليس ..
- ٩٨ الله لا يرد سؤال السائل
- ٩٩ تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي .. ﴾ ٣٩ - ٤٤
- ١٠٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٠ تقرير أن إبليس يزين للناس المعاصي
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
- ١٠١ وَعُيُونٍ .. ﴾ ٤٥ - ٤٨
- ١٠٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٢ تقرير أن صفة أهل الجنة وسلوكهم يختلف عما في الدنيا
- ١٠٢ تقرير أن الضغائن والبغضاء من طبائع البشر
- ١٠٢ تفسير قوله تعالى ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ .. ﴾ ٤٩ - ٥٠
- ١٠٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٠٣ تقرير أن العبد يجب أن يكون راجياً لله طامعاً في رحمته ...
- ١٠٣ تفسير قوله تعالى ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ .. ﴾ ٥١ - ٥٦ ...
- ١٠٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٥ تقرير مشروعية إكرام الضيف
- ١٠٥ تحريم القنوط واليأس من رحمة الله
- تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا
- ١٠٦ الْمُرْسَلُونَ .. ﴾ ٥٧ - ٦٠
- ١٠٧ أحكام ومسائل الآيات

- ١٠٧ وصف قوم لوط بالمجرمين
- ١٠٧ تقرير أن العلاقة الأساسية بين المرء وأهله علاقة دين
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ ءَالُ لُوطٍ
- الْمُرْسَلُونَ .. ﴾ ١١ - ١١ ١٠٧
- ١٠٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٨ تقرير أن المضيف قد ينكر الضيف في نفسه
- ١٠٨ تقرير أن رئيس القوم في الغزو وفي غيره يكون وراء قومه
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
- يَسْتَبْشِرُونَ .. ﴾ ٦٧ - ٧١ ١٠٨
- ١٠٩ أحكام ومسائل الآيات
- ١٠٩ وجوب الدفاع عن الضيف حين التعرض للأذى
- تفسير قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
- يَعْمَهُونَ .. ﴾ ٧٢ - ٧٤ ١١٠
- ١١٠ أحكام ومسائل الآيات
- ١١٠ تقرير خصوصية وشرف رسول الله ﷺ
- ١١١ تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ .. ﴾ ٧٥ - ٧٩
- ١١٢ أحكام ومسائل الآيات
- ١١٢ وجوب التفكير فيما يصيب الظالمين من العذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ
- الْمُرْسَلِينَ .. ﴾ ٨٠ - ٨٤ ١١٣
- ١١٤ أحكام ومسائل الآيات
- ١١٤ تقرير أن أصحاب الحجر من المعذبين بسبب طغيانهم

تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴿٨٥ - ٨٦ ١١٥

أحكام ومسائل الآيتين ١١٦

الحكم بأن الله خلق السموات والأرض ليعبده من فيهن ١١٦

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي .. ﴿٨٧ - ٨٨ .. ١١٦

أحكام ومسائل الآيتين ١١٧

تقرير أن الله أعطى رسوله محمدا ﷺ وأمة السبع المثاني ... ١١٧

التوجيه إلى النبي ﷺ أن لا يتشوق إلى متع الدنيا ١١٧

التوجيه له بالرفق بالمؤمنين ١١٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ

الْمُبِينُ .. ﴿٨٩ - ٩٣ ١١٨

أحكام ومسائل الآيات ١١٩

تحريم الاختلاف حول كتاب الله ١١٩

تفسير قوله تعالى ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ .. ﴿٩٤ - ٩٦ ١٢٠

أحكام ومسائل الآيات ١٢١

وجوب الجهر بالحق وما يترتب على ذلك ١٢١

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا

يَقُولُونَ .. ﴿٩٧ - ٩٩ ١٢١

أحكام ومسائل الآيات ١٢٢

وجوب الصبر في الدعوة ومشروعية الصلاة عند الفرع

وفضل التسبيح ١٢٢

وجوب الثبات على طاعة الله ١٢٢

١٢٣ تفسير سورة النحل
١٢٣ تفسير قوله تعالى ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۖ ﴾ ١ - ٢
١٢٤ أحكام ومسائل الآيتين
١٢٤ الحكم بأن الساعة آتية لا محالة
	الرسل أمروا أن ينذروا من أرسلوا إليهم بالإقرار
١٢٤ بتوحيد الألوهية
	تفسير قوله تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
١٢٥ بِالْحَقِّ ۖ ﴾ ٣ - ٤
١٢٦ أحكام ومسائل الآيتين
١٢٦ الحكم بأن الله لم يخلق الكون عبثاً
١٢٦ تفسير قوله تعالى ﴿ وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا ۖ ﴾ ٥ - ٧
١٢٧ أحكام ومسائل الآيات
١٢٧ تقرير أن خلق الله للأنعام لمنفعة الإنسان
	تفسير قوله تعالى ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ
١٢٨ لِتَرْكَبُوهَا ۖ ﴾ ٨
١٢٩ أحكام ومسائل الآية
١٢٩ تقرير جواز تأجير الدواب الرواحل
١٢٩ اختلاف العلماء في أكل لحوم الخيل
	تفسير قوله تعالى ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا
١٣٠ جَايِرٌ ۖ ﴾ ٩ - ١١
١٣١ أحكام ومسائل الآيات
١٣١ تقرير أن السبيل سبيلان
١٣١ تقرير أن الله أنزل الماء من السماء

تفسير قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ..﴾ ١٢ - ١٦ ١٣٢

أحكام ومسائل الآيات ١٣٤

تقرير أن الله سخر الليل والنهار وغيرهما لخلقه ١٣٤

وجوب الشكر لله تعالى ١٣٤

تفسير قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ..﴾ ١٧ - ٢١ ١٣٤

أحكام ومسائل الآيات ١٣٦

الحكم بعدم المماثلة أو المشابهة بين من يستطيع أن يخلق

وبين من لا يستطيع ١٣٦

تقرير أن الشكر على النعم بقدر المستطاع ١٣٦

تفسير قوله تعالى ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ..﴾ ٢٢ - ٢٣ ١٣٦

أحكام ومسائل الآيتين ١٣٧

الحكم بتوحيد الله وأنه الواحد الأحد لا إله غيره ١٣٧

الحكم بتحريم الكبر ١٣٨

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ

رَبُّكُمْ..﴾ ٢٤ - ٢٥ ١٣٨

سبب نزول الآية ١٣٨

أحكام ومسائل الآيتين ١٣٩

تقرير مضاعفة الوزر لمن يعمل عملاً غير مشروع فيضل

به الناس ١٣٩

تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ..﴾ ٢٦ - ٢٧ ١٣٩

- أحكام ومسائل الآيتين ١٤١
- تقرير أن تكذيب الرسل كان قديماً قبل رسالة محمد ﷺ ١٤١
- تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ..﴾ ٢٨ - ٣٢ ١٤١
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٣
- تقرير سوء عاقبة الظالمين وحسن خاتمة المؤمنين
- عند احتضارهم ١٤٣
- تقرير أن القرآن خير ١٤٤
- تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ..﴾ ٣٣ - ٣٤ ١٤٤
- أحكام ومسائل الآيتين ١٤٥
- تقرير أن الظلمة لا ينتظرون إلا أن يحيق بهم العذاب ١٤٥
- ما يصيب الظلمة من سوء هو بسبب كفرهم ١٤٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ٣٥ - ٣٧ ١٤٥
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٧
- إبطال حجة من يرتكب المعاصي ويتذرع بالقدر ١٤٧
- تقرير أن الله بعث في كل أمة من الأمم رسولا ١٤٧
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ..﴾ ٣٨ - ٤٠ ١٤٧
- أحكام ومسائل الآيات ١٤٩
- تقرير حقيقة البعث ١٤٩
- تقرير أن أمر الله يتم بكلمة واحدة ١٤٩

- ١٤٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ..﴾ ٤١ - ٤٢
- ١٥٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٠ وجوب الهجرة عندما يضطهد المؤمن أو يضايق في مكانه ..
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ
- إِلَيْهِمْ..﴾ ٤٣ - ٤٤
- ١٥١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٢ وجوب سؤال أهل العلم عما يجهله المسلم في عبادته
- ١٥٢ وجوب اتباع ما جاء في السنة التي بينها رسول الله ﷺ
- تفسير قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا
- السَّيِّئَاتِ..﴾ ٤٥ - ٤٧
- ١٥٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٥٣ تحريم الأمن من مكر الله
- ١٥٣ تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ..﴾ ٤٨ - ٥٠
- ١٥٤ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٥ السجود ثلاثة أنواع
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
- أَتْنَيْنِ..﴾ ٥١ - ٥٥
- ١٥٥ أحكام ومسائل الآيات
- ١٥٧ الحكم بأنه ليس في الوجود إلا إله واحد
- ١٥٧ كل النعم من عند الله
- ١٥٧ من الخلق من يجحد نعم الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ

١٥٧	نَصِيْبًا .. ﴿ ٥٦ - ٦٠ ١٥٧
١٥٩	أحكام ومسائل الآيات ١٥٩
١٥٩	تقرير أن المشركين شر خلق الله ١٥٩
١٥٩	التشنيع بما كان يفعله أهل الجاهلية في كره البنات ١٥٩
١٥٩	تقرير أن لهؤلاء المشركين المثل السيئ ١٥٩
١٦٠	تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ .. ﴿ ٦١ - ٦٢ ١٦٠
١٦١	أحكام ومسائل الآيتين ١٦١
١٦١	تقرير أن الله حلیم بعباده ١٦١
١٦١	تقرير أنه عند حلول آجال الخلق لا يتقدمونها ولا يستأخرونها.. ١٦١
١٦١	تشنيع سلوك المشركين أن لهم البنين وأن لله البنات ١٦١
	تفسير قوله تعالى ﴿ تَأَلَّهَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ .. ﴿ ٦٣ - ٦٥ ١٦١
١٦٢	أحكام ومسائل الآيات ١٦٢
١٦٢	تقرير أن الله أرسل رسلا إلى أمم سابقة ١٦٢
١٦٢	تقرير أن الله هو الذي ينزل المطر ١٦٢
١٦٣	تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً .. ﴿ ٦٦ - ٦٧ ١٦٣
١٦٤	أحكام ومسائل الآيتين ١٦٤
١٦٤	تقرير عظيم قدرة الله ١٦٤
١٦٤	تقرير منته على عباده ١٦٤
١٦٤	تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ .. ﴿ ٦٨ - ٦٩ ١٦٤
١٦٥	أحكام ومسائل الآيتين ١٦٥
١٦٥	تقرير إلهام الله للنحل في سكنها ١٦٥

- ١٦٦ تقرير أن ما يخرج من بطونها فيه شراب للناس
- ١٦٦ تفسير قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّكُمْ﴾ ٧٢ - ٧٠
- ١٦٨ أحكام ومسائل الآيات
- ١٦٨ تقرير واقعة خلق الإنسان
- ١٦٨ تقرير التفاوت بين الناس في الرزق
- ١٦٨ تقرير واقعة التزاوج
- ١٦٨ تقرير نعم الله على خلقه
- ١٦٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ٧٤ - ٧٣
- ١٦٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٦٩ تقرير وجوب التوحيد
- ١٦٩ تفسير قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ ٧٦ - ٧٥
- ١٧١ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٧١ تقرير ضرب الله الأمثلة للناس
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
- ١٧١ وَالْأَرْضِ﴾ ٧٩ - ٧٧
- ١٧٣ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٣ الحكم بأنه لا يعلم الغيب إلا الله
- ١٧٣ تقرير أن قيام الساعة مثل لمح البصر
- ١٧٣ التذكير بما أنعم الله على عباده من بعض نعمه
- تفسير قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
- ١٧٣ سَكَنًا﴾ ٨٣ - ٨٠
- ١٧٥ أحكام ومسائل الآيات

- ١٧٥ تقرير مخاطبة الله العرب بما يعرفون
- ١٧٥ إباحة الانتفاع بوبر الإبل وصوف الغنم
- ١٧٦ تقرير أن وظيفة الرسل هي الدعوة بالحسنى
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٨٤ - ٨٨
- ١٧٦ أحكام ومسائل الآيات
- ١٧٨ تقرير أن الله يبعث من كل أمة نبيها
- ١٧٨ تقرير أنه يبعث معبودي المشركين فيتبعوهم
- ١٧٨ تقرير أن العذاب يضاعف للذين يصدون عن سبيل الله
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾ ٨٩
- ١٧٨ أحكام ومسائل الآية
- ١٧٩ تقرير أن الأنبياء يشهدون على أممهم يوم القيامة بما عملوا
- ١٧٩ تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ ٩٠ ...
- ١٨١ أحكام ومسائل الآية
- ١٨١ الحكم بأن العمل جماع الشرائع الإلهية
- ١٨١ تقرير وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة ...
- ١٨١ تحريم الفواحش بكل أنواعها
- ١٨١ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...﴾ ٩١-٩٢ ..
- ١٨٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ١٨٣ تقرير وجوب الوفاء بالعهد
- ١٨٣ تحريم نقض الأيمان بعد توكيدها

تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

وَحِيدَةً.. ﴿٩٣ - ٩٧ ١٨٣

أحكام ومسائل الآيات ١٨٦

تقرير أن حكمة الله اقتضت أن لا يجعل الناس على

ملة واحدة ١٨٦

تحريم اتخاذ الأيمان وسيلة إلى الخداع ١٨٦

تحريم نقض العهود ١٨٦

تقرير أن الله تعهد للصالحين بنوعين من الجزاء ١٨٦

تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ.. ﴿٩٨ - ١٠٠ ١٨٦

أحكام ومسائل الآيات ١٨٧

وجوب الاستعاذة من الشيطان الرجيم ١٨٧

تقرير أن الشيطان لا يتسلط على المؤمنين ١٨٧

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ

آيَةٍ.. ﴿١٠١ - ١٠٥ ١٨٧

أحكام ومسائل الآيات ١٩٠

تقرير أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً ١٩٠

الذي نزل بالقرآن جبريل ١٩٠

دحض كذب الكفار والمشركين الذين قالوا إن الذي يعلم

الرسول القرآن بشر من الناس ١٩٠

تقرير أن الذين لا يؤمنون بآيات الله لن يهديهم الله ١٩٠

- تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ
- إِيمَانِهِ...﴾ ١٠٦ - ١٠٩ ١٩٠
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٤
- تقرير أن من تكلم بالكفر بعد إيمانه يعد مرتداً
- وما يستثنى من ذلك ١٩٤
- تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
- مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوكُمْ...﴾ ١١٠ - ١١١ ١٩٤
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩٥
- تقرير فضل الهجرة ١٩٥
- تقرير أن كل نفس تخاصم وتحتاج عن نفسها يوم القيامة ... ١٩٥
- تفسير قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً...﴾ ١١٢ - ١١٣ ... ١٩٦
- أحكام ومسائل الآيتين ١٩٧
- تقرير أن الظلم وكفران النعم يؤديان إلى البأساء والضراء ١٩٧
- تفسير قوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ ١١٤ - ١١٧ ... ١٩٨
- أحكام ومسائل الآيات ١٩٩
- وجوب شكر الله على نعمه ١٩٩
- تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ١٩٩
- تحريم الكذب على الله وتحليل ما حرم الله ٢٠٠
- تفسير قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا
- عَلَيْكَ...﴾ ١١٨ - ١١٩ ٢٠٠
- أحكام ومسائل الآيتين ٢٠١
- التقرير بأن الله خفف عن أمة محمد ﷺ ولم يحرم عليها

- ٢٠١ إلا عددا قليلاً من الأطعمة
- التقرير بأن الله يغفر ويرحم أصحاب المعاصي الذين
- ٢٠١ ارتكبوها بجهل ثم تابوا
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا
- ٢٠١ لِلَّهِ .. ﴾ ١٢٠ - ١٢٣
- ٢٠٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٠٣ تكريم الله لإبراهيم
- ٢٠٣ تقرير اتباع رسول الله ﷺ لملته
- ٢٠٣ معنى الأمة
- ٢٠٣ دليل جواز اتباع الأفضل للمفضول
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
- ٢٠٣ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ .. ﴾ ١٢٤
- ٢٠٥ أحكام ومسائل الآية
- ٢٠٥ تقرير أن الله اختار يوم الجمعة عيداً أسبوعاً للمسلمين
- تفسير قوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
- ٢٠٥ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ .. ﴾ ١٢٥
- ٢٠٦ أحكام ومسائل الآية
- ٢٠٦ تقرير أن الدعوة إلى الله واجبة
- ٢٠٦ تقرير أن الدعوة يجب أن تكون بالكتاب والسنة
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا
- ٢٠٦ عُوِقِبْتُمْ بِهِ .. ﴾ ١٢٦ - ١٢٨
- ٢٠٨ أحكام ومسائل الآيات

- الحكم بوجوب التماثل في القصاص ٢٠٨
- تقرير أن في الصبر فضيلة ٢٠٨
- تقرير أن معية الله مع الذين آمنوا بربهم ٢٠٨
- تفسير سورة الإسراء ٢٠٩
- تفسير قوله تعالى ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾ ١ ٢٠٩
- أحكام ومسائل الآية ٢١٣
- تقرير واقعة الإسراء وحقيقتها ٢١٣
- تقرير شرف المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوي ٢١٣
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...﴾ ٢ - ٣ ٢١٣
- أحكام ومسائل الآيتين ٢١٤
- التوجيه لبني إسرائيل ولغيرهم من الأمم أن لا يتخذوا وليا لهم من دون الله ٢١٤
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ...﴾ ٤ - ٨ ٢١٤
- أحكام ومسائل الآيات ٢١٧
- تقرير قضاء الله على بني إسرائيل بأنهم يفسدون مرتين ٢١٧
- تقرير ما حدث لبني إسرائيل من تشريدهم واضطهادهم مرتين ٢١٧
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ ٩ - ١٠ ٢١٧
- أحكام ومسائل الآيتين ٢١٨

- ٢١٨ تقرير فضل القرآن وما فيه من الهداية
- ٢١٨ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ..﴾ ١١ ...
- ٢١٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢١٩ التحذير من دعاء الإنسان على نفسه
- ٢١٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ..﴾ ١٢
- ٢٢٠ أحكام ومسائل الآية
- ٢٢٠ تقرير مشروعية علم الحساب
- تفسير قوله تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ..﴾ ١٣ - ١٤
- ٢٢١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٢١ الحكم بأن الإنسان يلزم بما عمل من خير وشر
- تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ..﴾ ١٥ - ١٧
- ٢٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٣ تقرير أن عمل الإنسان يرجع ثوابه ووزره عليه
- ٢٢٣ تقرير أن الله يأمر الناس بالطاعات وينهاهم عن المعاصي ...
- تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ..﴾ ١٨ - ٢١
- ٢٢٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٥ تقرير أن مصير المرء متوقف على نيته وعمله
- ٢٢٥ تقرير أن الله فضل في الدنيا بعض البشر على بعض
- ٢٢٥ تفسير قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ..﴾ ٢٢ - ٢٤ ..

- ٢٢٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٢٧ الحكم بتحريم الشرك وتقرير عقوبة المشرك
- الحكم بوجوب عبادة الله وحده ووجوب الإحسان
- ٢٢٧ إلى الوالدين
- ٢٢٨ تحريم عقوق الوالدين
- ٢٢٨ تفسير قوله تعالى ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ ٢٥ - ٢٨ ..
- ٢٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٠ تقرير أن الله يعلم سرائر النفس وخفاياها
- ٢٣٠ وجوب بر الأقارب وصلاتهم
- ٢٣٠ مساعدة المساكين وابن السبيل
- ٢٣٠ تحريم التبذير
- ٢٣٠ وجوب ملاطفة السائل للمال
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ٢٩ - ٣٠ ..
- ٢٣١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٣٢ النهي عن البخل والشح
- ٢٣٢ النهي عن الإسراف في الإنفاق
- الحكم بأن الله يعرف أحوال عباده ومن يستحق منهم
- ٢٣٢ الغنى ومن يستحق ضده
- ٢٣٢ تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ ٣١ - ٣٣ ..
- ٢٣٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٣ تحريم قتل الولد خوف الفقر

- ٢٣٤ تحريم قتل النفس مطلقاً إلا بحق شرعي
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...﴾ ٣٤ - ٣٨
- ٢٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٣٧ النهي عن التصرف في أموال اليتامى
- ٢٣٧ وجوب الوفاء بالكيل
- ٢٣٧ تحريم المشي تكبراً
- ٢٣٧ النهي عن التجاوز في القول
- تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾ ٣٩
- ٢٣٨ أحكام ومسائل الآية
- ٢٣٨ تقرير أن الأوامر والنواهي التي أمر الله بها الأمة هي حكم اقتضتها إرادته عز وجل
- ٢٣٨ تقرير أن في الأخذ بها سعادة في الدارين
- ٢٣٩ تفسير قوله تعالى ﴿أَفَأَصْفَكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ...﴾ ٤٠
- ٢٣٩ أحكام ومسائل الآية
- ٢٣٩ إنكار ما كان يزعمه المشركون من أن الملائكة بنات الله
- ٢٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا...﴾ ٤١ ..
- ٢٤٠ أحكام ومسائل الآية
- ٢٤٠ تقرير أن الله أثبت في القرآن كل ما ينفع البشر
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا...﴾ ٤٢ - ٤٤
- ٢٤٠

- ٢٤٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٢ تقرير جهل المشركين في كونهم يعبدون آلهة مخلوقة
- ٢٤٢ تقرير أن كل المخلوقات تسبح لله
- ٢٤٢ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ..﴾ ٤٨ - ٤٥
- ٢٤٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٤ تقرير أن القرآن لا ينفع إلا من آمن به
- ٢٤٤ بيان الله لرسوله عن تناجي المشركين بينهم
- ٢٤٤ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا..﴾ ٥٢ - ٤٩
- ٢٤٦ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٦ تقرير أن البعث والحساب حقيقة لا مرأ فيها
- تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
- ٢٤٦ ﴿أَحْسَنُ..﴾ ٥٥ - ٥٣
- ٢٤٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٤٧ وجوب التعامل بالقول الحسن
- ٢٤٨ تقرير وجوب الحذر من الشيطان
- ٢٤٨ تقرير تفاضل الأنبياء
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ
- ٢٤٨ ﴿دُونِهِ..﴾ ٥٧ - ٥٦
- ٢٤٩ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير أن الذين يُعْبَدُونَ من دون الله لا يدفعون عمن
- ٢٤٩ يعبدهم ضرا ولا يجلبون لهم نفعا
- ٢٥٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِّنْ قَرِيَةٍ..﴾ ٥٩ - ٥٨

- ٢٥١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٥١ تقرير حكم الله بأن الظالمين معرضون للهلاك والعذاب
- ٢٥١ تقرير أن الله إذا أرسل الآيات إلى قوم ثم كذبوها أهلكهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ
- بِالنَّاسِ..﴾ ١٠ ٢٥١
- ٢٥٢ أحكام ومسائل الآية
- تقرير أن الله عصم رسوله محمداً ﷺ وأن ليلة الإسراء
- كانت اختباراً لأهل مكة ٢٥٢
- تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
- لِآدَمَ..﴾ ١١ - ١٥ ٢٥٢
- ٢٥٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٥ تقرير عصيان إبليس بامتناعه عن السجود لآدم
- ٢٥٥ تقرير أن إبليس يعمل على اتباع العباد له
- ٢٥٥ تقرير أن الله توعدده بالعذاب الدائم
- ٢٥٥ تقرير أن عباد الله المؤمنين لا يمسهم الشيطان بسوء
- تفسير قوله تعالى ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي
- الْبَحْرِ..﴾ ١٦ - ١٩ ٢٥٥
- ٢٥٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٥٧ تقرير أن الله هو الذي يسيّر السفن في البحر بأمره
- ٢٥٧ تقرير سوء سلوك المشركين
- ٢٥٧ تقرير وعيد الله للمشركين بالعذاب
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ

- ٢٥٧ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ .. ﴿٧٠﴾
- ٢٥٨ أحكام ومسائل الآية
- ٢٥٨ تقرير تفضيل الجنس البشري وتكريمه
- ٢٥٨ تكريم الله لبني آدم يقتضي وجوب التساوي بينهم
- تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ...﴾ ٧١ - ٧٢ ٢٥٨
- ٢٥٩ أحكام ومسائل الآيتين
- تقرير أن الناس يدعون يوم القيامة بمن كانوا يتبعونهم
- ٢٥٩ في الهدى أو الضلال
- ٢٦٠ تقرير أن من كان زائغاً في الدنيا فهو زائغ في الآخرة
- ٢٦٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾ ٧٣ - ٧٥
- ٢٦١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٦١ تحريم الركون إلى أهل الكفر والظلم بغية إرضائهم
- ٢٦١ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ...﴾ ٧٦ - ٧٧
- ٢٦٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٦٢ الحكم بأن سنن الله في خلقه لا تتغير ولا تتحول
- تفسير قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
- ٢٦٢ اللَّيْلِ...﴾ ٧٨ - ٧٩
- ٢٦٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٦٣ الحكم بوجوب إقامة الصلاة وتحديد أوقاتها
- ٢٦٣ تقرير أن الملائكة تشهد صلاة الصبح
- ٢٦٤ تقرير أن رسول الله ﷺ يشفع للناس يوم القيامة

تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ

- ٢٦٤ صِدْقٍ .. ﴿ ٨٠ - ٨١
- ٢٦٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٦٥ الحكم بأن الحق هو الذي يبقى ويستمر
- ٢٦٥ تفسير قوله تعالى ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ .. ﴿ ٨٢ ...
- ٢٦٦ أحكام ومسائل الآية
- ٢٦٦ تقرير أن القرآن يشفي القلوب من الجهل والضلال
- ٢٦٦ تقرير أن في القرآن شفاء للأمراض الجسدية
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ
- ٢٦٧ بِجَانِبِهِ .. ﴿ ٨٣ - ٨٤
- ٢٦٧ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٦٧ تقرير السلوك السيئ لبعض الإنسان
- ٢٦٧ تقرير أن كل واحد سوف يجازى على عمله ونيته
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ
- ٢٦٨ أَمْرِ رَبِّي .. ﴿ ٨٥
- ٢٦٨ أحكام ومسائل الآية
- تقرير أن أمر الروح مما استأثر الله به لنفسه فلا يعلمه
- ٢٦٨ أحد من خلقه
- ٢٦٨ الله لم يعلم خلقه من العلم إلا قليلاً
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا
- ٢٦٩ إِلَيْكَ .. ﴿ ٨٦ - ٨٩
- ٢٧٠ أحكام ومسائل الآيات

- ٢٧٠ تقرير أن الله قد ينزع القرآن من الناس
- تقرير عجز الإنس والجن وكل من في الوجود أن يأتي
- ٢٧٠ بمثل القرآن
- ٢٧٠ تقرير أن القرآن قد بين للناس الأمثال والبراهين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا
- ٢٧٠ مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا .. ﴾ ٩٠ - ٩٣
- ٢٧٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٧٢ تقرير سفاهة عقول المشركين
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى
- ٢٧٢ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا .. ﴾ ٩٤ - ٩٥
- ٢٧٣ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٧٣ تقرير أن الجهل منع بعض الناس من الإيمان
- تقرير أن الله لا يرسل إلا من تتجانس أفهامهم مع
- ٢٧٣ المرسل إليهم
- ٢٧٣ تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .. ﴾ ٩٦
- ٢٧٤ أحكام ومسائل الآية
- الحكم بأن الله شاهد على نبوة ورسالة رسوله
- ٢٧٤ محمد ﷺ
- ٢٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ .. ﴾ ٩٧
- ٢٧٥ أحكام ومسائل الآية
- الحكم بأن من يهديه الله فهو المهتد وأن من يضلّه لا
- ٢٧٥ يكون له ولي
- ٢٧٥ تقرير أن الظلمة يحشرون على وجوههم

تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

- ٢٧٥ بِعَايِنِنَا.. ﴿ ٩٨ - ٩٩
- ٢٧٦ أَحْكَام وَمَسَائِل الْآيَاتِ
- ٢٧٦ الْحُكْم بِأَنْ مَنْ يَنْكَرُ الْبَعْثَ سَوْفَ يُعَذَّبُ فِي جَهَنَّمَ
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ
- ٢٧٧ رَبِّي.. ﴿ ١٠٠
- ٢٧٧ أَحْكَام وَمَسَائِل الْآيَةِ
- ٢٧٧ تَقْرِيرُ أَنَّ الْبَخْلَ مِنْ طِبَائِعِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَنْ كَمَلَ إِيمَانُهُ
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ
- ٢٧٧ بَيِّنَاتٍ.. ﴿ ١٠١ - ١٠٤
- ٢٧٩ أَحْكَام وَمَسَائِل الْآيَاتِ
- ٢٧٩ الْحُكْم بِأَنْ اللَّهَ أَعْطَى بَنِي إِسْرَائِيلَ آيَاتٍ تِسْعاً
- ٢٧٩ تَقْرِيرُ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْخَلَائِقَ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ
- ٢٧٩ تَقْرِيرُ أَنَّهُ لَيْسَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضٌ مَعِينَةٌ
- ٢٧٩ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ.. ﴿ ١٠٥ - ١٠٦ ...
- ٢٨٠ أَحْكَام وَمَسَائِل الْآيَاتِ
- ٢٨٠ الْحُكْم بِأَنْ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ
- ٢٨٠ تَقْرِيرُ أَنَّهُ نَزَلَ مَفْرَقاً
- ٢٨٠ أَمْرُ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَلَى مَهْلٍ
- ٢٨٠ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا.. ﴿ ١٠٧ - ١٠٩
- ٢٨١ أَحْكَام وَمَسَائِل الْآيَاتِ
- ٢٨١ تَقْرِيرُ مَشْرُوعِيَةِ السُّجُودِ لِمَنْ يَقْرَأُ آيَاتِ السُّجُودِ

- ٢٨١ تقرير فضيلة البكاء من خشية الله
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ .. ﴾ ١١٠ - ١١١
- ٢٨١ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٨٣ الحكم بأن لله الأسماء الحسنى والصفات العلى
- ٢٨٣ تقرير وجوب الثناء على الله
- ٢٨٤ تفسير سورة الكهف
تفسير قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ .. ﴾ ١ - ٥
- ٢٨٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٥ تقرير أن الله وحده المستحق للحمد
- ٢٨٦ تقرير سلامة القرآن من الميل والجور
- ٢٨٦ تحريم الكذب على الله بنسبة الولد إليه
- ٢٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا كَبَخَعَ نَفْسَكَ .. ﴾ ١ - ٨
- ٢٨٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٧ تحريم الإضرار بالنفس ندماً على شيء لا حيلة للمرء فيه
تقرير أن زينة الأرض تتحول في يوم ما إلى مجرد
صعيد لا ينبت شيئاً
- ٢٨٧ تفسير قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ .. ﴾ ٩ - ١٢
- ٢٨٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٨٩ تقرير نبوة رسول الله ﷺ

- ٢٨٩ تقرير أن الله يستجيب للمؤمنين من عباده
- تفسير قوله تعالى ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ .. ﴾ ١٣ - ١٦ ٢٨٩
- ٢٩١ أحكام ومسائل الآيات
- ٢٩١ الحكم بوجوب الهجرة من المكان الذي يضطهد فيه المرء
- تقرير أن أصحاب الشرك والكفر إنما يفترون على الله الكذب ٢٩١
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ .. ﴾ ١٧ ٢٩١
- ٢٩٢ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٢ تقرير أن الله يكرم أوليائه المتقين
- ٢٩٢ تقرير أن الهداية من عند الله
- ٢٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ .. ﴾ ١٨
- ٢٩٣ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٣ تقرير قدرة الله عز وجل فيما صنعه بفتية الكهف
- ٢٩٣ جواز اقتناء الكلب للحراسة
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ .. ﴾ ١٩ - ٢٠ ٢٩٣
- ٢٩٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٩٥ تقرير صحة عقد الوكالة
- ٢٩٥ تقرير أن الطعام يجب أن يكون طيباً وحلالاً
- ٢٩٥ وجوب التلطف في المعاملة والسماحة فيها

- ٢٩٥ وجوب الحذر من الوقوع في الكفر
- تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن تَكُونُوا بَدِيعَ غَدٍّ...﴾ ٢١
- ٢٩٥ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا.. ﴿٢١﴾
- ٢٩٧ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٧ النهي عن اتخاذ المساجد على القبور
- تفسير قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾ ٢٢ ...
- ٢٩٧ أحكام ومسائل الآية
- ٢٩٨ النهي عن الجدل في الأمور غير المهمة، وعدم سؤال أهل الكتاب أو مراجعتهم في علوم الدين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِيٍّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا...﴾ ٢٣ - ٢٤
- ٢٩٨ غَدًا... ﴿٢٣ - ٢٤﴾
- ٢٩٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ٢٩٩ الحكم بوجوب الاستثناء بالمشيئة قبل العزم
- ٣٠٠ وجوب ذكر الاستثناء بعد نسيانه
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ...﴾ ٢٥ - ٢٦
- ٣٠٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٠١ الحكم بأن أهل الكتاب لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة
- ٣٠١ تقرير اختلاف أهل الكتاب حول مدة بقاء أهل الكهف
- ٣٠١ الحكم بأن الله هو الذي يعلم هذه المدة
- تفسير قوله تعالى ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ...﴾ ٢٧ - ٢٨
- ٣٠١ رَبِّكَ... ﴿٢٧ - ٢٨﴾
- ٣٠٣ أحكام ومسائل الآيتين

- الحكم بوجوب تلاوة كتاب الله تعالى ٣٠٣
- الحكم بوجوب التعامل مع المؤمنين ومحبتهم ٣٠٣
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ .. ﴾ ٢٩ ٣٠٣
- أحكام ومسائل الآيات ٣٠٤
- الحكم بأن كتاب الله هو الحق ٣٠٤
- تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .. ﴾ ٣٠ - ٣١ ٣٠٤
- أحكام ومسائل الآيات ٣٠٥
- الحكم بأن الله لا يضيع أجر المحسنين ٣٠٥
- تقرير ما أعد الله للمؤمنين من النعيم في الآخرة ٣٠٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
جَنَّتَيْنِ .. ﴾ ٣٢ - ٣٦ ٣٠٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣٠٧
- تقرير ضرب الأمثال للناس ٣٠٧
- تحريم تكبر الإنسان على أخيه ٣٠٨
- تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ .. ﴾ ٣٧ - ٤١ ٣٠٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٠٩
- وجوب الإنكار على من يجحد نعم الله وفضله عليه ٣٠٩
- تقرير عقيدة التوحيد ٣٠٩
- وجوب ذكر الله عندما يرى المرء ما يعجبه ٣٠٩
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى
مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .. ﴾ ٤٢ - ٤٤ ٣٠٩

- أحكام ومسائل الآيات ٣١٠
- تقرير أن عاقبة من يكفر بنعمة الله أن يسلبها منه ٣١٠
- تقرير أن القوة والعزة والسلطان ليست لأحد إلا الله ٣١١
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَوةِ ۚ ۝٤٥ - ٤٦ ٣١١
- الدُّنْيَا... ﴿ ٣١١
- أحكام ومسائل الآيتين ٣١٢
- تقرير أن الحياة الدنيا مجرد عبور ٣١٢
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ ۚ ۝٤٧ - ٤٩ ٣١٢
- بَارِزَةً... ﴿ ٣١٢
- أحكام ومسائل الآيات ٣١٤
- تقرير ذكر أهوال يوم القيامة ٣١٤
- تقرير أن الخلائق يبعثون يوم القيامة ٣١٤
- الحكم بأن الله عدل لا يظلم أحداً من عباده ٣١٤
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ... ٥٠ ٣١٥
- أحكام ومسائل الآية ٣١٥
- تقرير أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ٣١٥
- الحكم بأن السجود الذي أمر به إبليس هو سجود تكريم ٣١٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ۝٥١ - ٥٣ ٣١٦
- وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ... ﴿ ٣١٦
- أحكام ومسائل الآيات ٣١٧
- تقرير أن الله لما خلق السموات والأرض خلق الخلق على غير مثال سابق ٣١٧

تقرير أن المشركين يدعون شركاءهم يوم القيامة فلا

- ٣١٧ يستجيبون لهم
- تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ
- ٣١٧ كُلِّ مَثَلٍ ۖ﴾ ٥٤
- ٣١٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣١٨ الحكم بأن الله بين للناس في القرآن الأمثال والأدلة
- ٣١٨ تقرير أن من طبائع الإنسان الجدل والخصام
- تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
- ٣١٨ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ۖ﴾ ٥٥ - ٥٦
- ٣١٩ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣١٩ تقرير أن من أخطاء الإنسان عدم قناعته بما يراه من الحق ..
- ٣١٩ تقرير أن رسل الله لا يكرهون الناس على الدين
- تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ
- ٣٢٠ رَبِّهِ ۖ﴾ ٥٧ - ٥٩
- ٣٢١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢١ تقرير أن لا أحد أظلم ممن كذب على الله
- ٣٢١ تقرير أن الله أعذر الناس بما بينه لهم
- ٣٢١ تقرير أن المرء إذا استمر في عيبه أصبح هالكا
- ٣٢١ تقرير أن الله لا يؤاخذ الناس لسيئاتهم
- ٣٢١ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ ۖ﴾ ٦٠ - ٦٥ ...
- ٣٢٣ أحكام ومسائل الآيات
- تقرير أنه ليس من حق أحد أن يدعي الأعلمية فضلا
- ٣٢٣ عن العلم المطلق

- ٣٢٣ تقرير أن كل إنسان معرض للنسيان والخطأ
تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا
عُلِّمْتَ رُشْدًا... ﴾ ٧٠ - ٦١ ٣٢٤
- ٣٢٥ أحكام ومسائل الآيات
٣٢٥ تقرير أهمية طلب الإنسان للعلم
٣٢٥ تقرير جواز إفصاح الإنسان عن سلوكه
تقرير جواز اشتراط الإنسان على من يصحبه في
السفر وغيره ٣٢٥
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ
خَرَقَهَا... ﴾ ٧١ - ٧٣ ٣٢٥
- ٣٢٦ أحكام ومسائل الآيات
٣٢٦ تقرير مشروعية طلب العلم ممن يعلمه
جواز اشتراط المصحوب في السفر على الصاحب له
بما يرى فيه مصلحة لهما ٣٢٦
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا
فَقَتَلَهُ... ﴾ ٧٤ - ٧٦ ٣٢٦
- ٣٢٧ أحكام ومسائل الآيات
٣٢٧ وجوب النهي عن المنكر
٣٢٧ التقرير بأن على المتعلم أن لا يستعجل في طلبه للعلم
تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ
قَرْيَةٍ... ﴾ ٧٧ - ٧٨ ٣٢٧
- ٣٢٨ أحكام ومسائل الآيتين

- ٣٢٨ تقرير وجوب الضيافة
- ٣٢٨ للمحتاج للطعام أن يأخذ منه قسراً ما يرد به هلاكه
- ٣٢٨ جواز الإجارة
- ٣٢٨ تفسير قوله تعالى ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ ﴾ ٧٩
- ٣٢٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٢٩ جواز الحيلة إذا كانت لمصلحة ظاهرة
- ٣٢٩ تحريم الظلم وأكل أموال الناس بالباطل
- ٣٢٩ تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ ٨٠-٨٢ ..
- ٣٣٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٠ تقرير أن من واجب المرء أن يرضى بما قدره الله
- ٣٣١ وجوب مراعاة الأيتام الصغار
- ٣٣١ تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ ٨٣ - ٩١ ..
- ٣٣٤ أحكام ومسائل الآيات
- التوجيه بأن تتابع الأسباب من قبل أصحابها مدعاة إلى
- ٣٣٤ بلوغ مرادهم
- ٣٣٤ الظالم يجب أن يعاقب أشد العقاب
- ٣٣٤ تفسير قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ ٩٢ - ٩٦
- ٣٣٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٣٥ مشروعية الأجر مقابل العمل
- ٣٣٦ يأجوج ومأجوج أمة سوف تخرج
- تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ ٩٧ - ٩٩

- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٧
تقرير أن السد الذي بناه ذو القرنين لصد يأجوج هو
- رحمة من الله بعباده ٣٣٧
تقرير أن خروجهم يكون قبل قيام الساعة ويفسدون في
- الأرض ويطغون فيها ٣٣٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ
- عَرْضًا..﴾ ١٠٠ - ١٠٢ ٣٣٧
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٨
تقرير أن جهنم ستعرض للذين غطوا أبصارهم ٣٣٨
- تقرير جهل الكافرين الذين يظنون أن عبادتهم لأولياء
- الله سوف ينفعهم ٣٣٨
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
- أَعْمَلًا..﴾ ١٠٣ - ١٠٦ ٣٣٨
- أحكام ومسائل الآيات ٣٣٩
تقرير أن أخسر الناس عملا هو الذي ضل عن عبادة ربه ٣٣٩
- تقرير أن عمل المرائي لا يحسب له وزن يوم القيامة ٣٣٩
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
- جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا..﴾ ١٠٧ - ١٠٨ ٣٤٠
- أحكام ومسائل الآيتين ٣٤٠
تقرير وعد الله للمؤمنين بأن لهم الفردوس ٣٤٠
- تقرير أن المؤمنين مخلصون في الجنة ٣٤٠
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ

- ٣٤٠ رَبِّي.. ﴿١٠٩﴾
- ٣٤١ أحكام ومسائل الآية
- ٣٤١ الحكم بأن علم الله وكلامه لا يتناهى
- تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
- ٣٤١ إِلَهُ وَاحِدٌ.. ﴿١١٠﴾
- ٣٤٢ أحكام ومسائل الآية
- ٣٤٢ تقرير أن رسول الله محمداً ﷺ بشر
- ٣٤٢ لا إله في الوجود إلا الله
- ٣٤٢ الرياء شرك يبطل عمل صاحبه
- ٣٤٣ تفسير سورة مريم
- تفسير قوله تعالى ﴿كَهَيَّعَ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
- ٣٤٣ زَكَرِيَّا.. ﴿١ - ٦﴾
- ٣٤٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٤٤ تقرير فضيلة الدعاء في السر
- ٣٤٤ مشروعية الدعاء بإنجاب الولد ولو كانت امرأة عاقراً
- تفسير قوله تعالى ﴿يَنزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
- ٣٤٤ يَحْيَى.. ﴿٧﴾
- ٣٤٥ أحكام ومسائل الآية
- ٣٤٥ تقرير أن الله يستجيب دعاء عباده الصالحين
- ٣٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ائْتِنِي بِكَوْثٍ لِّي غُلَامٌ.. ﴿٨-٩﴾ ...
- ٣٤٦ أحكام ومسائل الآيتين

٣٤٦	تقرير تعجب زكريا من ولادة الولد له
٣٤٦	.. ١١ - ١٠	تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ ۞ ﴾
٣٤٧	أحكام ومسائل الآيات
٣٤٧	تقرير أن الله يجعل لأنبيائه آية تجعل قومهم يصدقونهم
٣٤٧ ١٥ - ١٢	تفسير قوله تعالى ﴿ يَخِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ ۞ ﴾
٣٤٨	أحكام ومسائل الآيات
٣٤٨	الحكم بأخذ القرآن بما يليق به من معرفة آياته
٣٤٨	تقرير وجوب البر بالوالدين
٣٤٨ ٢١ - ١٦	تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ۖ ۞ ﴾
٣٥٠	أحكام ومسائل الآيات
٣٥٠	وجوب الاستعاذة بالله من كل ما يخشاه الإنسان
		تفسير قوله تعالى ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۖ ۞ ﴾
٣٥١ ٢٣ - ٢٢
٣٥١	أحكام ومسائل الآيات
		تقرير وجود النخل في زمن مريم عليها السلام في بيت لحم
٣٥١	تقرير ظلم قوم مريم لها
٣٥١	جواز تمني الموت إذا خشي المرء أن يفتن في دينه
٣٥٢	... ٢٦ - ٢٤	تفسير قوله تعالى ﴿ فَادْنَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي ۖ ۞ ﴾
٣٥٣	أحكام ومسائل الآيات
٣٥٣	وجوب فعل الأسباب في طلب الرزق
٣٥٣	وجوب الوفاء بالنذر

- ٣٥٣ ٢٧ - ٣٣ تفسير قوله تعالى ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾
- ٣٥٥ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٥٥ تقرير معجزة عيسى عليه السلام
- ٣٥٥ وجوب التثبوت في القول
- ٣٥٥ الصلاة والزكاة من أركان الدين في جميع ملل الأنبياء
- ٣٥٦ وجوب بر الوالدين وطاعتهما
- ٣٥٦ ٣٤ - ٣٧ تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾
- ٣٥٧ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٥٧ الحكم بأن عيسى عبد الله ورسوله
- ٣٥٧ تقرير أن عقيدة عيسى عليه السلام هي عقيدة التوحيد
- ٣٥٧ تقرير اختلاف أهل الكتاب في حقيقة عيسى
- ٣٥٨ ٣٨ - ٤٠ تفسير قوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾
- ٣٥٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٥٨ تقرير أن الكفار يتحسرون يوم القيامة
- ٣٥٩ حين تقوم الساعة يزول كل من على الأرض
- ٣٥٩ ٤١ - ٤٥ تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾
- ٣٦١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٦١ تقرير أن دعوة إبراهيم عليه السلام هي دعوة إلى التوحيد
- ٣٦١ التحذير من عبادة الشيطان
- ٣٦١ مشروعية المجادلة بالحق
- ٤٦ - ٤٨ تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَابْرَاهِيمُ﴾
- ٣٦١ ٤٦ - ٤٨

٣٦٢ أحكام ومسائل الآيات
٣٦٢ عدم جواز الاستغفار للمشرك
٣٦٢ وجوب اعتزال المعاندين لله ورسوله
	تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
٣٦٣ اللَّهُ.. ﴾ ٤٩ - ٥٠
٣٦٣ أحكام ومسائل الآيتين
	تقرير مشروعية الهجرة من دار الشرك والكفر إلى
٣٦٣ دار الإسلام
	تقرير أن الله يتفضل على عباده المؤمنين فيعوضهم
٣٦٣ خيراً مما يفقدونه
	تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ
٣٦٣ مُخْلِصًا.. ﴾ ٥١ - ٥٣
٣٦٤ أحكام ومسائل الآيات
٣٦٤ الحكم بوجوب الإخلاص في عبادة الله
٣٦٤ الكلام من صفات الله العلية
٣٦٥ تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ.. ﴾ ٥٤ - ٥٥
٣٦٥ أحكام ومسائل الآيتين
٣٦٥ الحكم بأن الصلاة والزكاة من أركان الدين
٣٦٥ تقرير فضل صدق الوعد
٣٦٦ تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ.. ﴾ ٥٦ - ٥٧
٣٦٦ أحكام ومسائل الآيتين
٣٦٦ تقرير فضيلة الصدق

تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ...﴾

- ٣٦٧ ٥٨ - ٦٣ النَّبِيِّينَ .. ﴿٥٨ - ٦٣﴾
- ٣٦٩ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٦٩ تقرير الوعيد لمن أضاع الصلاة
- ٣٦٩ تقرير الوعيد لمن اتبع شهواته وانغمس في المعاصي
- ٣٦٩ باب التوبة مفتوح
- ٣٦٩ الله لا يظلم أحداً من خلقه
- ٣٧٠ تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ..﴾ ٦٤ - ٦٥
- ٣٧٠ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٧٠ الحكم بأن الملائكة لا يدبرون أنفسهم
- ٣٧١ الحكم بنفي النسيان عن الله
- ٣٧١ وجوب عبادة الله والصبر عليها
- ٣٧١ الحكم بنفي الشبيه والمثيل لله تعالى
- تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ..﴾ ٦٦ - ٧٠
- ٣٧١ حَيًّا .. ﴿٦٦ - ٧٠﴾
- ٣٧٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٢ تقرير أن من الإنسان من يكفر بالبعث
- ٣٧٢ الحكم بأن الذي خلق الإنسان وأماته هو القادر على إحيائه ...
- ٣٧٣ الله سوف يحشر المكذبين بالبعث مع الشياطين
- ٣٧٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ..﴾ ٧١ - ٧٢
- ٣٧٤ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٧٤ تقرير أن الخلائق سوف يمرون على الصراط

- ٣٧٤ ... ٧٤-٧٣ ﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ...﴾ تفسير قوله تعالى
- ٣٧٥ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٧٥ الحكم بأن المال لا ينفع صاحبه إذا كان كافراً
- ٣٧٥ الله يميل للظالم لعله يتوب
- ٣٧٥ تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دُلُّهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا...﴾ ٧٥
- ٣٧٦ أحكام ومسائل الآية
- ٣٧٦ الحكم بأن من يستمر في ضلاله يمهله الله
- المشركون والمستهزؤون بالله ورسوله هم في أشر
- ٣٧٧ مكان في الآخرة
- ٣٧٧ تفسير قوله تعالى ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى...﴾ ٧٦
- ٣٧٧ أحكام ومسائل الآية
- ٣٧٧ تقرير أن الله يمهل للظالم
- ٣٧٧ تقرير أن الله يزيد المهتدين هدى
- ٣٧٧ تفسير قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا...﴾ ٧٧ - ٨٠
- ٣٧٨ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٧٩ إطلاع الله لرسوله محمد ﷺ على مقالة أحد المشركين
- ٣٧٩ وعيد الله للمشركين أن أقوالهم سوف تدون وتحصى
- أموال المشركين سوف تسلب منهم ويأتي المشرك
- ٣٧٩ يوم القيامة حسيراً
- ٣٧٩ تفسير قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ

- ٣٧٩ ءَالِهَةً.. ﴿ ٨١ - ٨٤
- ٣٨٠ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٠ التنديد بالمشركين
- ٣٨٠ الأوثان ستتبرأ منهم يوم القيامة
- ٣٨١ الشياطين يتسلطون على الكفرة
- تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
- ٣٨١ وَفْدًا.. ﴿ ٨٥ - ٨٧
- ٣٨٢ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٢ أن المؤمنين يحشرون يوم القيامة إلى الجنة
- ٣٨٢ يحشر الكفرة إلى العذاب
- ٣٨٣ تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا أَتُخَذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا.. ﴿ ٨٨ - ٩٥
- ٣٨٤ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٨٤ الإنكار الشديد على المشركين
- ٣٨٥ تنزيه الله نفسه عن الولد
- تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
- ٣٨٥ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا.. ﴿ ٩٦
- ٣٨٦ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨٦ الحكم بأن الله إذا أحب عبداً جعل محبته في قلوب عباده
- ٣٨٦ تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ.. ﴿ ٩٧
- ٣٨٧ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨٧ في هذه الآية الحكم بأن الله يسر نزول القرآن بلغة العرب
- ٣٨٧ الحكم بأن القرآن بشارة للمؤمنين

- ٣٨٧ تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ ﴾ ٩٨
- ٣٨٨ أحكام ومسائل الآية
- ٣٨٨ تقرير التهديد والوعيد لمن يشرك بالله
- ٣٨٩ تفسير سورة طه
- تفسير قوله تعالى ﴿ طه ١ ﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
- ٣٨٩ لِتَشْقَى .. ﴿ ٨ - ١ ﴾
- ٣٩١ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩١ الله أنزل القرآن رحمة بعباده
- ٣٩١ القرآن تنزيل من الله وفيه دحض لشبهه المشركين
- ٣٩١ تأكيد قدرة الله وخلقته للأرض
- ٣٩١ تفسير قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ٩ - ١٠ ..
- ٣٩٢ أحكام ومسائل الآيتين
- ٣٩٢ تقرير نبوة رسول الله ﷺ
- ٣٩٢ تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴾ ١١ - ١٦
- ٣٩٣ أحكام ومسائل الآيات
- ٣٩٣ إثبات الكلام لله تعالى
- ٣٩٤ وجوب احترام بعض الأماكن بعدم المشي فيها بالنعال
- ٣٩٤ وجوب حسن الاستماع لآيات الله
- ٣٩٤ وجوب إقامة الصلوات لكونها ركناً من أركان الدين
- ٣٩٥ تأكيد قيام الساعة مع إخفائها
- تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ ﴾

